

# نظريّة الخليل المجمّبة

دكتور

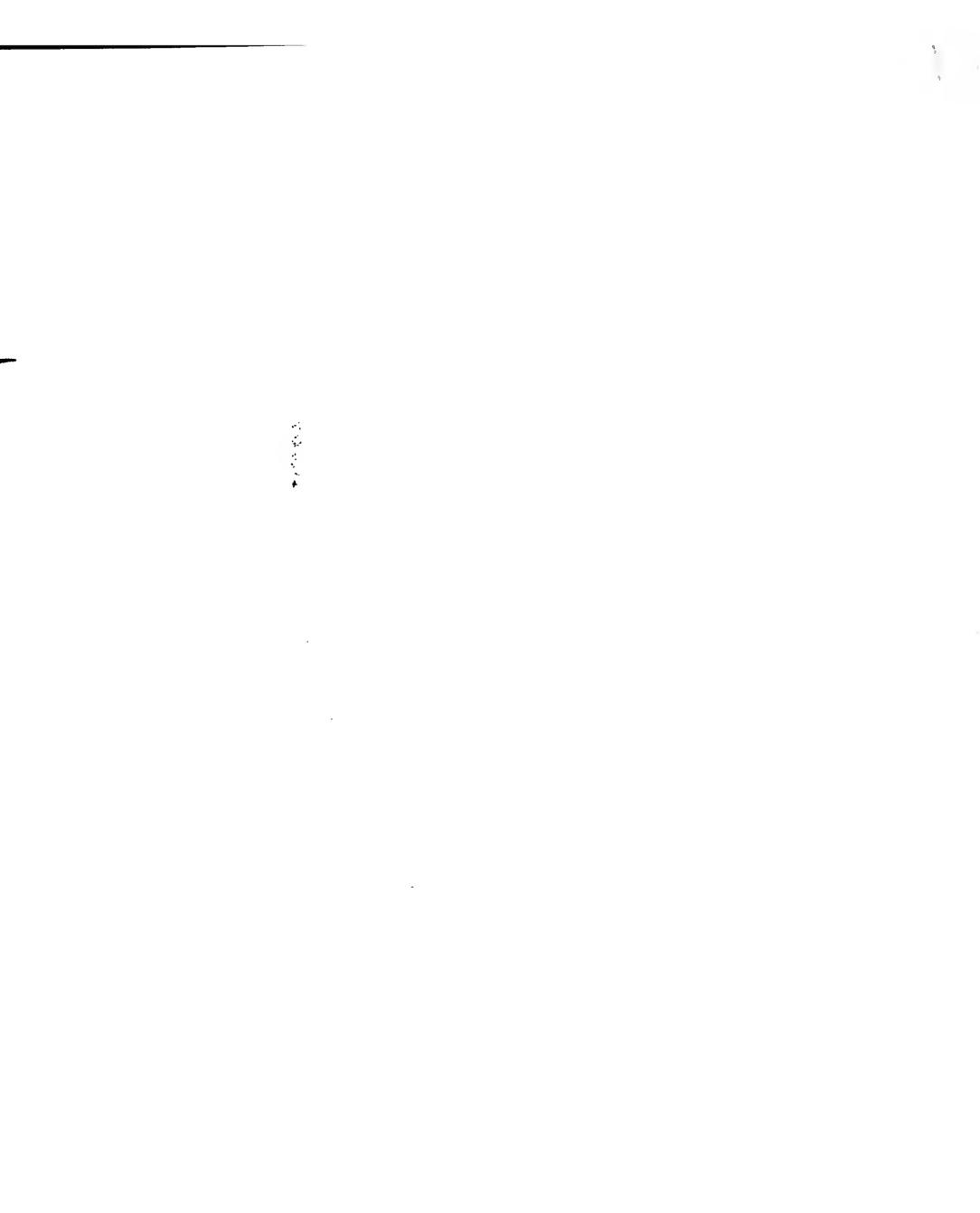
محمد يوسف جبلص

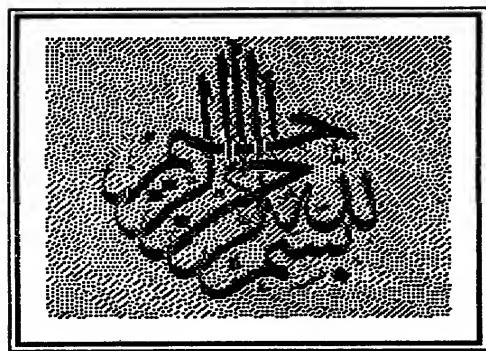
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر

دار الثقافة العربية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م







## الإهداء

إلى أمّنا الرّعوم دار العلوم .

بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين ومائة عام على إنشائها وإيماناً بكل القيم  
النبيلة التي من أجلها أنشئت ، وامتد عطاؤها على يد كوكبة من صفوّة علماء هذه  
الأمة ، في علوم العربية والدين الإسلامي ، مستهدفة وصل الجوانب المضيّعة في  
تراثنا العربي - وفيه الأصالة - بما يناظرها مما يعالج العلماء في العصر الحديث -  
وفيه المعاصرة - وتلك هي الأمانة التي حلّها - ولم يزل - تلاميذ حفني ناصيف  
والغنيمي هلال وإبراهيم أنيس .



## قالوا عن الخليل ....

أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو في خُص لا يشعر

الضر بن شمبل

ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كحاب العين  
فأتعب من تصدى لغايته ، وعني من سما إلى نهايته ، فالمتصف له بالغلب معترف  
، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ، ولكن رحمة الله  
ألف كتاباً مشاكلاً لشقوب فهمه وذكاء فطنته .

أبو بكر بن دريد

اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق فتناكرنا أمر العلماء فجعل أهل كل بلد ير فهوون  
علماءهم ويضعونهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد إلا قال :  
الخليل أذكي العرب ، وهو مفتاح العلوم ومصرفها .

أبو محمد التوجي عن مراتب النحويين



## مقدمة

إن من يتابع البحث اللغوي عند العرب عامة ، والدرس المعجمى على وجه المخصوص ، سيمجد الخليل بن أحمد الفراهيدى يتبوأ مكانة المعلم الأول ، والأستاذ الحجة ، والإمام المبدع ، ولا يكاد ينافيه الريادة فى علوم العربية أحد . يجمع على ذلك السلف والخلف ، القدماء والمحدثون على سواء .

وإذا كانت رياضته في علم النحو والعرض والمجمم فـي غير حاجة إلى تأكيد أو إثبات فإن تناول الدالسين له قد يـا وحدـا على مستوى المجمـم قد اقتصر على الإشارة إلى أنه أول من وضع للعربية مجمـماً أو صـنف قامـوساً بهذا الرصـف العلمـي لـكلمة مـجمـم أو قـامـوس ، وليس من شـك في أن وضع أول مـجمـم في آية لـغـة من اللـغـات على نـحو وـترـقـيب جـديـدين لـاسـاقـن لـهـما لـهـما من أـعـمـال الصـفـرة العـبـاقـرة الـحـالـدـين . كما يـقـول مـحـقـقا العـيـن فـي تـقـلـيـدـه .

هذا الإطاء على جهد الخليل المعجمي بوصفه مؤلفاً مصححاً هو الذي دفعنى إلى إعادة النظر في هذا الجهد ، حيث يرى البحث أن تقديم جهد الخليل على هذا النحو فيه تستطيع شدید لإبداعه ، فإن يكن وضع أول معجم في لغة العرب إنجازاً هائلاً ، فإن وضع نظرية علمية منضبطة لنظام المعجم العربي لهو إبداع أكثر عظمة ، وأقرب إلى روح الجهد الذي قدمه الخليل ، وشنان بين تأليف أو تصنيف معجم في لغة ما ، وبين وضع نظرية علمية تفسر نظام المعجم بوصفه أحد أنظمة اللغة ، الأول فن يجيده حرفيون فيه والثاني علم لا يبرز فيه إلا علماء في اللغة .

وهذه الدراسة معنية بابراز جهد الخليل بوصفه نظرية علمية في المعجم أكثر منه تصنيفًا لقاموس، كما في الباحثون طويلاً يقدّم هذا الجهد.

وتحقيق هذه الغاية قسمت البحث إلى مقدمة ، وخمسة فصول وخاتمة .

عمل طبيعة بيان هو البحث للباحث المنهجي المنطلق الأول الفصل في عالجت.

الخليل بوصفه نظرية ، وتميزت ذلك من عمل سواء من علماء المعاجم الذين جاءوا بعده بوصف ما قاموا به مجرد صناعة معجمية .

وجاء الفصل الثاني بعنوان الأساس الصوتي ، وفيه عالج البحث سبب لجوء الخليل لهذا المنهج دون غيره ، واعتمدت على تنصوص الخليل في إعادة قراءة هذا الأساس الذي اتكاً عليه في فهم بنية الكلمة العربية ، بحيث كان عمله الصوتي مجرد وسيلة لغاية وليس درساً صوتياً خالصاً .

وفي الفصل الثالث عرضت للأساس الكمي وأبرز البحث السبب الذي دعا الخليل إلى هذا التقسيم ، فكان عمله نوعاً من حصر أقل كم لحروف الكلمة وأقصى كم يمكن أن تبلغه ، والأمر ليس تصنيناً لأبراب أو مداخل معجمية ، وإنما هو إجراء بحثي للتعرف على طبيعة الكلمة العربية ، يتعاون مع بقية الإجراءات الأخرى للكشف عن فلسفة النظام المعجمي .

وفي الفصل الرابع عرضت للأساس الثالث وهو الأساس التقليدي بوصفه آلية منهجية تكشف عن طاقات اللغة من جانب وتفسر طبيعة المادة المعجمية الأكثر دوراناً ، والسلالل الصوتية الأكثر ترددًا من جانب آخر ، وما يقابل ذلك من مواد أقل شيوعاً ، كما طرح البحث أبعاد هذا التصور وامتداداته في الاستفادة من نظرية المهمل أو الفضل عند علماء الرياضيات أو في علاقة نظرية المهمل والمستعمل عند الخليل على المستوى المعجمي بعض المفاهيم اللغوية الحديثة على مستوى النظرية اللغوية عامة وال نحوية على وجه الخصوص .

وجاء الفصل الخامس ليطرح الأساس الرابع عند الخليل وهو الأساس الجذرى بوصفه الفلك الذى تدور فيه بقية الأساس والرابط الذى يصل الكلم العربى ، وعرضت لخصوصية هذا الأساس بالنسبة للغريبية .

وطرح البحث أبعاد فكرة الجذر فى البحث اللغوى عند الخليل سواء ما

اتصل منها بفكرة الأصل والفرع عامة أم أصل الكلمة خاصة ، كما تناول في هذا الإطار الاتجاهات اللغوية المختلفة التي عالجت فكرة الأصل كاتجاه القائل بالثنائية والاتجاه القائل بالثلاثية وأبعاد ذلك وما ترتب عليه من معالجات للظواهر اللغوية كالنحو والقلب والإبدال ، كل ذلك في إطار البحث عن أثر الخليل في هذه الاتجاهات ، ومنهجه في معالجة هذه الظواهر في ضوء معالجات خالقية من اللغرين وخُتم البحث باستعراض عدد من نتائج الدراسة بعد تقديم الملة مركزة لما عالجه البحث أسللت إلى هذه النتائج .

ومن الأمانة والعرفان بالفضل أن أذكر جهد عدد من الأصدقاء الذين كان لهم على صاحب البحث مكراة تشجيعي على مواصلة البحث في هذا الموضوع وتزويدي بطائفة من المراجع ، وأخص بالشكر في هذا المقام صديقي الدكتور محى الدين محسوب ، الذي كان يسألني عن هذا البحث أكثر مما يسألني عن أبي ، وكان هذا البحث موضوعاً على رأس قائمة كل حديث جمعني به على مدى أكثر من عام ، وأرجو أن يكون البحث على مستوى الحوار الجاد الذي دار بيننا حوله . كما أشكر الصديقين الدكتور خليل عمايرة والدكتور منذر العياشي لتشجيعهما المتواصل ولما أمنداني به من مراجع أفادتني في إضافة بعض مسائل عرض لها البحث . كما أشكر الصديق الدكتور محمد الهنداوى على تفضله بمراجعة إحصاءات البحث وباركته لطبيعة المعالجة التي عنى بها – كما أشكر كل من شارك في إخراج هذا العمل من طباعة ونشر .

والله أسأل أن ينفع به طلاب الدراسات اللغوية عامة ، وشدة الدرس المعجمى على وجه الخصوص ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد يوسف جبلص  
جده - في رمضان ١٤١٢ هـ  
مارس ١٩٩٢ م

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

1996-01-01

الفصل الأول  
بين النظرية والتطبيق



## بين النظرية والتطبيق

إن اللغة آية لغة هي مجموعة من الأنظمة اللغوية ، تلتف فيما بينها منظومة واحدة ، أو نظاماً كبيراً هو اللغة ، فاللغة إذن نظام يشمل عدة أنظمة . هي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام التحوي والنظام المعجمي والنظام الدلالي ، وكل نظام من هذه الأنظمة يستقل بدراسة فرع من فروع علم اللغة النظري Theoretical linguistics فعلم الأصوات العام phonatics يخوذ النظام الصوتي موضوعاً له ، وعلم الصرف Morphology ، يعني بدراسة النظام الصرفي ، على حين يختص علم التحوي Syntax بدراسة النظام التحوي ، كما يستقل علم المعجم Lexicology ببحث النظام المعجمي ، بينما ينفرد علم الدلالة بالنظر في أسرار النظام الدلالي للغة<sup>(١)</sup> .

وهذه الأنظمة تعمل معاونة متكاملة في إطار نظام واحد كبير هو اللغة يعني بدراسة دراسة علمية تهدف إلى الكشف عن حقيقة النظام اللغوي علمًّ مستقل يعرف بعلم اللغة النظري . وعلاقة العلوم اللغوية الفرعية بعلم اللغة هي علاقة الخاص بالعام كما هو واضح .

والكلام السابق يتجاوز الخلافات في تقسيم العلوم اللغوية بين الاتجاهات المختلفة والمدارس العلمية إلى الحد الأدنى من الاتفاق ، كما يتجاوز اعتبار المعجم أو علم الدلالة نظامين من أنظمة اللغة . من منطلق أن كلاً منها جانب من جوانب النظام اللغوي ، وإذا لم يكن ممكناً تجاوز هذا الجانب في التحليل اللغوي أو إدراك دوره في أداء النظام لوظيفته ، أو في فهم النظامية الراضحة في علاقة عناصر كل نظام منها على حده وعلاقتها بالعناصر اللغوية في الأنظمة اللغوية الأخرى . إذا كان ذلك كذلك فإن المعجم كما يظهر من هذه الدراسة نظام مستقل ، والدلالة كما استقر عليه أغلب الدراسين نظام كذلك مستقل وكلاهما قسم لبقية الأنظمة

١- انظر دراسات في علم اللغة ج ٢ ص ١٠ - ١٢ .

الأخرى التي تنصره معاً في بوقته النظام اللغوي العام فإذا كان النظام اللغوي هو مجموعة من القواعد والقوانين القابلة للوصف والتحديد والتي يهدى الخروج عليها بغيرأ للنظام يؤدي إلى خلل في أداء اللغة لوظيفتها . فإن هذا النظام ينقسم بدوره إلى أنظمة داخلية أصغر هي الأنظمة التي سبقت الإشارة إليها ، وهي تخضع لنفس الضابط .

والمعجم في ضوء ذلك نظام له قواعده وقوانينه التي يمكن تحديدها والتعرف عليها ، فالكلمة في نظام المعجم لا بد أن تبني من أصوات اللغة صاحبة النظام اللذوي ، ولذا بنيت من أصوات خارج هذا النظام عدًّا ذلك خروجاً على النظام المعجمي للغة ، الأمر الذي يقتضي إخضاع الكلمة لسن اللغة المعجمي يحدث ذلك حين تقابلنا أصوات كالگاف الفارسية والباء التي تتعلق كالفاء العربية وكذلك الفاء في اللغات الأوربية ، والراء الفرنسية وبناء الكلمات من سلاسل متنوعة في النظام المعجمي مثل حق ، عج فج ، قل .. الخ ولا يقول العلماء إن هذه الكلمة من اللغة إلا بناءً على قواعد لمعجم اللغة ، والحكم يكونها ليست من كلمات اللغة إنما يكون وفقاً لذات القواعد ، ومجيء الكلمة في اللغة العربية مبنية من عشرة أحرف مثلاً يجعلنا نقطع بأن الكلمة غير عربية لأن قواعد بناء الكلم في معجم العربية الذهني يقطع بالتأكيد الكلمة سواء أكانت اسمأً أم فعلأً من أكثر من خمسة أحرف أصلية phonemes وتحديد كم المستعمل في اللغة وتميزه من المهمل يخضع لضوابط معينة ، ومعرفة الأصل الذي تبني منه الكلمة وكيف تبني تخضع لضوابط وقواعد أخرى كل ذلك يمثل بعض عناصر النظام المعجمي .

ولعل المثل المعلى البارز القادر على التثبت من نظامية المجمع ونظامية الدلالة شأن نظامية الأصوات والصرف والنحو هو المعنى . فإذا كان المعنى يتأثر بآيات خلل مصدري المجمع فإن المجمع ، ويكون ذلك بوضع وحدة معجمية في تركيب وهي فارغة من المعنى ، أو ببناء غير صحيح ، أو من أصوات غير

أصوات اللغة ، وقى على ذلك الخلل الذى يترتب على عدم مراعاة عناصر النظام الدلائلى الذى جزءه الأول مرده إلى المبنى بكل عناصره الصوتية والصرفية والتحووية والمعجمية وجزءه الآخر السياق الخارجى بكل عناصره المعروفة فهل يغيب أى عنصر مما سبق ويبقى المعنى كما هو ؟ إذا كانت الإجابة بالنفي ، وهى كذلك بالقطع ، فالدلالة نظام كبقية الأنظمة الأخرى<sup>(١)</sup> .

وقد بى أستاذنا الدكتور تمام دعواه فى القول بعدم نظامية كل من المعجم والدلالة على أنسن تختلف عن الأنسن التى يرتضيها البحث لمفهوم النحوى ، منها أنه بى تصوره على أساس الفصل بين ما يسمى باللغة وما يسمى بالكلام ، وهو أمر لا يسلم به البحث ولا يتبناه ، ومنها أنه يشترط فى النظام أن يصلح للجدوله بحيث يكون للجدول بعد رأسى وبعد أقصى ( انظر ص ٣١٣ من العربية معناتها وبناتها ) ، وحين لم ير المعجم صالحًا لذلك لم يعتد نظاماً ، وشىء طبى لا يماثل المعجم الأنظمة الأخرى فى ذلك لأن البعدين الرأسى والأقصى يمكن التصرف عليهما فى النظام المعين من خلال تسييق الوحدات أما فى المعجم فيكون قبل وضع الوحدة اللغوية فى السياق الأمر الذى يجعل الجدولة على النحو الذى قام به غير مجديه فى اكتشاف قواعد المعجم بل إن الإجراء الكشفى الصوتى أو الإحصائى الرياضى هو الأنسب لاكتشاف هذه النظامية بالنسبة للمعجم خاصة . ونظامية الدلائلى لا أدرى كيف ينفيها وهى مبنية على مجموعتين من القواعد ، الأولى قواعد وقوانين النظم الأخرى ، الصوتية والصرفية والتحووية والمعجمية ، وقواعد وقوانين الحال التى إذا لم تراع فسد المعنى وفهم على غير الوجه الصحيح .

وإذا تجاوزت الخلافات السابقة وارتضيت ما طرحته قبل من كون المعجم

١ - كان أستاذنا تمام حسان قد عدَّ المعجم مجرد قوائم كلمات كما لم ينظر إلى المعنى بوصفه نظاماً من أنظمة اللغة . انظر العربية معناتها وبناتها الفصل السابع والثامن .

نظاماً من أنظمة اللغة يعني بدراسته فرع من فروع علم اللغة النظري هو علم المعجم ، فإن طبيعة هذا النظام كما أن موضوع هذا العلم في حاجة إلى بعض بيان .

إن المعجم مصطلح لغوى قد يطلق ويقصد به النظام المعجمى ، وحيثأن يكون مقصوداً به المعجم الذهنى أو العقلى المترافق فى ذهن الجماعة اللغوية ، أو هو المخزون اللغوى المعرفى الذى يمتلكه ابن اللغة والخاص بمفرداتها<sup>(١)</sup> . وبه يترافق أبناء اللغة على كلمات لغتهم من خصائص بنيتها التى ألغوها ، وهو الذى يوجه قدرتهم الخلاقة على نسج كلمات تملأ نفس السمات وذات المقومات نفسين قياساً فطرياً على ما وعى من كلمات اللغة ، خاتمى الكلمات خاضعة لنفس النظام ومتتفقة مع ذات السنن الذى يميز معجم أبناء هذه الجماعة من معجم سواها .

والعلم الذى يقوم بدراسة أسرار الكلمة فى النظام المعجمى على التحوى السابق هو على المعجم Lexicalogy ، والذى يتصدى للبحث فى إطار هذا العلم هو العالم اللغوى Linguists ، والوحدة فى المعجم الذهنى هي الكلمة word .

وقد يطلق لفظ معجم على ما يعرف بعلم صناعة المعجم Lexicography أو فن صناعة المعجم وهو فرع من فروع علم اللغة التطبيقي Applied linguistics ، يعنى بصناعة القاموس Dictionary بوصفه قائمة من المفردات vocabulary مبوبة أو مصنفة بطريقة ما ، ومشفوعة ببيان الطريقة الصحيحة لكتابة الكلمة ونطقوها وتصريفها ، وشرح معناها أو معانها ، وعلى الباحث الذى يقوم بصناعة المعجم والذى يعرف بالمؤلف المعجمى Lexicographer أن يبحث فى طرائق أو أساليب التدريب المعجمى ، محارلاً الارتقاء بالصناعة المعجمية بهدف تيسير مهمة الباحثين فى المعجم ، ويدخل فى صميم عمله آتى كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذا

١ - انظر اللسانيات واللغة العربية من ٣٦٧ وما بعدها . وانظر كذلك المعجم العربى نماذج تخليلية جديدة ص ٢٤ .

الهدف لتحديد أفضل وسائل الإيمضاح من لوحات وصور ، كذلك محاولة الاستفادة من إمكانات الطباعة من تنوع في اللون وحجم الخط ، وكل ما من شأنه أن يسهل مهمة شدة المعجم بوصفه قائمة مفردات . وتناسى كفاءة هذا العمل بحدى ما وصل إليه واضح القاموس من تبسيط في إجراءات الكشف عن المفردة ، وفي الإحاطة والشمول والاستقصاء ملادة اللغة ، وفي تدارك المعانى الأصلية والفرعية للصيغة .

والفرق إذن بين عالم اللغة الذى يتصدى لنظرية المعجم من جانب وبين المؤلف المصحى الذى يصنف القاموس يشبه الفرق بين عالم الرياضيات النظرى وعالم الرياضيات التطبيقى أو بين المهندس الذى يصمم ، والمعمارى الذى ينفذ التصميم .

واللغويون الحديثون يعون تماماً الفرق بين الدراسة اللغوية النظرية - ومنها دراسة نظرية المعجم - وبين الدراسة اللغوية التطبيقية - ومنها صناعة المعجم <sup>(١)</sup> .

فإلى أى الصنفين من الدراسة المجممية يتسمى عمل الخليل المصحى ؟ ... يمثل جهد الخليل في مجال المعجم في كتاب (العين) ، وهو عند جمهرة الدراسين أول معجم *Dictionary* وضع في اللغة العربية <sup>(٢)</sup> . وإن كان بعض

١- انظر فروع الألسنية ٢٠٦ من كتاب الألسنية علم اللغة الحديث . وانظر كذلك في علم اللغة التطبيقى ص ١٢ وما بعدها ، وانظر كذلك علم اللغة وصناعة المعجم ص ٩ وانظر فقه اللغة محمد أبو الفرج ص ١٢٦ .

٢- كان (العين) معجماً غير معروف حتى منتصف القرن الثالث الهجرى إلى أن جيء به من خراسان ، ودار جدل عريض بين العلماء حول نسبته للخليل ، أقاضى السيوطى في عرضه في مزهره ، وقد رجح أكثر الدراسين نسبته إليه ، وقندوا دعاوى التكربن ، ولمزيد من التفصيل في هذا الجانب راجع :

المرهف ٧٧٧ وما بعدها ، والمعاجم العربية ص ٥٦ - ٦٨ ، والمعجم العربى ١ - ٢٧٩ - ٢٩٦ ، والبحث اللغوى عند العرب ١٦٤ - ١٧٠ = .

الدراسين يرون أن الحريم لأنى عمرو الشيباني أسبق منه .

ويكاد يجمع القدماء على أن المقدمة أو التأسيس المجمل في صدر (العين) هي للخليل ، على حين أنهم انقسموا بين مؤيد ومعارض لنسبة الكتاب إليه ، ويعتني من أمر ذلك هو اتفاقهم على نسبة المقدمة للخليل ، أو اتفاقاً أغلبهم ، فالأزرهري صاحب التهذيب وهو من أشد المنكرين لنسبة الكتاب للخليل ، وأكثر المتحاملين على الليث بن المظفر الذي إليه تنتهي رواية العين يقول عن المقدمة : « ولم أر خلافاً بين اللغورين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأنى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقيه إياه عن فيه ، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسمسه ورسمه ، فرأيت أن أحكى بعيه لتأمله ، وتردد فكرك فيه ، وستفيد منه ما يلئ الحاجة إليه ، ثم أتبعه بما قاله بعض النحوين مما يزيد في بياته وإيضاحه (١) .

ويكفيه هذا النص فيما أنا بصدده ، فالتأسيس الذي يكاد يجمع الباحثون قدماً وحديناً (٢) . هو أهم أجزاء الكتاب لدى . ففي تلك المقدمة طرح الخليل نظرية

---

= وقد نشر الأب أنتناس الكرملني جزءاً منه في بغداد سنة ١٩١٤ ولم يتمه ، ثم قام أستاذنا الدكتور عبد الله درويش بنشر الجزء الأول محققاً تحقيقاً علمياً في بغداد أيضاً سنة ١٩٦٥ ولم تصدر بقية الأجزاء ، وقد قام أخيراً الدكتوران مهدي الطزوبي وإبراهيم السامرائي بتحقيق الكتاب كاملاً ونشر في ستة أجزاء من الحجم المتوسط ، في بغداد أيضاً سنة ١٩٨٠ م ، وعلى النسخة الأخيرة كان اعتمادى في هذا البحث ، عند حديثى عن العين خاصة . وقد رممت إلى إحالى إليه بالرمز (ع) على حين رممت إلى إحالى إلى التهذيب بالرمز (ه) .

١ - هـ : ٤١/١ .

٢ - ذكر Haywood « أتنا لستنا متأكدين من أن الخليل كتب كتاب العين ولكن هناك شكاً أقل في أن المقدمة تمثل فكر الخليل » ١ هـ ولم وجود بعض الشك حتى في المقدمة راجع إلى تيار الاتهام الذى تعرض له العين إجمالاً . انظر 28 Arabic Lexicography, B

علمية متكاملة تكشف عن وعي وبصر بأسرار نظام المعجم العربي ، تمثل في أكملها وانضباطها كل أعمال الخليل المفردة بالفتح ، والمسمة بالكسر ، كإبداعه في العروض ، وتأسيسه للنحو .

أما الجزء المشكوك في أمره فهو الجانب من الكتاب الذي يمكن أن يطلق عليه مصطلح معجم أو قاموس Dictionary ، ولن يكون اعتمادى في هذا البحث على هذا الجزء من الكتاب ، اللهم إلا فيما يمكن أن يدعم الفكرة النظرية بالمثال .

وإذا كان هذا البحث ينطلق من القناعة العلمية بأن الخليل من خلال كتابه العين أو من خلال مقدمته فقط إن أردنا الدقة إنما هو منظر معجمي فليس يعنيه هندى إلا يكون مؤلفاً معجماً ، أو أن يكون باعه في صناعة المعجم أقصر منه في إبداعه التظيرى . هذا إن سلمنا جدلاً - وهو غير ما أعتقد - أن من العين جاء كما أراد الخليل ، أو على النحو الذى اختطه فى مقدمته ؛ لأن ثمة هنات وقعت فى المعجم ، أغلبظن أنها من وضع آخرين ، وهو أمر متوقع إذا وضعتنا فى الاعتبار أنه وضع فى فترة مبكرة من تاريخ البحث العلمى عند العرب ، وأن كثيراً من الأعمال المماثلة فى علوم كثيرة تعرضت لما تعرض له العين من تدخل فى النص ، أو خطأ فى التسخين ، أو غير ذلك من أسباب <sup>(١)</sup> .

المقدمة إذن أو التأسيس المحمول فى أول كتاب العين هو أكثر أجزاء الكتاب اقتراباً من الخليل ، وأدناها إليه من حيث المنهجية والدقة كما سيظهر من ثانياً البحث ، وهى موجودة فى النص المحق من العين ، موجودة بصورة مشابهة فى مقدمة التهذيب للأزهري ، وهو بتحقيق أستاذنا المرحوم عبد السلام هارون ، وثمة نقول كثيرة عن الخليل فى الحكم ، والبارع ، ومحضر العين ، والمزهر ، وهى

١ - يقول ثلث : إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يبحشه ، ولو كان حشا ما بقى منه شىء ، لأن الخليل رجل لم يُر مثله ، وقد حشا لكتاب أيضاً قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية ، وإنما وجد بنقل الوراقين فاختل الكتاب / انظر المهر : ٨٢/١ .

كافية لبيان تصوره عن نظام المعجم ، وإبراز نظريته كما تخيلها .

و قبل أن نسقط مصطلح نظرية على عمل الخليل في العين يجمل أن نتعرف أبتداء المقصود بالنظرية وتتعرف من خلال ذلك على طبيعة عمل الخليل ، وهل هو من قبيل التنظير اللغوي في مجال المعجم . كما يفترض هذا البحث ، أم من قبيل الصنعة المعجمية ؟ فالذين نظروا لكتاب العين ولم يفهموا حقيقة ما انطوى عليه من جهد تنظيري حملوا على منهجه واتهموه بالصعوبة ورداءة التصنيف ، فهذا ابن منظور صاحب اللسان يحمل على التهذيب والحكم وهو أكبر معجمين طبقاً نظرية الخليل المعجمية قائلاً « غير أن كلاً منها مطلب عمر المهلk ، ومنهل وعر المسلوك ، وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وجلاهم هنـه ، وارتاد لهم مرعىً مربعاً ومنهم منه ، وقد أخـر وقـدـم ، وقصدـأن يـعرب فـأعـجم فـرقـالـذـهـنـ بينـالـثـانـيـ والمـضـاعـفـ والمـلـقـوبـ ، وبدـدـ الفـكـرـ بالـلـكـيـفـ والمـعـتـلـ والمـرـبـعـ والمـخـاصـيـ فـضـاعـ المـطـلـوبـ ، فـأـهـمـالـ النـاسـ أـمـرـهـماـ ، وـأـنـصـرـفـواـعـنـهـماـ ، وـكـادـتـ الـبـلـادـ لـدـمـ الإـقـالـ وـالـتـبـوـبـ (١) . » .

فهذا الهجوم الكاسع على منهجه الخليل ومن لفـتهـ لا يستقيم إلا لأنـ ابنـ منـظـورـ يـقـيمـ هـذاـ منهـجـ منـ خـالـلـ الصـنـعـةـ المعـجمـيـةـ ،ـ أـمـ إـنـهـ لوـ كـانـ يـتـلـكـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ تـقـيـمـ هـذاـ منهـجـ مـنـ زـاوـيـةـ الـنـظـرـةـ وـهـوـ الـعـلـمـ الـذـىـ لـاـ يـجـيـدـهـ كـمـاـ سـيـشـبـ هـذـاـ الـبـحـثـ لـتـغـيـرـ حـكـمـهـ ،ـ وـلـاـ أـرـيدـ أـنـ تـقـدـمـ الـبـحـثـ فـيـ إـصـدـارـ الـأـحـكـامـ ،ـ وـلـمـ أـتـرـكـ لـهـذـهـ الـدـرـاسـةـ أـنـ تـكـوـنـ حـكـماـ بـيـنـ عـلـمـ الـخـلـيلـ وـبـيـنـ أـحـكـامـ اـبـنـ مـنـظـورـ ،ـ وـلـلـأـرـقـامـ الـتـىـ لـاـ تـحـاـىـ فـيـ النـهـاـيـةـ كـلـمـةـ .

١ - انظر مقدمة اللسان ج ١ ص ٧ . وانظر بعضاً من النقد الذي وجه لمنهج الخليل في الصحاح ومدراس المعجمات العربية ص ٧٩ - ٨٠ .

## مفهوم النظرية اللغوية :

حين يحاول اللغويون تحديد المقصود بالنظرية اللغوية – وفي إطارها تكون النظرية الصوتية أو التحورية أو المعجمية – فإنهم يطلقون من تعريف النظرية لدى علماء الرياضيات ، وعليه فإن مفهوم نظرية عند اللغويين إنما هو مأخوذ من تعريفهم ، برى بورباكي Bourbaki أن النظرية هي « تكوين فرضي استنتاجي » وتمثل عناصر هذا التكوين في « عدد قليل من الكلمات التي لا تتبدل » وفي كون هذه الكلمات « تتحمّل حسب نظام يتألف من عدد قليل من القواعد التي لا يمكن خرقها <sup>(١)</sup> » .

ومن خلال التعريف السابق يتبين لنا أن النظرية تقوم ابتداء على أساس كونها فرضية تم استنتاجها ، وهي محكومة بنظام من القواعد المطردة التي لا خلل فيها ، وحين تنتقل إلى اللغويين أنفسهم سنجد أنهم يدورون بالفعل في نفس الغلك إذ النظرية عندهم هي « تفسير شامل يتناول المعطيات اللغوية ويستخطاها باتجاه تفسير التنظيم القائم ضمن هذه المعطيات ، وباتجاه التكهن بأن معرفة هذا التنظيم هي التي سوف تفسر كل المعطيات اللاحقة ، وترتبط صحة النظرية بمقدار صحة هذا التكهن <sup>(٢)</sup> » .

ويركز بعض اللغويين في تحديده لمفهوم النظرية اللغوية على تحديد أهدافها أكثر من محاولة تعرifyها ، وبناء على ذلك برى سوريس جروس أنه يجب على النظرية « أن تصل إلى وصف الكليات اللغوية <sup>(٣)</sup> » ، أما هلمسليف فيرى أن على النظرية اللغوية أن تضع « إجراءات قادرة على وصف أشياء معينة ذات طبيعة محددة وصفاً غير متناقض وشاملاً ، كما يجب أن تكون النظرية عامة ، بمعنى أن

١ - علم اللغة في القرن العشرين ص ٢١٢ .

٢ - الألسنية - النظرية اللغوية ص ١١٥ .

٣ - السابق ص ٢٣٠ .

تضع في متناولنا مجموعة أدوات تتيح تمييز - ليس فقط - شيء محدد أو شيء سبق أن أخضبناه للتجربة ، بل كل الأشياء الممكنة والمفترضة من النوع نفسه ، ويجب أن تصلح الأدوات النظرية التي تستعملها لكل الاحتمالات وليس فقط كما سبق أن التقينا ... كما أن النظرية تختر بين هذه الإجراءات تلك التي تؤمن الوصف الأكثر بساطة ، ولكن أتحت إجراءات متعددة أوصافاً تكون لنتائجها نفس الدرجة من حيث البساطة فهي تختر تلك التي تبع الطريق الأكثر بساطة ، ندعوا هذا المبدأ المستبط من مبدئنا التجربى مبدأ البساطة ، ويضيف ملمسيلف في تحديده للنظرية اللغوية وأهدافها « باستطاعتنا إذن أن نقرر قيمة نظرية اللغة وتطبيقاتها من خلال التتحقق من أن النتائج الحاصلة مع كونها توافق فيها متطلبات غير التناقض والشمول هي في نفس الوقت أكثرها بساطة بقدر الإمكان ... ونشدد على المظهر الواقعي للمسألة من خلال البحث عن الطرق التي تتبع خصمان ملائمة النظرة ، يجب لذلك إبراز مكونات كل بنية لغوية ، وتفحص النتائج المطافية الناجمة عن إدخالها في التعريف <sup>(١)</sup> .

من كل الطر宦ات السابقة سواء المتصل منها بتحديد مفهوم النظرية أم المتعلق ببيان أهدافها يتبين لنا أن النظرية اللغوية ليست سوى :

- أ - فرضية استنتاجية تفسر الظاهرات اللغوية .
- ب - يجب أن يكون التفسير كلياً ومطرياً ، ويقسم بالشمول .
- ج - يجب ألا يكون ثمة تناقض بين معطيات هذه الفرضية بل يحكم عناصرها الاتساق .
- د - يحسن أن تكون ملتزمة بمبدأ البساطة في المبادئ التي تكتفى عليها ، وفي إجراءات التطبيق كذلك .
- ه - أن تكون ملائمة كذلك للغة التي وضعت لها ، وهذا مظهر أساسى لقياس

كفاءة النظرية ، وإمكانية التحقيق من صحة الفرضية .

ولو تناولنا على سبيل المثال نظرية الفوتين عند أنصار حلقة براخ سنجد أنها نموج لنظرية لغوية يتوافر لها كل العناصر التي سبقت الإشارة إليها من قدرتها على تفسير الظاهرة الصوتية واطرادها وشمولها وعدم التناقض في عناصر الفرضية واتصافها بالبساطة ، وإمكانية التطبيق .

فهل جهد الخليل في مجال المعجم هو من هذا القبيل ، هل قدم الرجل فرضية لغوية تفسر نظام المعجم ، وهل عناصر هذه الفرضية تتسم بالأطراد والشمول والبساطة ، وهل هي فرضية ملائمة للغربية ؟ وهل يمكن التأكيد من صحة فرضية الخليل بشكل عملي ؟ هذا ما يسعى البحث جاهدا إلى التأكيد منه .

#### أسس النظرية عند الخليل :

إن القراءة الهدأة لقدمه العين ستكتشف عن ركيائز محددة أو أسس معينة لا يكاد يخطفها التأمل ، ويشكل كل أساس منها عنصراً جوهرياً من عناصر المنهج ، وتعاون هذه العناصر أو الأسس الأخرى لتشكل فرضية علمية أحسبها قادرة على أن تقدم أفضل تصور منهجي لفلسفة المعجم العربي حين وضعت هذه الفرضية .

أما هذه الأسس فتختصر في أربعة هي :

- ١ - الأساس الصوتي .
- ٢ - الأساس الكمي .
- ٣ - الأساس التقليدي .
- ٤ - الأساس المجزري .

وبحسب مقومات النظرية عند المحدثين يجب أن تكون هذه الأسس قادرة على تفسير النظام المعجمي تفسيراً كلياً مطربداً . ومناسباً للغة العربية ، ويتسق

التفسير بالبساطة وإمكانية التتحقق من كل ذلك .

و قبل أن نعرض لكل أساس من هذه الأسس بالتفصيل ، ونعرف من خلال العرض على مدى انطباق ذلك على ما طرنه الخليل . فإن مسألة الأصالة في نظرية الخليل قضية قد شغلت الدراسين قديماً وحديثاً ولا بد أن عمل الخليل الفذ في مجال المعجم قد لفت أنظار هؤلاء الباحثين ، فوجدوا في محاولة الخليل نقلة منهجية في مجال البحث المعجمي ، جعلت من العرب بسبب هذا العطاء الخليلي الذي يشبه الطفرة العلمية أمّة من الأمم العظيمة في هذا الميدان . الأمر الذي دفع باحثاً غربياً مثل Haywood إلى القول بأن العرب : « يحتلون مكان الصدارة في مجال المعجم سواء في الزمان أم المكان وبالنسبة للعالم القديم أم الحديث وبالنسبة للشرق أم العرب » (١) .

ولا أريد لهذا البحث أن يتوجه هذه الوجهة من الحماس أو ينبرى لتأكيد أن عمل الخليل خاصة والإنتاج العربي في مجال المعجم عامة أصيل ، ويتصدى بالدحض والتنفيذ لدعوى من قال إنه تأثر بالهنود أو الإغريق في هذا المجال (٢) . فآخرؤن حاولوا ذلك . وإنما هذا البحث سيركز على إظهار أن عمل الخليل في مجال المعجم نظرية مكتملة بهذا المفهوم العلمي . وسيتناول بالتحليل نصوص الخليل لبيان هذا ، أما الأصالة وعدم الأصالة فذلك قضية خارجة عن اهتمام هذا البحث . أو يرى البحث أن الانشغال بها هو نوع من الحساسية التي تشغل بال البعض فليس يعيب الخليل في شيء أن يكون أفاد في بعض جوانب نظريته من هنا أو هناك ، فهذا عندى ليس سببه أو تهمة يجب التصدى لها ودحضها لنخلص في النهاية إلى اعتبار عمل الخليل إبداعاً عربياً ممحضاً ، إن هذا ليس تفكيراً علمياً ، ولا

1 - انظر B.2 Arabic lexicography .

2 - انظر في ذلك تاريخ آداب اللغة العربية ١٢/٢ ، وتاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ص ١١٤ وما بعدها . وانظر كذلك البحث اللغوي عند العرب ص ٣٣٩ وما بعدها ، والبحث اللغوي عند الهند ص ١٣٧ وما بعدها .

يجب أن يكون غاية ينفق المخادون جهداً أىًّ جهد لإثباتها أو نفيها ، وأكاد أقول إن إثباتها ربما يضيف للتفكير العربي فضلاً لا يقل عن فضل نفيها ، لأنه يؤكد أن العرب كانوا عنصراً فاعلاً في صرح البناء المعرفي للإنسان وحلقة من حلقات العطاء المؤثر في حضارته على امتداد التاريخ البشري ، شأنهم في ذلك شأن كل الأمم المظيمة التي تسهم بتصنيب في تشييد صرح الحضارة الإنسانية ، وهذا مالا تستفيده من اعتبار عمل الخليل مجرد ومضه غير مسبوقة وغير متبرعة ، وليست ذات اتصال بتراث البشرية العلمي . فإن كانت محاولة الخليل إيداعاً تنتظريأ من بناة أفكاره فهو عالم عظيم ظهر في أمة عظيمة ولا غرابة أن يبدع العظاماء من العلماء في أى زمان وأى مكان ، وإن يكن استفاد من بعض الأطر المعرفية في تأسيس نظرية من هنا أو هناك ثم طورها ووضع للغربية نظريته التي تحمل في طياتها كل ملامح النظرية العلمية المنسقة والملازمة للغة التي لها وضعت ، فهذا الصنيع فيه من الفضل ما يجعل من الخليل أحد العلماء الأفذاذ الذين أسهموا بتصنيب في بناء النظرية اللغوية عامة والمعجمية خاصة على مدى التاريخ الإنساني لهذه النظرية أو تلك ، ففي النظرية التحويلية التوليدية – على سبيل المثال – عناصر بعضها عقلية يرجع إلى الاغريق وإلى همبولت الألماني وبعضها وصفى يرجع إلى الهنود ودى سوسير السويسرى وبعضها رياضى وبعضها نفسى وبعضها منطقى ، فهل فكر أحد في التصدى لشومسكي وإزجاج كل عنصر من عناصر نظريته إلى أصلها . وقتها لن يتبقى لصاحب النظرية إلا تهمة السرقة العلمية . وهو عكس ما يحظى به الرجل في الدنيا كلها من اعتباره واحداً من ألف رجل صنعوا حضارة القرن العشرين .

الذى يستحق البحث إثباتاً أو نفيأً أين نحن العرب المعاصرین من ركب الحضارة المعاصرة ، وما نصيّنا الذي نسهم به إن إيداعاً وإن مشاركة في تشييد هذا الصرح الشامخ الذي تسهم فيه أمم كثيرة لستا بحال أقل من كثيرين من المشاركون قدرة على العطاء؟ إن تكون تهمة بالقصصير لا صواب فيها فما أحوجنا

لمن يدحضها حتى نستعيد ثقتنا في أنفسنا وفي قدرتنا على العطاء الخلاق . وإن تكون سبة حقيقة فما أحوجنا لمن يحرك فينا التخوة لنسهم بالدور الذي علينا أن تقوم به لنكون صناع حضارة كفيرنا ، ونتبع الأولى التي قام بها أولئك العظام ومنهم الخليل بالثانية التي هي مسؤولية المتقاعسين من أسلافهم .

أعود مرة أخرى إلى مفهوم النظرية اللغوية ، وإلى مدى انطباق هذا المفهوم على عمل الخليل في مجال المعجم ، فأجد أن بقية فصول هذا البحث ستتوالى الإجابة عن هذا . كما ستبين لنا كذلك أنها مجموعة عناصر فريدة في تشكيل نظريته ، فلم نقرأ أن أحداً أقام نظرية في المعجم على أساس صوتي يمكنه على نظره كمية ، ويوظف خلال ذلك النهج الرياضي في تصور مادة المعجم ، ويجعل من المذذر محوراً لربط المادة المعجمية ، إنها عناصر كما سترى شديدة التداخل والتكامل ، وفيها بصر بجوانب خاصة بالعربية ، وسترى مدى الاتساق والشمولية والبساطة في كل عنصر على حدة ، وفي مجموعة العناصر حين تداخل وتكامل أيضاً .

الفصل الثاني  
الأساس الصوتي



## الأساس الصوتي

١ - كان الأساس الصوتي ركيزة منهجية صلبة : في نظرية الخليل المعجمية ، وجاء كل حديثه عن أصوات العربية ومخارجها وصفاتها في معرض حديثه عن بنية المعجم العربي ، وبلغ علمي أنه أول من وظف الدرس الصوتي بوصفه أول مستوى من مستويات التحليل اللغوي في خدمة مستوى تالي من مستويات هذا التحليل ، وهو أمراتهم الدارسون القدماء - أو جلهم بعدم الالتفات إليه أو الاستفادة منه ، وعد تأثيرهم لمباحث الأصوات في نهاية مؤلفاتهم نوعاً من الإهانة أو عدم الوعي بقيمة الدرس الصوتي في خدمة مستويات التحليل الأخرى كالصرف والنحو والدلالة<sup>(١)</sup> .

ومن خلال الأساس الصوتي سيتبين لنا أن الرجل لم يقدم في كتاب العين دراسة صوتية خالصة ، وإنما كان يعالج إشكالية تفسير نظام المعجم العربي ، ومحاولة فهم أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية أو التعرف على خصائصها التركيبية أو نسيجها الصوتي ، ونظرأ لأن الكلمة في المعجم بوصفه نظاماً هي الكلمة المنطقية ، وهي تترکب من وحدات صوتية أو ما أطلق عليه الخليل مصطلح ( حروف )<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن يعني غير فوئيمات اللغة ، ولم يكن يقصد تبعاً لذلك ما يسمى بالرموز الكتائية letters أو graphs ؛ لأنه لا يفكر في صناعة معجم كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل السابق . ولما كان يفكر في المعجم كنظام ووحدته الكلمة المنطقية وهي تترکب من أصوات اتجه الرجل إلى أصوات اللغة إذ هي البنى التي منها تتشكل الكلمة ، هذا الاختيار إذن - أقصد الاختيار الصوتي - فرضته طبيعة الدراسة المعجمية التي هو بصددها ، ولم يكن له أن يأخذ

١ - انظر على سبيل المثال دراسات في علم اللغة ق ٢ ص ٢٣ / وما بعدها .

٢ - وهكذا سار خالقو الخليل من التحاة على هذا الاصطلاح انظر دروس في علم أصوات العربية ص ١٤٨ .

في تصنیف المعجم بالأساسين الآخرين اللذین كانا مطروحین أمامه لعملیة التصنیف وهم الأساس الألفبائی ، والأساس الأبجدى .

فهو لم يتجه للترتیب الألفبائی *Alphabetical arrangement* الذي وضعه نصر بن عاصم أ ب ت ث خ الخ الذي ظن الباحثون أنه كان أولى بالاتباع لسهولته ويسره لأن هذا الترتیب قائم على أساس وصف الرموز الكتابیة ، بدلیل أنه ترتیب قائم على أساس المجموعات المتشابهة في الرسم الكتابی كما هو معروف وكما يظهر مما يلى : ب ت ث / ج ح خ / ذ ز / س ش / ص ض / ط ظ / ع غ / ف ق / الخ وهي كما سبق القول حروف كتابیة *graphs* وليس وحدات صوتیة *phones* والأولى كما نعرف صورة والثانية هي الأصل ، والأولى قاصرة في أغلب الأحوال عن تمثیل الثانية ، ولا يخفی أن رجلا يسعى إلى التعرف على الأعضاء التي يترکب منها جسم ما عليه أن يذهب إلى هذا الجسد ويشرحه ، ولو جأ إلى صورة الجسم لما أدرك شيئاً ذا قيمة . وهذا هو حال الخليل حين اتجه إلى الترتیب الصوتی انطلاقاً من الغایة التي يسعى إليها وهي دراسة خصائص الكلمة المقطوقة في النظم المعجمی ، وليس الأمر أمر سهولة وصعوبة من جانب كما أنه ليس في حاجة إلى الإحالة إلى تبریز الخليل في الأصوات ، أو اعتماده الشخصی بها قیاساً على اعتماده وإبداعه في الموسيقی والعرض من جانب آخر لأنه توجهه إلى النظم الصوتی كان لأسباب موضوعیة فرضتها طبیعة الدراسة المعجمیة التي يتصدى لها ، وإنما الأمر إلى شخصیة الخليل التي تتمتع بالخاسة الصوتیة يجعل اختيار النهج الصوتی راجعاً لسبب شخصی ذاتی لا موضوعی وهو خلاف الحقيقة ، وإن كانت حاسته الصوتیة قد ساعدته على تبیین الطريق التي كان عليه أن يسلکها فإن هذا الأمر قد أعطاه فقط میزة امتلاک أدوات المعالجة وساعدته على تحقيق أفضیل النتائج العلمیة وهذا أمر طبیعی حين يأخذ العالم المدرب الذي لديه الخاسة الصوتیة المطلوبة والدریة الكافية بالمنهج العلمی الدقيق المناسب لموضوع بحثه ، والذي تفرضه طبیعة الموضوع الذي يتصدى له .

الترتيب الألفبائي إذن ليس هو الترتيب الملائم لموضوع البحث وهو خصائص الكلمة المنطوقه كما أن الترتيب الأبجدي السامي القديم : أبجد هوز خطى كلمن .. الخ هو الآخر ترتيب لرموز كتابية ابتدعها الفينيقيون وطوروها عن نظام الكتابة التصويرية الهميرغليفية - على أشهر الآراء - واختصروا اثنين وعشرين رمزاً كتابياً لاثنتين وعشرين صورة ، بدءاً بالف وتعني الثور في الفينيقية أو ألفا في اليونانية أو ألف في العربية ثم بيت وتعني ( بيت ) في الفينيقية وهي فيتا اليونانية أو الباء العربية ثم جبل وتعني ( جبل ) في الفينيقية وهي جملا اليونانية أو ( جيم ) العربية ... الخ هذه الأبجدية <sup>(١)</sup> .

وكما لم يجد الخليل في الألفبائية العربية سبباً موضوعياً ليستخدمها أساساً للتصنيف لأنها كما سبق القول مجرد رموز كتابية تمثل الكلمة الصامدة في القاموس ، ولا تصلح لتمثيل الكلمة المنطوقة في النظام المعجمي ، نستطيع القول إنه لم يأخذ بالأبجدية السامية لنفس السبب .

## ١ - اللجوء إلى جهاز النطق لحصر الوحدات الصوتية :

إن الجهاز المسمى تجاوزاً جهاز النطق هو الآلة التي تصدر أصوات الكلام ، وأى صوت يخرج عن غير هذا الجهاز لا يدخل فيما يسميه اللغويون بالصوت اللغوي . إن رجوع الخليل إلى مصدر إنتاج الصوت اللغوي هو إدراك مبكر لطبيعة هذا الصوت ، كما أن الالتفات إلى بداية إخراج الصوت اللغوي ونهايته في هذا الجهاز تعكس ملمساً منهجاً في فكر الخليل اللغوي وأعني به الشمولية في النظرة فهو كما سنرى في هذا البحث - بل وفي كل أعمال الخليل العلمية تقريباً - يأخذ بهذه الآية في التفكير فإذا كان عليه أن يحصر كل الأصوات فيمكنه أن يتبع ذلك من أعمق الأصوات مخرجاً إلى آخرها مخرجاً وقتها لن يفوته صوت واحد ، وهذا

١ - انظر في هذا تاريخ الأدب ص ٥٤ ، ٥٥ والفلسفة اللغوية ص ١٦٥ ، واللغة ( لفدريرس ) ص ٣٩٧ وما بعدها وانظر تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين ص ٧١ .

ما فعله الخليل الذى قام فضلاً عن ذلك بوصف الأصوات بعد أن وضعها فى مجموعات بحسب الاتفاق فى المخرج ، وهو عمل سيكون له قيمة فيما بعد عند تقليل المؤاهم اللغوية والتعرف على السلالى الصوتية الأكثر دوراناً والأقل ترداً ، وكذلك الأصوات التى يمكن أن تتبادل فيما بينها فى بنية الكلمة كحرف العلة أو أصوات الحال الخ ... وليس ثمة اعتبار موضوعى لترتيب الأصوات يماثل فى الدقة الترتيب المخرجى ، وإن يكن المحدثون يدعون بآخر مخرج وهو الشفة ، ويستهون بأول مخرج أو أعمق مخرج وهو الحنجرة وهذا عكس ما فعله الخليل وتلاميذه كسيويه ومن جاموا بعده كابن جنى فليس ذلك بعيد فى صنيع الخليل ومن لف لفه ، إذ لا ميزة لأحد الأسلوبين فى وصف الأصوات على الآخر ، غالباً فيما واحدة ، وهى متحققة بأيهما بدأت ، والعبرة فى النهاية بذلك التحديد للمخرج وسلامة التوصيف لطبيعة الصوت .

نجم إذن الخليل في اللجوء إلى الترتيب الصوتي ، ووفق كذلك في الرجوع إلى جهاز النطق لحصر أصوات اللغة كتّحصر من العناصر المنهجية التي تعينه على تحقيق مبدأ الكلية أو الشمولية في الوصف وهو أمر أدركه بعض اللغويين . فهذا الأزرمرى يعلق على فهم بعض العلماء فهسماً غير دقيق لقول الخليل « هذا ما ألغى الخليل بن أحمد من حرف أ ب ت ث التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها ، ولا يخرج شيء منها عنها » حيث فهم البشتي صاحب التكملة كلام الخليل فهماً خطأه فقال : « نقض الذي قاله الخليل ما أودعناه كتابنا هذا أصلاً ، لأن كتابنا يشتمل على ضعفي كتاب الخليل ويزيد ، وسترى تحقيق ذلك إذا حزت جملته ، وببحث عن كنهه » فيعلق الأزرمرى على ذلك قائلاً : « ولا قرأت هذا الفصل من كتاب البشتي استدللت به على غفلته وقله فطنته ، وضعف فهمه ، واستشففت أنه لم يفهم عن الخليل ما أراده ، ولم يفطن للذى قصده ، وإنما أراد الخليل رحمة الله أن حروف أ ب ت عليها مدار جميع كلام العرب ، وأنه لا يخرج شيء منها عنها ، فأراد بما ألف منها ، معرفة جميع ما يتفرع منها إلى آخرين ، ولم يرد أنه حصل جميع

ما لفظوا به من الألفاظ على اختلافها ، ولكنه أراد أن ما أسس ورسم بهذه الحروف وما بين من وجوه ثنايتها وثلاثيتها ورباعيتها وخمساتها في سالمها ومتلها على ما شرح وجوهها أولاً فأول ، حتى انتهت الحروف إلى آخرها ، يعرف به جميع ما هو من الألفاظهم إذا تبع ، لا أنه تبع كله فحصله ، أو استوفاه فاستوعبه من غير أن فاته من ألفاظهم لفظه ، ومن معانيهم للفظ الواحد معنى ، ولا يجوز أن يخفي على الخليل مع ذكاء فطنته وثقوب فهمه أن رجلاً واحداً ليس ببني يوحي إليه يحيط علمه بجميع لغات العرب وألفاظها على كفرتها حتى لا يفوتة منها شيء ، وكان الخليل أعلم من أن يظن هذا أو يقدر ، وإنما معنى جماع كلامه ما يبنته ففهمه ولا تغليط عليه <sup>(١)</sup> .

ويعنيني من أمر النص السابق هذا الفهم الدقيق الذي وعاه الأزهرى من فلسفة طريقة الخليل وأن قصده بالالتجاء إلى هذه الطريقة النظرية الشاملة لحصر كلمات اللغة من خلال حصر الوحدات الصوتية التي منها تتشكل ، وأن أية كلمة في لغة العرب لا تخرج عن أن تكون مولفة من هذه الوحدات التي أحصاها ووصفها . أما عد الكلمات المستعملة وجمعها في معجم فذلك مهنة صناع المعاجم وهم يتفاوتون في قدرتهم على الحصر وجمع الكلمات ، إن الخليل يشير إلى آلية منهجية نظرية تحصر إمكانيات توليد كلمات اللغة من أصوات بعضها لا تخرج الكلمة العربية عنها ، والبشتى يتكلم عن كم الكلمات التي جمعها وضمنها كتابه .. ومن هذا النص نفهم صراحة أن الخليل لم يكن يفكر في جمع كلمات اللغة لفظة لفظة ووضعها في قاموس ، بل كان همه الأول فهم أسرار المعجم وفك شفرته اللغوية كما سبق القول .

### ١ - ٣ البدء بالعين والتسمية به :

كما لجأ الخليل للترتيب الصوتى لأسباب موضوعية اتضحتها طبيعة

الدراسة ، نجد الخليل يفاجئنا بأمر آخر لم يكن - على ما يبدو - في حسبان كثيرين وهو جعله بدأية الأصوات حرف العين . والأمر لم يكن تخميناً بلا كان نتيجة تجربة علمية قام بها وتعرف من خلالها على طبيعة الأصوات ، وانتهى إلى اختيار العين ، ينقل لنا الليث ذلك بعبارة واضحة لا غموض فيها « قدبر ونظر إلى المحرور كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصيّر أولها بالابداء أدخل حرف منها في الحلق ، وإنما كان ذواقه لياماها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف . نحو اب ، ات ، اخ ، اع ، اغ فوجد العين أدخل المحرور في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرب منها فالأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم (١) » . من النص السابق نفهم الأمور التالية :

١ - ٣ - ١ : أن اختياره للعين إنما جاء عن طريق الاختبار والتجربة ، وهو أمر يحسب لصالح الخليل في اعتماده على التجربة ، ويؤكد أصلالة المحاولة الخليلية فهو يتحمل بناء على ذلك صواب النتيجة أو عدم ذلك .

١ - ٣ - ٢ : أنه كان يلجأ للتعرف على خاصية الصوت إلى وضع ألف كرسبيط يعين على إحداث نوع من الوضوح السمعي Seniority للصوت الذي يسلوقة وليس لنا اليوم أن نقول إن هذا الصنيع غير دقيق اعتمد على وسائلنا الحديثة ، بل تظل المحاولة الشخصية للنوع الصوت مؤثراً للسبق العلمي في مجال الدرس الصوتي التجاري ، ويکاد الإجراء الخليلي أن يطابق نتائج الكيميو جراف والأوسيلو جراف والسبكتو جراف إلا في عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من الأصوات الأرجح أن يرجع الخلاف بين الدرس الحديث وما قاله القدماء إلى طبيعة الأصوات التي وصفها القدماء ونصفها نحن اليوم ، فربما كان القدماء يصفون أصواتاً تنطق بطريقة أخرى غير نطقنا لها اليوم وبخاصة الضاد والظاء والكاف والجم .

١ - ٣ - ٣ : أنه وجد العين أعمق الأصوات ثم جاء بعدها بالأرفع فالأرفع ، ويبدو من ذلك أن قوة الرضوح السمعي في نسيج الكلمة العربية كانت عاملاً مرجحاً بين مجموعة الأصوات التي تنتهي إلى مخرج واحد . ولم يكن الترتيب مخرجياً خالصاً . أى لم يكن قائماً على السبق المخرجى وحده . بدليل أنه لم يبدأ بالهمزة وهي عنده أسبق مخرجأً كما يظهر بوضوح من النصوص التالية :

- قال ابن كسيان : « سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغير والخدف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا في فعل إلا زائدة ، أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهمسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والهاء فوجدت العين أنصع المخرجين فابتداً بها ليكون أحسن في التأليف <sup>(١)</sup> » .

- وينقل الأزهري عن الخليل قوله « والعريض في المروف المعتلة ، وهي أربعة أحرف الهمزة والألف اللينة والياء والواو ، فاما الهمزة فلا هجاء لها ، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة ياءً ، فاما ألف اللينة فلا صرف لها ، إنما هي جرس مدة يعد فتحة ، فإذا وقعت عليها صروف المحرّكات ضعفت عن احتمالها ، واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو ، كقولك عصابه وعصائب كاهل وكواهل ، سعلاة وثلاث سعاليات فيمن يجمع بالباء ، فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة ، والواو التي في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خلقاً منها والياء التي في السعاليات خلف من الألف التي في السعلاة ، ونحو ذلك كثير ، فالألف اللينة هي أضعف المروف المعتلة والهمزة أقوىها متناً ومخرجها من أقصى الملقى من عند العين <sup>(٢)</sup> » اهـ .

- ويجلو الخليل مخرج الهمزة أخيراً فيقول : « وأما الهمزة فمخرجها من أقصى

١- المزهر : ١ / ٩٠ .

٢- هـ : ١ / ٥١ .

الخلق مهتوة ، مضغوطه فإذا رُفِع عنها لانت فصارت الياء والواو والألف من غير طرق الحروف الصحاح » (١) .

من النصوص السابقة نفهم ما يلى :

أن الهمزة عنده هي أول الحروف مخرجأ ، فهي من أقصى الخلق ، في الحيز الأول وكذلك الهاء أما العين ففي الحيز الثاني ، مما دعاه إلى الاعتذار عن عدم البدء بها .

أنه لا يقوم بالترتيب الخروجي للأصوات كإجزاء وصفى هو هدف في حد ذاته بل إنه يقوم به توطنه لفهم خصائص التركيب الصوتي للكلمة ، الأمر الذي جعله في ضوء هذا الهدف يضع في اعتباره أى الأصوات أكثر دورانا ، وأكثرها ثباتا واستقرارا في بنية الكلمة ، كما حداه أن يطروح إجراء الصوتي لخدمة غاية المعجمية .

في ضوء ما سبق لا غرابه أن يتخلى عن الهمزة والهاء اللتين تسبقان العين لأسباب موضوعية تفرضها طبيعة المعالجة ، وهي أن الهمزة أقل ثباتا في بنية الكلمة وأقل وضوحا من الناحية السمعية « فهي مهتوة مضغوطه » وأكثر تغيرا « فإذا رُفِع عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طرق الحروف الصحاح » هذه طبيعتها في نسج الكلمة حين تسهل تصير في ذهب ( ذهب ) وفي أؤمن ( أو من ) وفي رأس ( راس ) ، فالقراية بين هذه الأصوات في تشكيل الكلمة معجمياً واضحة وإمكانية انقلاب أحدها إلى الآخرة واضحة ، فضلاً عن أن نسبة تردد هذه المجموعة الصوتية في الكلمة العربية من أقل النسب .

ففي الدراسة التي قام بها الدكتور على حلمي موسى لجذور معجمي الصحاح واللسان نجد أن نسبة تردد حروف العلة والهمزة في ذيل القائمة كما يظهر من المقارنة التالية مثلاً :

جدول اللسان (٢)		جدول الصحاح (١)		الصوت
نسبة التردد %	عدد التردد	نسبة التردد %	عدد التردد	
٧,٨٣٣	٢٤٠٨	٨,٢٨٧	١٤٧٠	ر
٥,١٢٣	١٥٧٥	٥,١٠٢	٩٠٥	ع
٢,٧٩٨	٨٦٠	٣,٤٩٥	٦٢٠	و
٢,٤٤٠	٧٥٠	٢,٨٩٢	٥١٣	ء
١,٥١٦	٤٨٠	١,٦٧٤	٢٩٧	ى
١,٧٣٤	٥٣٣	٢,٤٠٢	٤٢٦	ا

من المدخل السابق يتبين أن وضع العين في صدر المعجم جاء من ملاحظة أنها أكثر حروف المقدمة دوراً في الكلمة العربية ، وأنصعها من حيث قوة الوضوح السعي بالقياس إلى الهمزة والهاء ، كما أن وضع حروف الملة في مجموعة واحدة في آخر المعجم جاء كذلك تعبيراً عن نفس الخاصية التي جعلت العين في المقدمة ، فهي أقل الأصوات ترددًا في بنية الكلمة ، وأضيقها من حيث قوة الشبات النسبي الراجع إلى تقلبها فيما بينها . وهو ما يؤكد ما أسلفت الإشارة إليه من أن الخليل لم يقدم هذا الترتيب المترجح بوصفه ترتيباً صوتياً خالصاً بل هو ترتيب صوتي في سياق خاص هو التعرف على نسخ الكلمة الصوتى . وهذا ما يفسر المعلومات التي تبدو نشاداً في هذا المقام في حديث الخليل عن الصحة والاعتلال ، وحديثه عن الصناعة وحديثه عن الأرفع فالأرفع ، وحديثه عن عليه انصرافه عن الهمزة وهي في المقدمة وكذلك الهاء وذلك لكونها مهترته مضغوطه ، ولا يرفع هذا الفحص وذلك الاضطراب الظاهري إلا إعادة فهم الغاية التي من أجلها طرح هذه المعلومات الصوتية الصرفية ، إذ هو يقدمها خدمة لهدفه الأساسي في تفسير البنية المعجمية .

١- إحصاءات الصحاح : ص ١٠٩ .

٢- إحصاءات اللسان : ص ٨٣ .

ويبدو أن ثمة اعتبارات أخرى يميز بها حرف العين أحاسها الخليل وأحسها وأسجلها كذلك بوصفها انطباعات شخصية من ذلك :

– أن العين التي اختارها الخليل صدرأً لأبجدية العربية هي نفسها صدر للعلم الذي أطلق على الأمة صاحبة هذه اللغة وأقصد بذلك كلمة عرب ، ولا أحسب أن بعض ما انتهى إليه الدرس الإحصائي فيما يخص هذه الكلمة كان يغيب عن هذا الحس الخليلي ، فأكثر الحروف مجيناً بعد العين في العربية هو الراء ، كما أن أكثر الحروف مجيناً في العربية بعد حرف الراء هو الباء (١) . فهل هذا كان يغيب عن إحساس الخليل ؟ .

– أن كلمة عرب استخدمت في الدلالة التي أشار إليها الخليل فيما يتصل بحرف العين ، وأعني مفهوم الإبهانة والوضوح .

– أن اسم هذا الحرف وهو كلمة (عين) هو من أكثر الألفاظ إفاده للمعنى أو إفاده لمعان عدة كما هو معروف مثل : الدلالة على الباصرة ، وعين الشخص وعين الركبة ، والحسوس ، وعين الماء ، وغيرها ولا يغيب عن البال أن الدلالة الأخيرة (عين الماء) لصيغة بحياة العربي ابن الصحراء ولا بد أن تكون لصيغة وذات خصوصية في لغته . ولا أعرف شيئاً أكثر قرباً إلى نفس العربي وعقله من لغته . وللعين اتصدر من أصوات هذه اللغة . ولا بد أن الخليل أعمل فكرة في هذه الروجوره جميماً حين اختيار العين ، ولعل من اللافت للنظر أن عبارة أعمل فكره لم ترد إلا في هذا الموضوع أقصد اختيار العين صدرأً لترتيبه الصوتي .

#### ١ - ٤ : موقف الخليل من الألف :

إن موقف الخليل من الألف في حاجة إلى فضل نظر ، وقدر من التدبر ، فعبارة الخليل تعني أنه كان من الممكن أن يبدأ بالألف ، ولكنه انصرف عنه لأنه

١ - انظر إحصاءات الصحاح ص ٢٤١ و ص ٢٩ .

حرف معتل لا يأتي في بداية الاسم والفعل إلا زائداً . وهو ما يمكن أن يفيد ضمناً أنه تصور الألف على أنه صوت صامت Consonant . فما هي حقيقة هذا الصوت عند الخليل . هل هو حركة طويلة Vowel أم صوت صامت ؟ لا أظن أن أحداً أحق أن يجلو لنا هذا الأمر من الخليل نفسه . فماذا قال عن هذا الصوت ؟ .

قال الليث ؛ قال الخليل ؛ في العربية تسعه وعشرون حرفأً : منها خمسة وعشرون حرفأً صاححاً لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف حروف ، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة ؛ وسميت حوفاً لأنها تخرج من الجوف فلما تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسّب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هواية أي أنها في الهواء <sup>(١)</sup> .

وقال الأزهري : وروى غير المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال : الحروف التي يبني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفأً ، لكل حرف منها صرف وجرس ، أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف ، وأما الصرف فهو حركة الحرف <sup>(٢)</sup> .

من التصينين السابقين يتبيّن لنا ما يلي :

١ - ٤ - ١ : أن هناك خمسة وعشرين صوتاً صامتاً حسب ترتيب الخليل تبدأ بالعين وتنتهي باليمين . لا خلاف في كونها صامتة وهي بحسب الترتيب الألقيائي الأصوات من الياء حتى الهاء وهي : ب ت ث ج ح ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه .

١ - ٤ - ٢ : ثمة صوتان - هما الواو والياء يعدان صامدين في مثل قول

١ - انظر ع : ١ / ٥٧ ، ه : ١ / ٤٨ .

٢ - انظر ه : ١ / ٥٠ .

وصوم ، عينَ وَيَتْ . فيكون مجموع الصوامت بهذين الصوتين سبعة وعشرين صامتاً .

١ - ٤ - ٣ : يبقى من جملة الأصوات التسعة والعشرين صوتان عما الهمزة والألف وهذا في حقيقة الأمر ليسا سوى صوت واحد ، غير أن ثمة خلطًا في التسمية هو الذي أدى إلى كل هذا الاضطراب في فهم كلام الخليل . فمن المعروف أن لفظ ألف كان يطلق اسمًا على الصوت المعروف بالهمزة أو الوقفة الخنجرية Glotal stop ، وأن كلمة همزة كاسم على هذا الصوت هي اصطلاح حديث نسبياً ، وثمة أدلة كثيرة على هذا لا مجال لسردها (١) .

والخليل في نصيه السابق في العربية تسعة وعشرون ، حين ذكر الألف كان يقصد شكلاً من أشكال الهمزة ، ولم يكن يقصد الألف التي هي حرف مدد في مثل قال وباع وهو يدرك ذلك تماماً ونراه حين يقصد الأخيرة يمتنعها بالفقط لين فيقول ألف اللين أو الألف اللينة . أما إذا أراد بالألف ما يفيد الهمزة فيقول : ألف فقط دون أى نعوت وقد أدرك الخليل إمكانية إساءة فهم مصطلح ألف فقام بوضع رأس عين (ء) على الألف حين يقصد به الهمزة ، و مجرد صورة الألف التي هي للمد واللين من هذه العلامة . ومعلوم أن رأس العين هي الرمز الكتائبي للهمزة أو الوقفة الخنجرية كما هو معروف .

ما سبق يتبيّن لنا أن الكلمتين ألف وهمزة في نص الخليل واقعتان على صوت واحد هو المعروف بالوقفة الخنجرية ، ويكون التعارض الظاهري بين النص السابق في العربية تسعة وعشرون والنص اللاحق (الحرروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون ) قد زال . وإنما فصل في نص تسعة وعشرين ، لأنه إنما يرمي بالألف شكلاً من أشكال الهمزة وهي الهمزة المسهلة في مثل راس ، وذيب ،

١ - انظر في تفصيل ذلك سر صناعة الاعراب ١ / ٤٧ ، وتاريخ الأدب ص ٢٨ ، ودراسات

في علم اللغة ١ / ٤٩ وما بعدها .

ويرمى بمصطلح همزة الهمزة المخقة في مثل رأس وذئب . هذا التداخل بين الهمزة والألف هو الذي أدى إلى هذا الفصل وحين يتفاوض عندها يعدهما صوتاً واحداً فيقول : « والمرورف الثمانية والعشرون على نحوين : معتل وصحيح ، فالمعتل منها ثلاثة أحرف : الهمزة والياء والواو . قال وصورهن ماترى ( اوى ) ، قال واعتلالها تغيرها من حال إلى حال ، ودخولها بعضها على بعض واستخلاقها بعضها من بعض ، وقال وسائر المرورف صحاح لا تغير <sup>(١)</sup> » .

فهو هنا طرح مصطلح ألف ورجع إلى المصطلح الأصلي <sup>(٢)</sup> لصوت الوقفة الحنجرية وأعني به كلمة ( همزة ) وحديثه عن صنفى الصوات ، وكونها مجموعة صحيحة لا تغير في بنية الكلمة ، ومجموعة تغير تأكيد آخر على أنه لا يقدم كلامه الصوتي هنا الا لغاية معينة وهي معرفة طبيعة هذه الأصوات وأحوالها في بنية الكلمة معجماً ، وليس من قبيل اللغو أو الخلط وهو في معرض الحديث عن خصائص الأصوات في تشكيل الكلمة أن يقول : إن بعض هذه الأصوات ثابت وبعضها يتغير ، فالحديث الصوتي ليس صوتياً خالصاً ، وليس مقصوداً لذاته كما سبق القول مراراً .

وإذا كانت طبيعة الهمزة أو صورتها المسهلة التي كان يطلق عليها ألف فقط هي عدم الثبات والاستقرار في تشكيل الكلمة ، فقد نحوها ووضعها في مكانها من حيث الأثر والدوران في بنية الكلمة أعني ضمها مع نظائرها في نفس المخالصية وأعني الواو والياء وهي مجموعة جاءت كما سبق القول في ذيل ترتيب الخليل ، وأكيدت الإحصاءات ذلك كما سبق ، وعليه جاء ترتيب الخليل كما صاغه المعاوري <sup>(٣)</sup> :

---

١ - انظر هـ : ١ / ٥٥ .

٢ - أقصد بالأصلي الأساسي الشائع على هذا الصعيد المعروف بالوقفة الحنجرية ، ولا أقصد الأصل التاريخي ، ولا فمصطلاح ألف أقدم من مصطلح همزة لا مشاحة .

٣ - انظر المزهر - ٨٩ - ٩٠ .

واللام والنون ثم القاء والباء  
واليم والواو والهموز والياء

والهموز هنا هو الهمزة بتصوريتها المحققة والمسهلة (أو الألف) بدون وصف . وعِدَّة الحروف بناء على هذا ثمانية وعشرون . ولا يمكن أن يكون المقصود بالهمزة هنا بحال ألف المد أو الألف اللينة لأن الخليل يقول : إن لكل حرف من الثمانية والعشرين صرفاً والصرف هو حركة الحرف والذى يقبل الحركة هو الصامت أما ألف المد فهى نفسها حركة طويلة كما هو معروف .

وبناء على ما سبق فإن كلمة ألف عند الخليل جاءت بشكليين ودلالتين :

**الشكل الأول :** ألف : وهى الهمزة المسهلة فى مثل راس وذىب ولعل هذا هو ما فهمه ابن جنى حين قال : « أعلم أن الألف التى فى أول حروف المعجم هى صورة الهمزة وإنما كتبت الهمزة وأوأً مرة وباء آخرى على مذهب أهل الحجاز فى التخفيف » انظر سر الصناعة ١ / ٤٦ ، وللى قريب من هذا أيضاً ذهب أستاذنا د. إبراهيم أتيس فى تعليل ذكر سيبويه لكلمة ألف بعد الهمزة فقال : فربما أراد بكلمة ألف تفسير المقصود من كلمة همزة ... ثم يضيف « ولعل ما يستأنس به لهذا التوجيه أن سيبويه ومن جاموا بعده كانوا يذكرون فى موضع آخر نوعاً ثانياً من الألف ويسمونه بـألف المد (١) » والصواب أن الخليل سبق بذكر هذه الألف الثانية وسماتها الألف اللينة كما سبق القول .

**الشكل الثاني :** الف لين (أو الألف اللينة) وهى حركة طويلة كما فى قام وصام ، وليس هذه الألف من الصوات عند الخليل سواء فى نص (تسعة وعشرين) أم فى نص (ثمانية وعشرين) . وهذا ما عبر عنه ابن جنى قائلاً : « فاما المدة التى فى نحو قام وصام وكتاب وحمار فصورتها أيضاً صورة الهمزة الحقيقة التى فى أحمد وإبراهيم وأترجة ، إلا أن هذه الألف (يقصد ألف قام

---

١ - انظر الأصوات اللغوية ص ١١٥ .

وأخواتها ) لا تكون إلا ساكنة ، فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة ، وإن اختلف مخرجها <sup>(١)</sup> .

### ١ - ٥ موقف الخليل من الهاء :

حدثت الخليل عن الهاء هو الآخر في حاجة إلى وقفة أخرى لتبيين طبيعة هذا الصوت عنده ونعرف مخرجها كما رأه ، فالنص المشهور عن الخليل وهو نص العين يضع الهاء في مخرج لاحق أو تال للعين والباء ، كما أن ثمة نصوصاً أخرى في العين أيضاً يفهم منها صرامة أنه يدرك أن الهاء سابق مخرجياً على العين ، وثمة نصوص منسوبة للخليل في غير العين تؤكد هذا ، فما الحقيقة ، ولماذا لم يبدأ بالهاء وتركها كما ترك الهمزة من قبل وبدأ بالعين ؟ لترك الخليل نفسه ومن خلال النصوص المنسوبة إليه يوضح الأمر ويجلوه .

أما أشهر النصوص التي تقييد أن الهاء تالية للعين والباء قوله في أول المقدمة « وهذا تأليفه : ع ، ح ، هـ ، خ ، ق ... <sup>(٢)</sup> . »

والترتيب السابق هو المعتمد عند جمهرة من تبع الخليل من العلماء كالآخرى في تهذيبه وأبن سيدة في محكمه <sup>(٣)</sup> ، وهو الذي شاع عن الخليل حتى فيما رواه الناظمون لهذا الترتيب من أمثال سلمه بن عبد الله المافرى حين قال : يا سائل عن حروف العين دونكها فـى رتبة ضمها وزن إحصاء العين والـــــاء ثم الهاء والباء . والـــــاء ثم الـــــاف ثم الـــــاف <sup>(٤)</sup>

ولكن ثمة نصوص أخرى في العين نفسه وفي سواه يفهم منها صرامة أن الخليل يرى الهاء أسبق من العين مخرجياً كما سبقت الإشارة . ففي العين والتهذيب

١ - انظر سر الصناعة ١ / ٤٨ .

٢ - ع : ٤٨ / ٤٨ ، هـ : ١ / ٤١ .

٣ - الحكم : ١ / ١٦ .

٤ - المزهر : ١ / ٨٩ .

في معرض توزيعه للأصوات على مخارجها مخرجًا مخرجًا قال : « فالعين والباء والباء والغين حلقة لأن مبدئها من الحال (١) » وليس في النص السابق أية إشارة إلى الباء كما هو واضح وهو نص موجود في جميع النسخ التي اعتمد عليها المحققان .

وفي نص آخر يقول : « وأما مخرج العين والباء والباء والغين فالحلق (٢) » وفي هذا النص ذكرت الباء غير أن المحققين أشارا إلى أن الباء سقطت من النسختين (ى) و (ك) وأنهما أضافاها اعتقاداً على ورودها في بعض النسخ الأخرى ، وبشى من التأمل في نص ٥٨ المتفق عليه ، ونص ٥٢ المختلف حوله ، يتبين أن نص ٨٥ المتفق على عدم وجود الباء فيه أقرب إلى القبول بدلليل وجود بعض النسخ في نص ٥٢ خالية من الباء ، وهو ما يتفق مع النص الأول المتفق عليه .

وفي نص ابن كيسان فيما حكى السيوطي قال : سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة ؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والخذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة ولا بالباء لأنها مهوسنة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والباء فوجدت العين أتصبغ الحرفين فابتداأت بها ليكون أحسن في التأليف (٣) .

وهذا النص من الوضوح بحيث يفهم منه صراحة ما يلى :

- أن الهمزة أسبق الأصوات مخرجًا يليها الباء ، وهم معاً من مخرج واحد أو حيز واحد هو الحيز الأول .

- أما العين فتلى الباء في المخرج وأن مخرج العين من الحيز الثاني ويليها الماء .

١- ع : ١ : ٥٨ .

٢- ع : ١ : ٥٢ .

٣- المزهر : ١ / ٩٠ .

- أنه لم يبدأ بالهمسة لأنها يلحقها النقص والتغيير والمحذف ، وأنها مهتوته مضغوططة أى غير واضحة في السمع كما قال ذلك في نص آخر . ولا بالهاء لأنها مهمسة خفية لا صوت لها أو لهتها وعدم وضوحها السمعي كذلك . وقد عبر عن ذلك بصراحة في أكثر من موضع في العين والتهذيب حين قال « ولو لا همة في الهاء وقال مرة همة لأنسيت الهاء لقرب مخرج الهاء من الهاء » .<sup>(١)</sup>

فلا غموض ولا خفاء في كون الخليل يدرك تماماً أن ترتيب الأصوات من حيث السبق المخرج هو الهمزة يليها الهاء يليها العين فالهاء . وأن تأخيره للهمسة والهاء إنما جاء لأسباب صوتية ممجمدة معاً ، فهما صوتان ليس لهما الوضوح السمعي الذي للعين وهو كذلك أقل ترددًا ودورنا في نسيج الكلمة من العين أيضاً . وكما أثبتت الدراسات الإحصائية من قبل أن الهمزة أقل ترددًا في بنية الكلمة من العين ، فهي تثبت نفس الحقيقة إذا ما قورنت الهاء بالعين وإليك ثلاثة الأصوات في مقارنة إحصائية :

إحصاءات اللسان <sup>(٢)</sup>		إحصاءات الصحاح <sup>(٣)</sup>		الصوت
النسبة المئوية	مجموع التردد	النسبة المئوية	مجموع التردد	
% ٥,١٢٣	١٥٧٥	% ٥,١٠٢	٩٠٥	ع
% ٢,٤٤٠	٧٥٠	% ٢,٨٩٢	٥١٣	ء
% ٣,٣٧٧	١٠٣٨	% ٣,٣٢٦	٥٩٠	هـ

١- ع : ١ / ٥٧ ، هـ : ٤٨ / ١ ، ويقول أستاذنا الدكتور عبد الله درويش نقلًا عن الخليل : « ولو لا همة في الهاء لأنسيت الهمزة » ولا أدرى من أين جاء بهذه النص انظر المعاجم العربية ص ٧٥ .

٢- إحصاءات الصحاح جدول ٣٠ ص ١٠٩ .

٣- إحصاء اللسان جدول ٢٥ ص ٨٣ .

إلى جانب ما سبق عرضه عن الأساس الصوتي كعنصر منهجي في نظرية ، فإن جوانب هامة سوف تظهر لهذا الأساس مبنية في تضاعيف عرض الأساس الأخرى وبشكل يعكس تداخل الأساس وتكاملها .

### الخليل والمحدثون :

لقد تناول عدد من الدراسين المحدثين جهد الخليل في كتابه العين وبخاصة الجانب الصوتي بالنقد الذي يصل إلى حد الاتهام بالعجز أو عدم القدرة على التعبير عن أفكاره أو الخطأ الصراح ، كما سلبت كثيرة من أفكار الخليل الأصلية والرائدة ونسبت لغيره ، وهو أمر يمالجه البحث هنا لا من قبيل الدفاع عن شخص الخليل ، بل من زاوية استكمال فهم فلسفة الأساس الصوتي عنده ، وتأصيل المباحث الصوتية التي جاء بها بوصفها عنصراً بارزاً في تشكيل النظرية الخليلية .

وسوف أختص من بين هؤلاء الباحثين ثلاثة كنموذج لهذا التناول المخاص لجهد الخليل أما الأول فأستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، ويندو أن جل ما قاله هنا كان قبل تحقيق كتاب العين ونشره . يقول سعادته « ومن النتائج التي حققها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً ، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين (١) » .

وليس يخفى أن النص المحقق الثابت النسبة إلى الخليل فيه ما يدحض هذه الدعوى ويبت بها لا يدع مجالاً للشك أن الخليل أول من أدرك قوة الوضوح السمعي لهذه الأصوات ومعها الراء والفاء والباء وأطلق على ستة الحروف مصطلح حروف الذلقة أو الحروف الذلقة أو الذلوقية ، أى التي تخرج من ذلق اللسان أى طرفه يقول الخليل : « أعلم أن الحروف الذلقة والشفوية ستة وهي : رل ن ، ف ب م ، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلقة في المنطق إنما هي بطرفة أسلة اللسان والشفقين وما مدرجتا هذه الأحرف الستة منها ثلاثة ذلقة ( ذلوقية ) رل ن ،

١ - الأصوات اللغوية ص ٢٧ .

تخرج من ذلك اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة شفوية : ف ب م . مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تصل الشفتان في شيء من الحروف الصراح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والتون <sup>(١)</sup> .

فهذه الذلة أو الطلقة أو الوضوح السمعي الذي تسم به هذه المجموعة هي خاصية مميزة تفرد بها من دون بقية الحروف الصراح ، وهي الخاصية التي جعلتها تتعتمد بأعلى نسبة تردد في كل جذور اللغة وهو أمر قرره الخليل قائلاً « فلما ذلت الحروف السمه وذلت بهن اللسان ، وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبجية الكلام <sup>(٢)</sup> » .

ونص الخليل السابق يعطينا حكمًا دقيقاً عن هذه الحزمة الصوتية فقد مذل بهن اللسان أى انطلاق وهو ما يعني أنها تتميز بالوضوح ، وسهلت عليه في المنطق تحمل خاصية السهولة ، وقوله كثرت في أبجية الكلام تعني الشيوع ، والوضوح والسهولة والشيوع خواص معلومة بالنسبة للحركات الطويل منها والقصير ، والسهولة والشيوع أمران مؤكدان للحركات فالحركة أسهل نطقاً من الصامت ، وهي كذلك أكثر شيوعاً لخفتها حسب قانون المجهد <sup>(٣)</sup> ، وفي دراسة إحصائية حديثة أجريت على عينات لغوية من نصوص عربية مختارة استهدفت معرفة نسبة شيوع الفوئيمات في الكلمات ( لا الجنور ) تبين أن هناك علاقة بين الخواص اللغوية التالية :

- ١ - الشيوع .
- ٢ - الشبات .
- ٣ - السهولة .

---

- ١ - ع : ٥١ / ٥٢ .
- ٢ - ع : ١ / ٥٢ .
- ٣ - انظر دراسة الصوت اللغوي : ص ٣٣٩ .

« فكلما زاد شيوع الفونيم زاد ثباته ، وكلما قل شيوعه قل ثباته ، وقد يرتبط المتغيران ( الشيوع والثبات ) بمتغير ثالث هو السهولة فكلما زادت سهولة الفونيم في النطق زاد شيوعه ، وكلما قلت سهولة النطق قل شيوعه <sup>(١)</sup> » .

وقد جاءت نتائج هذه الدراسة التي شملت الحركات والصوات مؤكدـة أمرـين :

الأول : تقدم الحركات على بقية الصوات Consonants <sup>(٢)</sup> .

الثاني : تقدم اللام والنون والميم على بقية الصوات <sup>(٣)</sup> .

وهذه القرابة في الشيوع والسهولة والثبات بين الحركات من جانب وهذه الأصوات الذوقـية من جانب آخر تطابق ما انتهى إليه الخليل من ملاحظـة هذه المجموعة من الصوات وتطابق كلام الخليل كذلك إحصـائيات الصحـاح واللسان نسبة تردد هذه الصـوات في جـلـورـ المعـجمـينـ السـابـقـينـ كما يتـضـعـ منـ الجـلـولـ التالي :

---

١ - الأصوات اللغوية ( للخولي ) ص ١٠٨ .

٢ - السابق ص ١١٧ .

٣ - جاءت اللام رقم ٣ بعد الفتحة والكسرة القصيرـتينـ ، وجاءت النون رقم ٧ بعد الفتحـةـ الطـوـيـلةـ والنـاءـ والـضـمةـ القـصـيرـةـ ، ومجـى الفـتحـةـ الطـوـيـلةـ والنـاءـ هـنـاـ هـوـ بـسـبـبـ طـبـيـعـةـ الـدـرـاسـةـ الـتـيـ تـدـرـسـ الـكـلـمـاتـ لـاـ الـحـذـورـ ، وـجـاءـتـ الـمـيمـ رقمـ ٨ـ وـهـوـ مـاـ يـعـنـيـ أـنـ هـذـهـ الصـواتـ الـثـلـاثـ تـشـتـرـكـ فـيـ الشـيـوعـ مـعـ الـحـرـكـاتـ . اـنـظـرـ السـابـقـ نـفـسـ الصـفـحةـ .

إحصاءات اللسان (٢)		إحصاءات الصباح (١)		الصوت	مسلسل
النسبة المئوية	مرات التردد	النسبة المئوية	مرات التردد		
٧,٨٨٣	٢٤٠٨	٨,٢٨٧	١٤٧٠	ر	١
٦,٢٠٣	١٩٠٨	٥,٩٢٥	١٠٧٥	ل	٢
٦,١٣٨	١٨٨٧	٥,٢١٥	٩٢٥	ن	٣
٥,٩٣٧	١٨٢٥	٥,٧٢٢	١٠١٥	ب	٤
٥,٧٦٤	١٧٧٢	٦,٠٦٠	١٠٧٥	م	٥
٤,١٨٠	١٢٨٥	٤,٣٢٤	٧٦٧	ف	٦

وليس الامر مجرد صدقة لأن تأتي تحكم الخليل الدقيقة في إدراك خواص هذه الأصوات مطابقة للإحصاءات وتندعس سبقة في ذلك ، وقرابة هذه المجموعة في الأثر مع الحركات بكثرة التردد في بني الكلمة إما هي صدى لقرابة في خواص الطقطقة . ويكون بذلك الخليل هو الأسبق في الملاحظة من المحدثين .

وإنطلاقاً من كون أستاذنا التيس على ما يليه من المعرفين بنسبة العين للخليل فها هو ينسب إلى ابن جنji مصطلح الذلاقة قائلاً « تلك الحروف التي سماها ابن جنji في كتابه سر صناعة الإعرابي بحروف الذلاقة » (٢) .

وليس يخاف من التصريح السابقة أن المصطلح الصوتي الدقيق هو من تسمية الخليل وليس ابن جنji . بل إن سعادته إنطلاقاً من نفس الأساس الذي لا

١ - إحصاءات الصباح ١٠٩ ، ولاحظ ترددتها في كل جنر على حدة ص ٥٩ ، ص ٧٥ ، ص ٩٣ .

٢ - إحصاءات اللسان ص ٨٣ ، ولاحظ ترددتها في كل جنر على حدة ص ٢٥ ، ص ٤٧ ، ص ٦٣ ، وانتظر ص ٩٥ لترى مقارنة بين إحصاءات الصباح واللسان في كل الجنر وهي تندعس نفس الترتيبة .

٣ - الأصوات اللغوية ص ١٠٩ .

يعترف فيه بنسبة المصطلح للخليل يعود فينسب أيضاً خاصية هذه المجموعة أو السلسلة الصوتية إلى ابن جنى فيقول « ويبدو أن ابن جنى حين لا حظ كثرة شيوخ هذه الأصوات في اللغة العربية بحيث لا تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصولها وضع لها هذه التسمية ، واعتبر غيرها من الحروف مصنفة (١) ».

والذى لا حظ ذلك هو الخليل وليس ابن جنى وقد سبق اقتباس قول الخليل « فلما ذلت الحروف ستة ومتذل بهن اللسان ، وسهلت عليه فى المنطلق كثرت فى الكلام ، فليس ثنىء من بناء الخماسى الثام يعرى منها أو من بعضها (٢) » ويضيف الخليل بعد ذلك قائلاً : « وأما بناء الرباعى المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذائق أو من بعضها إلا كلمات نحوها من عشر جن شواد ومن هذه الكلمات المسجد والقسطوس والقداحس والدعشقة والهدعة والزهقة وهى مفسرة في أمكتتها (٣) ».

وبعد أن ينسب ذلك إلى ابن جنى يلجأ إلى الاعتراض عليه واتهامه بالتكلف والتعسف حين حاول الأخير أن يفسر خروج بعض الكلمات عن هذه القاعدة مثل المسجد (٤) ، وأمر شلود هذه الأمثلة العربية الفصيحة هو حكم الخليل كما يظهر من النص السابق لأن جذور الرباعى والخماسى التي تصل عدتها كما فى إحصاءات اللسان إلى ٢٧٣٥ جذراً (٥) بكل ما يمكن أن يتوارد عنها من كلمات تصل إلى عشرات الألوف حين يوجد نحو عشر كلمات تخرج عن قانون تخصيص له هذه النسبة الهائلة فهل وصفها بالشلود فى حاجة إلى تقليل سواء أكان متتكلفاً

١- السابق نفس الصفحة .

٢- ع : ١ / ٥٢ .

٣- ع : ١ / ٥٣ ، ه : ٤٥ .

٤- الأصوات اللغوية : ص ١٠٩ .

٥- تبلغ الجذور الرباعية ٢٥٤٨ والخماسية ١٨٧ ، انظر إحصاءات اللسان ص ٢٩ .

أو غير متكلف؟ .

ثم يأتي أستاذنا أنيس ليساب الخليل بإدعاه لطائفه من المصطلحات الخاصة بالجموعات الصوتية ، والتي هي وليدة نظرته الخاصة التي أراد أن يوظف فيها نظرته الصوتية في دراسته للخصائص الترکيبية للكلمة العربية معجمياً ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . فهو الذي أطلق مصطلح أسلية ونطعية ، وشجرية ، ولهوية وذلقية ، « قال الليث : قال الخليل :

فالعين والباء والباء والغين حلقة ، لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهوتيان لأن مبدأها من اللهاة ، والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أى منفج الفم ، والصاد والسين والزاي أسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان ، والطاء والباء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى والظاء والذال والباء ثلثية ( لأن مبدأها من الله ، والراء واللام والتون ذلقية ) لأن مبدأها من ذلك اللسان وهو تحديد طرفي ذلك اللسان ، والفاء والباء والميم شفوية ، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة ، والباء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد ، لأنها لا يتعلّق بها شيء ، فنسب كل حرف إلى درجته وموضعه الذي يبدأ منه <sup>(١)</sup> .

هذا النص الخليلي الواضح الصريح والذي يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثالث حوالي ٢٥٠ هـ سواء نسب إلى الخليل أم إلى تلاميذه والذي ترددت مصطلحاته في أعمال خالفيه من المعجمين بعده كابن دريد والأزهرى والزبیدى والقالي ، كما ثاعت عند القراء ، وهم ينسبون ذلك صراحة للخليل <sup>(٢)</sup> .

بعد كل ذلك يأتي أستاذنا رحمة الله فيقول : « نستطيع بعد هذا أن نقر -

١- ع : ٥٢ / ١

٢- الشر فى القراءات العشر : ١٩٩ / ١ - ٢٠١

ونحن مطمئنون أن هذه المصطلحات قد ظهرت في أوائل القرن الرابع الهجري (١) ، ثم يضيف سيادته بعد ذلك : ولكن الذي لا يحمل الزراع أو الشك أن نسبة هذه المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة ، وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدى في كلام سيبويه (٢) .

إذن كل حجة سيادته في دفع نسبة هذه المصطلحات عن الخليل هو كونها لم ترد في كتاب سيبويه ، ومن المعلوم أن العين لم يظهر إلا بعد وفاة سيبويه بحوالي قرن فكيف سيرددها ؟ ، ثم إن العين عمل معجمي فكر فيه الخليل في أواخر حياته ، وأتممه الليث أو جمعه في فترة تقارب الفترة التي توفي فيها سيبويه علما بأن الليث وسيبويه توأيا تقريراً في نفس الفترة ١٨٠ هـ فمن الطبيعي لا تشيع عند الأخير ، وإذا لم تكن هذه المصطلحات للخليل فلمن هي إذن فلم يدع أحد أنها له ، والنولقية أحد هذه المصطلحات التي نسبها سيادته لابن جنى موجودة في مؤلفات المعجميين والقراء قبله . فالقضية في النهاية أن الذين آمنوا بنسبة العين للخليل نسبوها للخليل وأن الذين لم يؤمنوا بنسبة العين للخليل ومنهم ابن جنى أخذوا ما يحلو لهم وتركتوا ما لا يريدون أخذنه ، فالأمر في النهاية لم يكن في حاجة إلى هذه الأحكام القاطعة بمعنى نسبة هذه المصطلحات للخليل ، ونسبتها إلى بعض تابعيه ولا أحسب بعد الدراسات الواافية عن العين ونشره محققاً إلا أن نقول إن الخليل في القرن الثاني هو صاحب هذه المصطلحات ، وهي تعكس فكر الخليل الصوتي المتميز ، وهي جزء من منهجه الدقيق في دراسة المعجم .

أما أستاذنا الدكتور كمال بشر فقد تناول بالمناقشة بعض أحكام الخليل ، وأصدر عليها بعض الأحكام التي هي في حاجة إلى إعادة نظر ، وأخص هنا حكمين اثنين من أحكامه على جهد الخليل الصوتي :

١ - الأصوات اللغوية : ص ١١٠ .

٢ - السابق : ص ١١١ .

الأول : أنه أورد ترتيب الخليل الصوتي ثم أردد قائلاً : « فهذا يشير بوضوح إلى أن الخليل قد سوى في الخواص والميزات بين الهمزة وحروف الملة وهو حكم جانبه الصواب <sup>(١)</sup> ».

والذى يراه البحث أن الخليل على المستوى الصوتي الحالى ، وكما سبق القول كان يعنى تماماً أن الهمزة صوت له من الخواص والميزات الصوتية ما يميزه بشكل جوهرى عن كل من الألف والواو والياء ، فهى عنده أول الأصوات الصامتة مخرجاً ، وهى أقوى من ثلاثة الأصوات الثلاثة هنا <sup>(٢)</sup> ، أما بقية الخواص التى يشتهركون فيها معاً والتى يشير إليها سعادته ، فهى الخواص والميزات على مستوى الأثر فى بنية الكلمة معجمياً ، ولا شك أن هذه الأصوات على هذا المستوى الصوتي المعجمى تشتهر فى مجموعة خواص ، وهى السبب الذى دعا الخليل إلى ضمها معاً فى مجموعة واحدة انتلاقاً من هذه الزاوية ، والخليل محق فى التسوية بينها على هذا المستوى فهما يجمعها أنها فى بنية الكلمة ترسم باعتدالها وتخيرها من حال إلى حال ودخولها بعضها على بعض واستخلافها بعضها من بعض كما قال <sup>(٣)</sup> وكما سبقت الإشارة لذلك ، فالاتخاذية إنما جاءت من قراءة نص الخليل قراءة صوتية خالصة ، مع أن الرجل يقدم هذا البيان الصوتى فى معرض فهم أسرار البنية المعجمية والشكيلات المؤثرة صوتياً فى هذه البنية ومن الخواص المشتركة التى تجمع هذه الأصوات معاً كذلك الضعف النسبي فى كم التردد فى هذه البنية ، وهو ما أكدته الإحصاءات وسبقت الإشارة إليه .

الثانى : أما الحكم الثانى فقول سعادته : « أما الأمر الثانى الذى يؤكد عدم الدقة فى النظر إلى الهمزة فيظهر فى الحكم عليها بأنها لا تنسى إلى أى جزء

١- دراسات فى علم اللغة : ١ / ١٠٧ .

٢- انظر هـ : ١ / ٥١ .

٣- هـ : ١ / ٥٠ .

من السان أو المخلق أو اللهاة وأنها تصدر من حيث تصدر الألف اللينة  
والواو والياء<sup>(١)</sup> .

والحقيقة في ذلك أن للخليل مجموعتين من النصوص تتعلقان بأمر الهمزة  
المجموعة الأولى تجعل الهمزة صوتاً لا حيز له أو لا مخرج له ، وأخرى تنسب الهمزة  
إلى مدرجة من مدارج النطق ، وحيز محدد من مخارج الأصوات والأمر في النهاية  
لا يحتاج إلا إعادة قراءة نصوص الخليل ، الأمر الذي سيجلو لنا الحقيقة كاملة .

أما عن النصوص التي لم ينسب فيها الهمزة خرج معين فقوله « وأربعة  
أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة » ، وسميت جوفاً لأنها  
تخرج من الجوف فلما تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ،  
ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا  
الحروف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هاوية أي أنها في  
الهواء<sup>(٢)</sup> .

وقال في موضع آخر : « تم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في  
الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه<sup>(٣)</sup> .

وقال بعد ذلك أيضاً : « والياء والواو والألف والهمزة هاوية في حيز واحد  
لأنها لا يتعلّق بها شيء<sup>(٤)</sup> .

والنصوص السابقة كما أفهم من كلام الخليل وذلك من خلال السياق الذي  
وردت فيه أنه يتكلّم عن الهمزة التي قال عنها : إذا رفّتها صارت الواو والياء  
والألف عن غير طريق المروف الصحاح<sup>(٥)</sup> ، وقوله إنها تصير حرفًا غير المروف

١ - دراسات في علم اللغة : ١٠٩ / ١ .

٢ - ع : ٥٧ / ١ .

٣ - ع : ٥٨ / ١ .

٤ - ع : نفس الصفحة .

٥ - ع : ٥٢ / ١ .

الصالح في الخواص تعني أنه يتكلّم عن صوت أقرب إلى الألف والواو والياء في الخواص النطقية العامة وهي حرية مرور الهواء من جانب والجهر من جانب آخر، وأليست هذه طبيعة الهمزة المسهلة في مثل راس ، وذيب ، أو من ؟ إنها « أشبه بأصوات العلة <sup>(١)</sup> ».

أما النصوص التي تسبّب فيها الهمزة بخرج محدد فمنها قوله « فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة ، والهمزة أقوىها متناً ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين <sup>(٢)</sup> » ويقول في موضع آخر « وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوة مضبوطة <sup>(٣)</sup> ».

وقال في موضع آخر : « والياء والواو والألف اللينة منوطات بها ( يقصد بالهمزة ) ومدارج أصواتها مختلفة ، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء مختفصة نحو الأض rais ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ، وأصلين من عند الهمزة ، لا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن ، كقولك للمرأة أفلئ وتسكت ، وللثتين أفلأ وتسكت ، وللقوم أفلئ وتسكت ، فإنما يهمز في تلك اللغة لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئين من عند الهمزة <sup>(٤)</sup> ».

وليس من العسير أن نفهم من مجموعة النصوص الأخيرة أنه إنما يتكلّم عن الهمزة التي هي صوت صامت أو ما يُعرف بالرقة الحنجرية Glottal stop ، وهي لا مشاحة صوت له حيّز ومخرج هو أقصى الحلق ، وإذا فهمنا الحلق على أنه منطقة

١- انظر مناهج البحث في اللغة ص ١٢٥ ودراسات في علم اللغة : ١٠١ / ١ .

٢- م ١ / ١ .

٣- ع ١ / ٥٢ .

٤- م ١ / ٥١ .

أوسع مما نفهم الآن بحيث تشمل الحنجرة<sup>(١)</sup> يكون كلام الخليل هنا قد طابق من حيث تحديد مخرج الهمزة ما انتهى إليه المحدثون .

وإذا كان ذلك كذلك فلا تناقض في نصوص الخليل التي لم يذكر فيها للهمزة مخرجأً ونصوله التي ساقها ونسب فيها الهمزة لغير معين ، لأن نصوله الأولى سبقت لغرض وهو وصف الهمزة المسهلة ونصوله الثانية سبقت لغرض آخر وهو وصف الهمزة الحقيقة .

أما الأستاذ الدكتور حسين نصار ، وهو صاحب دراسة متخصصة في المعاجم العربية فيقول عن الخليل إنه «اضطرب في حروف العلة ، ولم يرتباها ، ولكن جمعها معًا دون تمييز ، وتخلاص بهذه الطريقة من مشكلة عوいصه واجهته فيها ، فهو شاعر بأن الهمزة مختلفة عن بقية حروف العلة ولكنه لا يستطيع أن يصوغ هذا الشعور صياغة واضحة»<sup>(٢)</sup> .

وأنما لم أقل لأحد لا في التدريم ولا في الحديث أنه وصف الخليل بعدم القدرة على التمييز ، ولا بالعجز العلمي الذي يهرب به من المشكلات التي يواجهها ، ولا بالصى الذي يعيقه عن التمييز عما يدرك كما وصفه سعادته . فالخليل لم يجمع حروف العلة ومعها الهمزة معًا جماعًا عشوائياً دون تمييز كما تصور الباحث بل إنه جمعها ووضعها في ذيل القائمة من المجموعات الصوتية التي انقسمت إليها أبجديته ، لأن هذا هو مكانها الطبيعي بوصفها وحدات صوتية تلعب دوراً متماثلاً في تشكيل بنية الكلمة العربية عموماً ، فهى أضعف أصوات اللغة ثباتاً في هذه البنية وأقلها تكراراً ، والذى فعله الخليل بهذه المجموعة هو ما انتهت إليه الدراسات الإحصائية ، وقد سبقت الإشارة إلى الأرقام التي سجلت لهذه الأصوات<sup>(٣)</sup> ، وليس أدق من لغة الأرقام قيلاً .

١- انظر دراسات في علم اللغة: ١ / ١١٢ .

٢- معاجم العربية: ١ / ٢٤٢ و ٢٤٥ .

٣- انظر هنا البحث ص: ٣٩ .

وفي النهاية ليس البحث بقصد الدفاع عن شخص الخليل ، وإنما أرمى من وراء هذه السطور في حواري مع أستاذتي أن أدفع ظلماً وقع على الخليل تارة بالنظر إلى جهده على أنه مجرد تصنيف مبتسر لعمل معجمي ، ومرة بسلبه إيداعه ونسبته لسواه حتى لو كان عن غير قصد وتارة ثلاثة بفهم نصوصه على نحو ما وتوظيفها توظيفاً لم يقصد ، وهو أمر أحسب أن من واجب البحث أن يشير إليه وأن يضع عمل الخليل حيث ينبعى له أن يوضع ، ومن أسف أن هذا المنظر العربي النابه قد ظلم قديماً وظلم حديثاً مع الاعتراف النظري من الأولين والآخرين بأعمالاته وعلوّ كعبه .



الفصل الثالث  
الأساس الكمي



### الفصل الثالث : الأساس الكمي

١ - إن حديث الخليل عن كمية الكلمة في تقديمها لنظريته نال منه الخالفون على تفاوت في الدرجة بينهم جميعاً ، فبعض من جاءوا بعده اقتصروا على تعديل التصنيف الكمي بهدف تسهيل مهمة الدارسين في الاستفادة من المعاجم التي يصنفونها ومن هؤلاء مثلاً القالى في البارع والزبيدي في مختصر العين وتبعه في ذلك ابن سيدة في الحكم وابن دريد في الجمهرة وابن فارس في مجملة ومقاييسه وبعض آخر طرح فكرة الأساس الكمي من تصنيفه كالجوهري في الصحاح ومن تبعه في منهجه كابن منظور في اللسان والغيروزيادي في القاموس الخريط والزبيدي في تاج العروس . وبهذا أدار صناع المعاجم ظهرهم لفكرة الأساس الكمي دون أن يلتفت أحد من جاء بعد الخليل إلى فلسفة هذا الأساس سواء الذين عدلوا الفكرة أم الذين لم يأخذوا بها كلية لأن الجميع تصور أن الخليل كان يرمي من وراء فكرته إلى تقديم إجراء تصنفي ، وهو أمر يفترض هذا البحث أنه دون حقيقة الفكرة كما تفقرت إلى ذهن الرجل ، إنه خطوة منهجمية يتكىء عليها للوصول إلى أمرين معاً .

**الأمر الأول :** أنه خطوة الأولى لحصر المادة اللغوية بشكل منظم ، ومن خلالها سيعطب فكرة التقاليب ، ويدون خطورة المعالجة الكمية يصبح الإجراء التقليبي الذي تعرف من خلاله على طاقة اللغة في بناء مفرداتها والتعرف على المستعمل والمهمل هدفاً لا يمكن تحقيقه ، وليس بالضرورة بعد أن تعرف على هذه الطاقة أن يعتمد التصنيف المعجمي على أي من هذين الأساسين ، فبمعرفة أصناف الكلمة كمياً أستطيع أن أنطلق إلى تطبيق الأساس التقليبي ، وبهما معاً يتحقق الإجراء المحرضي وهو إجراء تنظيمي منهجمي لا بد منه لأى منظر معجمي .

**الأمر الثاني :** أن هذا الإجراء سيكمل الإجراء السابق - الإجراء الصوتي - في التعرف على طبيعة الكلمة معجمياً ، وأى الجنور أكثر ترددًا وأيها أقل ترددًا ، وهو أمر تبدو أهميته البالغة في لغة الشتقاقية كالعربية ، ولا شك أن قوانين الشتقاق تختلف في التعامل مع الجنور الثلاثية عنها مع الجنور الرباعي ،

و هنا تظهر قيمة الحديث عن الصحيح والمعلم في داخل التقسيم الكمي لما يترتب على ذلك من أثر في قواعد التصريف إذ يختلف قانون إسناذ الفعل مثلاً إلى الصحيح عن إسناذه إلى المعلم .

فالمنظر المعجمي الذي يلتفت إلى فلسفة الأساس الكمي في النظرية المعجمية لا يشتت الفكر ولا يهدو الجهد ويرهق الذهن بين الثنائي والثلاثي والرباعي والخامسي والمعلم والصحيح كما تخيل ابن منظور ، بل هذا أمر من لوزام النظرة إلى فلسفة النظام المعجمي ، حتى لو لم يكن - وهو غير ما أعتقد - له قيمة على مستوى التصنيف المعجمي ، أو كان عنصراً معيناً لتعامل مع القاموس .

واللافت للنظر في كلام الخليل عن فكرة الكمية أنه يصرّعها صياغة محكمة من جانب ، وفيها تعميم وطرد بشكل يشبه القانون اللغوي من جانب آخر ، فهو حين عرض لأنواع الكميات حصرها في أربعة قائلات « كلام العرب مبني على أربعة أصناف على الثنائي والثلاثي والرباعي والخامسي (١) » .

فليس في كلام العرب بناءً على هذه القاعدة كلمة أقل من حرفين ، كما لا توجد كلمة عربية مبنية في الأصل على أكثر من خمسة أحرف إنما كلام أشبه بالقاعدة اللغوية أو القانون الذي يتسم بالحصر والشمول ، فهل تم خرق هذا القانون في ضوء الإجراء الإحصائي لمعجمي الصحاح واللسان ؟ أما إحصاءات اللسان فقول (٢) :

أ - ليس هناك جذور أقل من حرفين .

ب - الجنور الثنائية يقل عددها عن عشرين جذراً ، وهي تمثل قرابة جزء من خمسة وعشرين جزء من جذور اللسان .

---

١ - انظر ١ ع / ٤٨ / ١ ، ٥ : ٤١ / ١ .

٢ - انظر إحصاءات اللسان ص ٩ .

ج - ما زاد على خمسة أحرف حوالي ست عشرة كلمة وهي في الغالب من أصل غير عربي .

د - الجنور الثلاثية والرباعية والخمسية الواردة بلسان العرب تمثل ٩٩,٦٪ من جملة جذور المعجم .

وحيث تقدم نحن إلى الخليل - ولا أقول نرجع - لنرى بعض ما يضي، ذلك نمده يقول : « وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم ، فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليس من أصل الكلمة مثل : قر عبلة إنما أصلها قرueil ، ومثل عنكبوت ، إنما أصل بنائها عنكب » .

ثم يضيف قائلاً : الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر ونحوهما بُدئ به بالعين ( يقصد في مثال عمر ) وحشيت الكلمة باليم ووقف على الراء ، فاما زيد وكيد فالإياء متعلقة لا يعتد بها (١) .

وكان الخليل حريصاً على أن يقدم وصفاً دقيقاً لكل نوع منها ، وتنسم عبارته بالحساسية الشديدة ، فهني مرنة في بعض الأحيان حين تكون المادة واسعة لا يمكن إخضاعها لقاعدة ، وتكون صارمة قاطعة طابع القانون حين تكون الظاهرة مما يمكن أن يخضع للضبط والتفعيد .

وسوف يتناول البحث كلام الخليل عن كل نوع منها بالتفصيل ، لتعرف مجموعة الأحكام التي انتهت إليها من ملاحظة المادة المعجمية .

## ٢ - الثنائي :

بدأ الخليل كلامه عن الثنائي بالتمثيل له قائلاً « فالثنائي على حرفين نحو :

قد ، لم ، هل ، لو ، بل ، ونحوه من الأدوات والزجر <sup>(١)</sup> ، فالثنائي الذي لا تتجاوزه نسبة ٤٠ ، ٠٪ أو هو بدقة ٣٧٢ ، ٠٪ <sup>(٢)</sup> محصور في الحروف والأدوات وأسماء الأصوات <sup>(٣)</sup> . والأمثلة التي قدمها الخليل للثنائي تعكس وعيه التام بأنه أقل الأنواع الأربعية في اللغة ، وأنه ليس الأصل بالنسبة للكلمة العربية .

وإذا كان ذلك كذلك فلن دعوى ثنائية الأصل اللغوي للكلمة العربية التي ذهب إليها نفر من الباحثين قديماً كالراغب الأصفهاني وحديثاً كالآباء أنساتاس ماري الكرملي والأب مرمرجي الدومينيكي هي دعوى لا يدعمها الواقع اللغوي ويبدو أن منطلق الخليل في رصد الماءة اللغوية وإصدار الأحكام عليها يختلف عن منطلق دعوة الثنائي . فعلى حين يعتمد الخليل على منهج يمكن وصفه بأنه منهج وصفى استقرائي يرصد مادة اللغة الواقعية الفعلية ، ويصل من خلال هذا الواقع إلى أحكامه ، على حين يهدى أن دعاه الثنائي يلجهون إلى منهج آخر يمكن وصفه بأنه منهج تاريخي يعتمد على أساس مفترض ، وعلى حين يدعم الواقع اللغوي نتائج الخليل ومن لفظه ، يهدى أن كلام أنصار الثنائي يعتمد على التخمين الذي يفتقد إلى الدليل ، وعلى المستوى العلمي البحث فإن ما يمكن التدليل عليها وإثباته أدعى إلى القبول من فرضية لا يمكن التدليل عليها بيسر . وحتى على المستوى التاريخي المنظور فإن الدرس السامي المنهجي انتهى إلى القول بثلاثية الأصل عند المحققين من العلماء الذين أسهموا بجهودهم في هذا الميدان <sup>(٤)</sup> . وسوف نعود إلى هذه النقطة بعض التفصيل في الفصل الأخيرة إن شاء الله .

١ - ع : ٤٨ / ١ .

٢ - إحصاءات الصحاح ص ٥١ .

٣ - هنا ما فهمه أستاذنا عبد الله درويش من كلمة (الزجر) عند الخليل انظر ص ٣ من الجزء الذي حققه .

٤ - انظر مثلاً تاريخ اللغات السامية ص ٢١٤ ، ١٦ ، اللغات السامية ص ٩ ، دروس اللغة العبرية ١٩ ، فصول في قمة اللغة ص ٤٥ .

ولعل هذا الحكم المتواضع ، والذى يترتب عليه أن يكون للثنائي دور متواضع كذلك على مستوى مادة المعجم وتشكيل فلسفتها العامة نحمد الدراسين الإحصائيين تفضان الطرف عن هذا الثنائي وتطرحانه من نتائج الإحصاءات كما فعلت نفس الشيء بالنسبة للمفردات الزائدة عن خمسة أحرف <sup>(١)</sup> .

ونظراً لهذا الدور المحدود للسادة الثنائي في المعجم العربي ، فإن الأحكام التي أصدرها الخليل عنه قليلة ، وتکاد تختصر في إشارة تدخل في إطار طرد القانون ، وذلك حين تحدث عن أن الكلمة الثنائي لا تكون اسماً ، وإذا جيء منها باسم خضعت لقانون اللغة العام في ذلك وهو أن تبني من ثلاثة أحرف ويشير إلى ذلك قائلاً : فإن صيغة الثنائي مثل قد وهل اسمأً أدخلت عليه التشدید فقلت : هذه لواً مكتوبة ، وهذه قد حسنة الكتابة ، زدت واواً على واو ، وداداً على دال ، ثم أدخلت وشددت فالتشدید علامة الإدغام ، والحرف الثالث كقول ألى زيد الطائى

ليت شعري وأين مني ليت  
إن ليتا وإن لسوأ عناء  
فشد (لواً) حين جعله اسمأً .

قال ليث : قلت لأبي الدقيش هل لك في زيد ورطب ؟ فقال : أشد الهل  
وأوحاء . فشدد اللام حين جعله اسمأً <sup>(٢)</sup> .

فهر في هذه الإشارة : طرد القانون اللغوى الذى صاغه من كون الاسم يُنى في حده الأدنى على ثلاثة أحرف ، وبعض الكلمات المكونة من حرفين إذا أريد أن تدخل مجال الأسماء خضعت لنفس القانون ، ولا يترك ما ذهب إليه مجرد فرض نظرى بل شفعه بالدليل اللغوى من استعمال العرب أنفسهم ، وهكذا الخليل دوماً لا يصدر في أحكامه إلا من الواقع اللغوى .

١ - إحصاءات اللسان ص ٩ .

٢ - ع : ١ / ٤٨ / ٥٠ .

### ٣ - ١ : الثالثي :

أما عن المادة الثلاثية فقد أشار إليها في أكثر من موضع ، غير أن كلامه عنها اتسم بالحرص فلم يكثر من الأحكام العامة ، خلافاً لما حذر مع الرباعي والخمسى الذى أصدر عدة أحكام تتصل بهما ، ويبدو أن طبيعة المادة الثلاثية الغزيرة ، والتي تمثل نحو ٧٠٪ من مادة اللغة قد جعلته حريصاً على هذا التحفظ فى إصدار الأحكام إذ ليس من السهولة أن يُخضع الباحث هذه المادة للرصد الدقيق الذى يمكنه من الخلوص إلى ظواهر تخصص البنية من ذلك النوع الذى يمكن وصفه بالعموم .. وقد بدأ حديثه عن الثالثي بالتمثيل للكلمة الثلاثية فقال « والثلاثى من الأفعال نحر قوله ضرب (١) ، نخرج ، دخل مبني على ثلاثة أحرف ، ومن الأسماء نحو عمر وجمل وشجر مبني على ثلاثة أحرف (٢) » .

وكلام الخليل هنا يعني الأمور التالية :

- أن الكلمة الثلاثية لا تكون إلا اسمًا وفعلاً فقط ، ولا تكون تأسيساً على ذلك حرفاً أبداً ، وينبغي أن ينظر إلى الحرف الذى يرد على أكثر من حرفين على أنه فيه زيادة مثل : لعل ، وليت ، أو أنه مركب مثل ربما ، وإنما .
- أنه ذكر ثلاثة أمثلة للازم ومثلها للفعل ، وهو ما يفهم منه ضمناً أن ثماذج الثلاثي من الأسماء والأفعال كثيرة فلا ميزة لأحدهما على الآخر من حيث الكلم . وتبدو هذه الملاحظة بديهية لا تستحق هنا التسجيل ، ولكنها ذات قيمة سلبية حين تتناول الأنواع الأخرى كالخمسى مثلاً . حيث سنقف أمام الخمسى لتبين من خلاله حقيقة وجود أفعال خماسية الأصل أم لا .

١ - حين نقل Haywood هذا النص ذكر خرب Kharaba بدلاً من ضرب ، وهو خطأ في قراءة النص - المربى ، وقد تكرر من نظائر هذا الخطأ كثير من الأمثلة ، سأشير إلى بعضها في حينه انظر P - 29 Arabic Lexicography .

٢ - ع : ٤٨ ، هـ : ١ / ٤٢ .

إذا كان الثلاثي هو أكثر مادة اللغة من جانب ، وهو تبعاً لذلك أصل هذه المادة والطبيعة الاسمية والفعالية متساوية في هذه المادة الأصل . إذا دعوى فعالية الأصل أو اسميته أقرب إلى الفرض التخميني منه إلى الحقيقة العلمية التي يمكن التحقق منها .

٣ - ٢ - وما قاله عن الثلاثي أيضاً تميزه بين نوعي الثلاثي من حيث الصحة والاعتلال « وتقسيم الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف (لينة ولا همزة) في أصل البناء ، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل ، فكلما سللت الكلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثة صحيح مثل ضرب ، خرج ، دخل ، والثلاثي المعتل مثل : ضرا ضرى ، ضررو ، خلا ، خلى ، خلو ، لأنه جاء مع الحرفين ألف أو واو أو ياء فافهم <sup>(١)</sup> » ويلفت نظرنا في هذا النص ما يلى :

أنه النص الوحيد الذي تعرض فيه خاصية الصحة والاعتلال ، وهو ما يعني أنها خاصية من خصائص البنية المعجمية خلافاً لبعض الخصائص الكثيرة التي تخص بنيتها الصرفية كالتعدي واللزوم والبناء للمعلوم أو المجهول ، وتوكيد عدم التوكيد بالتون وغيرها .

أنه اقتصر في حديثه عن هذه الخاصية على الكلمة الثلاثية ، وهو ما يعني ضمناً أنه يؤمن أن الكلمة الثلاثية هي الأصل ، وأن المعتل من غير الثلاثي خاصية أصله ثلاثي مثل حوقل ، جورب رهوك يسيطر ونظائرها . وعليه فلم يُقدّم لظاهره الصحة والاعتلال فيما زاد على ثلاثة .

قوله (ولا همزة) زيادة أضافها المحققات عن التهذيب وهي عندى مهمة في فهم علّه ذكر خاصية الصحة والاعتلال ، إذ الهدف هو التعرف على قضية

انقلاب أحرف العلة بعضها من بعض في بنية الكلمة ، والهمزة في هذه الناحية تشارك هذه الحروف ، وإن لم تكن من حروف العلة بدليل أنه لم يذكر لها مثلاً. في آخر النص ، مع حرصه على ذكر مثالين لكل من الألف والواو والياء . وهو دليل على أمرين مهمين .

**الأول** : أنه يعي أنها تختلف عن الواو والألف والياء في خاصية الصحة والاعتلال ، فالهمزة صحيحة وثلاثتها علل .

**الثاني** : أنه تأسيساً على الأمر الأول فإن الهمزة تختلف من حيث طبيعتها النطقية عن هذه الثلاثة حين تكون مدة . فالهمزة صامت ، وهذه الثلاثة حين تكون مدة مثل قال - يصوم ، يبيع فهي حركات وهذا تأكيد لما سبق معالجته عن الهمزة والألف في الفصل السابق .

ولكن ثلاثة الحروف مع الهمزة في هذا السياق تشتراك في أمرين مهمين كذلك :

**الأول** : الإعلال وانقلاب بعضها من بعض ، وعليه فهي من أضعف الأصوات ثباتاً في بنية الكلمة .

**الثاني** : اتفاقها معاً في الضعف النسبي في نسبة التردد في هذه البنية ، وهو ما سبقت الإشارة إليه من خلال الإحصاءات في الفصل السابق .

٣ - ٣ : و تعرض الخليل في موضع آخر لأمر يخص الثلاثي ، وهو بعض أشكال الاشتغال من الكلمة الثلاثية فيقول « والمرء تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضييف ، ومن الثلاثي المعتل ، ألا ترى أنهم يقولون : صَلَّ اللَّهُمَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلو حكى ذلك قلت : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد خفقتها في الصلة وهذا جيئاً صوت اللجام ، فالثقل مدة وشقلها ، وقد خفقتها في الصلة وهذا جيئاً صوت اللجام ، فالثقل مدة والتضاعف ترجيع يخفف فلا يمكن لأنه على حرفين ، فلا يقدر للتصريف حتى

يضاعف أو يقل فيجيء كثیر منه متفقاً على ما وصفت لك ، ويجيء منه كثیر مختلفاً نحو قوله : صرَّ الجندي صريراً ، وصر صراً لأن خطب صر صرا ، فكأنهم توهموا في صوت الجندي ملأ ، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيماً ، ونحو ذلك كثیر مختلف . وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل ، فنحو قول العجاج :

ولو أنخنا جمعهم تنخنخوا

وقال في بيت آخر :

لقد حملنا لأن سرَّة التسونُخ<sup>(١)</sup>

ولو شاء قال في البيت الأول ، (ولو أنخنا جمعهم تنخنخوا) ولكنه اشتق التسونُخ من تنخنخها فتنوخت ، وانتق (التنخنخ) من أنخنها ، لأن أنخ لما جاء محققاً حسُن إخراج الحرف (المعتل) منه ، وتضاعف الحرفين الباقين في (تنخنخنا تنخنخاً) ولما تقل قوياً الواو فثبتت في التسونُخ فافهم<sup>(١)</sup> .

يشير الخليل في هذا الفصل إلى شكلين من أشكال الاشتقاء ، وظفهما العربي ليكون لكل منهما دور يناسب دلالة .

الشكل الأول : الاشتقاء ما سماه الثلاثي المتشل بحرف التضييف أو ما يسميه الصرفيون بالثلاثي المضعف مثل صلّ ، وصرّ وقد لاحظ الخليل في هذا النوع :

أ - أن العرب تشتق في كثير من كلامها من نماذج هذا الشكل فتقول : صل صليلاً ، وصر صريراً ، ورأى أن المد في الكلمة المشتقة (صليل ،

١ - البيت الأول والثانى ليسا سوى شطري بيت واحد كما أشار إلى ذلك أستاذنا هارون في التهذيب مُحيلاً إلى ديوان العجاج انظر هـ ٤٧ / ١ .

٢ - ع : ١ / ٥٦ .

وصرير ) فيه مناسبة للمعنى الذى تعبّر عنه الكلمة أو يعبر عنه صوت الكلمة .

ب - كما أنهم يشتّقون كذلك من هذا النوع بكثرة على مثال صَلَ صلصلة ، وصَرَ صر صرصة ، وذلك بتحقيق صَلَ وصَرَ لتصير صَلَ ، وصَرَ ، ثم يضاعفون الكلمة فيصير بناؤها مناسباً للترجيع ، فإن شاء العربى - كما قال الخليل « أخفى بها مرة ، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فقال : صَلَ صَلَ صَلَ فتكلف من ذلك ما بدا له <sup>(١)</sup> » ، فأمر الترجيع أو التكرار إنما هو تعّبير عما يحسّه العربى من كون الصوت يناسب الحركة التي يعبر عنها وإلى ذلك يشير « وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزازلة وما أشبهها : يتوهّمون في حسن الحركة ما يتوهّمون في جرس الصوت ، يضاعفون لستمر الحكاية على وجه التصريف <sup>(٢)</sup> » . نعم يفسّر الخليل هذا المدّ وذلك التضييف كسلوك لغوى قائلاً : « كانوا يتوهّمون في صوت الجندب مَدًّا ، وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيحاً <sup>(٣)</sup> » ، كان العربى إنما يشتّق بعض الكلمات محاكيّاً الصوت الذى تعبّر عنه الكلمة ، وهى إشارة ذكية ومبكرة لتلك الظاهرة المعروفة بمحاكاة أصوات الطبيعة Onomatopoeia ، ويأتي إدراك الخليل لها من جانب تعّبيره الدقيق عنها آية على منهاج خليلي متّيّز بالحساسية العلمية والقدرة على وصف الظاهرة بعبارة دقيقة من ذلك قوله « فيجيء كثير منه متفقاً على ما وصفت لك (يقصد ثروذج صَلَ صَلِيلًا وصَرَ صَرِيرًا) ويجيء كثير منه مختلفاً (يقصد ثروذج صَلَ صلصلة وصَرَ صرصة) . وفي

١ - ع : ١ / ٥٥ .

٢ - السابق نفسه الصفحة .

٣ - ع : ١ / ٥٦ .

ذلك اعتراف بوجود الظاهرة في اللغة ولكنه لا يتخذ من وجودها أساساً يبني عليه أحکاماً ، أو يفسر موضوع الشأة اللغوية على نحو ما فعل غيره من اللغويين قديماً وحديثاً . إذ أكتفى الخليل برصد الظاهرة ويقاد موقفه منها لا يتجاوز موقف المحققين من علماء اللغة الحدثين من الظاهرة ، حين سلموا بوجود أمثلة منها في كل اللغات لكنها ليست قانوناً مطروداً يفسر نشأة اللغة البشرية .

وهنا تتحمل الإشارة إلى الفرق الجموري بين الخليل وبين خالقه في رصد الظاهرة اللغوية ، إنه عالم لغة برصد الظاهرة ، ويفصفها كما هي موجودة في الواقع اللغوي ، ولا يبني على الظاهرة أحکاماً إلا إذا اتسمت بالشمول والاطراد . على حين يلتقط خالقه الظواهر التي سجلها وبينون عليها أحکاماً تنسى في بعض الأحيان بالغلو والاعتساف ، بل في كثير من الأحيان تنسى إليهم ، فعلى الرغم من أن ابن جنى نصّل القول في أمثلة هذه الظاهرة ، فقد أقرّ بأنه ليس أول من أدركها وسجلها قائلاً « أعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه عليه الخليل وسيبوه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصححته قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندي استطالة ومدأ فقلوا صرّ وتهوموا في صوت البازي تقطيعاً فقلوا صر صر<sup>(١)</sup> » كما يشير إلى أن سيبوه سلم بما قال به أستاذه في الظاهرة حين ذكر « أن المصادر التي جاءت على الفعلان إنما تأتي للاضطراب والحركة نحو التزان والغليان والغليان فقابلوا بعالي حركات المثال توالى حركات الأفعال<sup>(٢)</sup> » بالرغم من هذا الاعتراف الصريح بأن رائد العلماء العرب في ملاحظة الظاهرة هو الخليل فإن الاستاذ صبحي الصالح يقول : « إن ابن جنى يظل رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا الظاهرة وقرروها<sup>(٣)</sup> » ويندو أن كثيراً من أفكار الخليل في مجال النظرية

١ - المختصص ٢ / ١٥٣ .

٢ - السابق نفس الصفحة .

٣ - دراسات في فقة اللغة ١٥١ .

اللغوية قد سببت ونسب أكثرها لابن جنى ، وقد سببت الإشارة إلى شيء من ذلك في الفصل الأول ، وسوف يشير البحث إلى بعض آخر في مواضع تالية من هذا البحث . على الرغم من أن ملاحظة ابن جنى للظاهرة التي نحن بصددها - ولسواءها كذلك على ما يليه - تنسى في أكثر الأحيان بالغلو خلافاً لمنهج الخليل الاستقرائي الوصفي للظاهرة ، وأحكامه الموضعية الدقيقة التي لم تتجاوز تفسير الظاهرة والتسليم بوجودها وشنان بين هذا الموقف وموقف ابن فارس وابن جنى بل وعياد الصيرمي<sup>(١)</sup> الذي يؤمن بطبيعة العلاقة بين اللفظ والمدلول ذلك الاتجاه الذي تصل أحكماته إلى حد الانفلات العلمي .

٤ - ١ : أما عن بناء الرباعي ، فإن الخليل قد أشار إليه بشيء من التفصيل ، وأصدر من خلال ملاحظة مادته عددة أحكامه تخصه ، ويبدو أن ثمة أموراً ساعدته على ذلك ، منها وجود ظواهر مطردة في المادة الرباعية ، كما أن كم هذه المادة محدود نسبياً<sup>(٢)</sup> بالقياس إلى الثلاثي ، الأمر الذي ساعدته على إمكانية الملاحظة الدقيقة ، وإصدار الأحكام العامة .

٤ - ٢ : أما أول ما صرحت به عن الرباعي فقوله : « والرباعي من الأفعال نحو دحرج هملج ، قرطس . مبني على أربعة أحرف ، ومن الأسماء نحو عبر وعقرب ، وجندب وشبهه<sup>(٣)</sup> .

١ - انظر رأيي في المزهر ١ / ٤٧ .

٢ - يبلغ مجموع المثلور الرباعية ٢٥٤٨ جملة حسب إحصاءات اللسان ص ٢٩ بنسبة ٢٧,٥٪ من جملة جنور المعجم ، وقد ذكر ص ٢١ أن مجموع الرباعي ٢٤٥٨ ، وهو خطأ مطبعي والصواب هو الرقم الأول الذي ذكره ص ٢٩ لأن مجموع المثلور ص ٢٩ هو ٩٢٧٣ منها ٦٥٣٨ للثلاثي و ١٨٧ للخمسي و مجموعهما معاً ٦٧٢٥ فيكون الباقى هو مجموع الرباعي وهو ٤٨ .

٣ - ع ١ / ٤٨ ، ونقل Haywood الكلمة عقرب فقال (عجر) abgar وهو خطأ - على ما يبدو كأنني انظر 29 - Arabic Lexicography, P .

ومن نص الخليل السابق نفسهم ما يلى :

- أن الكلمة الرباعية إما أن تكون اسمًا أو فعلًا ولا تكون بالضرورة حرفاً أبداً.
- أنه مثل للفعل بثلاثة ومثل للاسم بثلاثة كذلك وهو ما يعني ضمناً أن الصنفين شائعان في الرباعي ، ولا مزية لأحد الصنفين على الآخر من حيث الكم في اللغة .
- قوله : مبني على أربعة أحرف يفهم منه أن العرب تبني الكلمة في اللغة على هذا العدد بكثرة ، وهو حكم مخالف لما قال به بعض المغوريين كابن فارس وسواء من أن « الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب ( ضيَطُرُ ) من ( ضبط ) و ( ضير ) وفي قولهم ( صهصلق ) أنه من ( صهل ) و ( صلق ) وفي ( الصلدم ) أنه من ( الصلد ) و ( الصدم ) <sup>(١)</sup> . وهو أمر سمعود له بشيء من التفصيل ، غير أننا نشير هنا إلى أن الخليل هو رائد من قال بالنحو ولكنه وضع الظاهر كذلك في حجمها الطبيعي من اللغة ، كما أنه هنا يشير إلى أن العرب ينتون كثيراً كلمات رباعية الأصل ، وهو ما يدعمه الواقع وتدعمه كذلك الإحصاءات الدقيقة ، فإذا كان حجم الكلمات المنحوتة عند بعضهم حوالي ثلاثةين أو ستين أو ثمانين كلمة ولا يتجاوز ثلاثةين كلمة عند المخالفين في حصرها <sup>(٢)</sup> فإن مجموع الجذور الرباعية حسب إحصاءات اللسان تصل إلى ٢٥٤٨ جذراً يمكن أن تولد عشرة أضعاف هذا الرقم من الكلمات الرباعية . الأمر الذي يعني أن المنحوت منها هو نسبة لا تصل إلى ١ % إذا سلمنا بصحة أعلى الأرقام التي سجلت الأمثلة المنحوتة .

١- انظر الصاحبي ص ٤٦١ والمقلسي ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

٢- انظر المزهري : ١ / ٤٨٢ ، وفقه اللغة للشاعلي ٥٧٨ ، ودراسات في فقه اللغة ص ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، وانظر العربية الفصحى الحديثة ص ١١٨ .

٤ - ٢ : ويتابع الخليل حديثه عن الكلمة الرباعية في اللغة فيقفنا على خاصية صوتية بارزة تتميز بها الكلمة الرباعية وتشاركها نفس الخاصية - كما سيأتي - الكلمة الخامسة يقول الخليل « فإذا ورد عليك كلمة رباعية أو خماسية مغارة من حروف الذلق أو الشفوية ، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة مبتدأة ، ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر (١) » .

ويضيف إلى ذلك ملخصاً يتصل بنفس الظاهرة ونفس البناء فيقول : « وأما الرباعي البسيط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نحواً من عشر جن شواذ . ومن هذه الكلمات : المسجد ، والقسطروس والقداحس والدشوشة ، والهدعة ، والزهرة وهي مفسرة في أمكنتها (٢) » .

من النصين السابقين نعرف على تقرير علمي ميداني عن المادة الرباعية في اللغة العربية وهو كلام يحتاج إلى وقفة هادئة كما يحتاج إلى تحقق من صدق النتائج التي وصل إليها فمنه نعرف ما يلى :

- أن النتيجة التي وصل إليها هي من متابعة الكلمة المنطوقة في اللغة ( لست واجداً من يسمع من كلام العرب ) وهو سبق منهجه في الاعتماد على اللغة الحية شفافة وليس الأمر وصفاً لكلمات مروية أو مكتوبة ، إنه يحيلنا إلى الواقع اللغوي المستعمل بالفعل لتحقق من صدق النتيجة التي وصل إليها .

- أن العربي له طريقة خاصة في بناء كلماته ، وقد تكيف جهازه النطقي على نمط من الأداء الفسيولوجي يجعل هذا الجهاز يصدر الأصوات بطريقة خاصة ، كما أن له خصوصية في اختيار سلاسل صوتية معينة في كلماته يمكن تمييزها

والتعرف عليها . وهذا الفهم الخليلي رائد في إدراك خصوصية اللغة التي هي انعكاس لخصوصية المجتمع الذي ينتمي إليه ، والفكر الذي يعبر عنه كذلك ، فكما أن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وأعرافه وأدابه الاجتماعية التي تميز مجتمعاً من مجتمع آخر ، فإن في اللغة التي هي من بنات الاجتماع البشري نفس الخصوصية المستقلة ، وذات البصمة اللغوية المتميزة التي هي صدى للاستقلال والتميز المعرفي لشعب دون شعب ، ولابد أن يظهر ذلك على تفاوت في مدى الوضوح – على كل مستويات التحليل اللغوي ابتداءً من المستوى الصوتي فالمعجمي فالصرفى فالنحو فالدلالي ، ويرتبط على ذلك أنه يمكن اعتبار اللغة في ضوء هذا « فهرساً لحضارة المجتمع المعين ، تتأثر به وتؤثر فيه بحيث يصبح الفصل بينهما أمراً متعدراً (١) » .

– أن الاعتماد على وجود سلسل صوتية معينة كثيرة التردد في بنية الكلمة ، وسلسل معينة هابطة أو منخفضة نسبياً ، أو عدم وجود سلسل معينة أو مقاطع صوتية بعينها هو إجراء فحصي يدخل في إطار القياس الكمي للكلام لاكتشاف خواص معينة به يسقى الخليل هذا اللون من ألوان الدرس الإحصائي الرياضي الذي يباهي به المحدثون ، وليس الأمر مجرد سبق في الإجراء والتصور فحسب ، بل تuhan في حاجة إلى التأكيد من صحة النتائج التي انتهى إليها الخليل من خلال ما يتوفّر لدينا من إحصاءات دقيقة عن طبيعة التشكيلات الصوتية المتميزة والممتعنة في مادة المعجم العربي كما تظهر في إحصاءات الصحاح واللسان . وفي الجدول التالي محاولة تقديم تتبع لترددات الأصوات الأكثر ترددًا في جذور الصحاح ثم نتبعها بجدول مماثل في جذور اللسان ، مع قراءة لنصوص الخليل ومؤشرات الدراسة الإحصائية مما .

١ – اللغات الأجنبية تعلمها وتعلّمها ص ١٢٢ .

أولاً : الكلمة الرباعية - سلاسل صوتية عالية التردد في إحصاءات الصحاح (١) .

المسلسل	صفة الحرف	الحرف	مرات التردد	الدسيطورية (٢)	نسبة الحرف إلى الكلمة (٣)	
١	الثانية	ر	٤٤٣	١٤,٤٥٨	٧,٤٠٩	
		ل	٢٢٧	٧,٣٤٣	٧,٠٥٠	
		م	٢٢٥	٣,٨٥١	٣,١٦٦	
		ب	٢١٦			
		ف	١١٨			
		ق	٩٧			
٢		مجموع الدالوية				
٣		الثالثة				
٤		الرابعة				
٥		الخامسة				
٦		السادسة				
٧		السادسة				
٨		السادسة				
٩		السادسة				
١٠		السادسة				
١١		مجموع النصاعة				
١٢		مجموع المثرة الكبار				

سبق أن أشار البحث إلى أن الخليل قد ذكر أن الكلمة الرباعية لا تخلو من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة ، وسوف يذكر بعد ذلك أصواتاً أخرى تسمتع بنفس الخاصية هي المجموعة التي وصفها بالنصاعة وهي على الترتيب (ع ق د م) .

١ - إحصاءات الصحاح جدول ١ ص ٥١ لنسبة المثلور ، وجدول ١٣ ص ٧٥ لترددات ونسب الحروف .

٢ - تحددت النسبة المئوية على النحو التالي : 
$$\frac{\text{مرات التردد} \times 100}{\text{مجموع التردد}}$$

٣ - المقصود بهذا المصطلح كمية حروف معينة إلى مجموع حروف الكلمة . وتحديد هذه النسبة على النحو التالي 
$$\frac{\text{النسبة المئوية} \times ٤}{١٠٠}$$
 ورقم أربعة هو عدد حروف المذر الرباعي .

وفي الجدول السابق المأخوذ من الدراسة الإحصائية لجذور الصحاح يتبيّن أن حروف الذلّة الستة (ر ل م ب ف ن) هي أكثر حروف الأبجدية الصوتية الخليلية ترددًا في الكلمة الرباعية التي يبلغ مجموع جذورها ٧٦٦ (١) جنراً وعدد حروفها ٣٠٦٤ حرفاً (٢) ، ونسبةها إلى جملة جذور المعجم ١٣,٥٨٤٪.

ويتبّين من الجدول السابق ما يلي :

- أن مجموع تردد حروف الذلّة في الجندر الرباعي ٤٣,٢٧٦٪ من جملة ترددات جميع حروف هذا الجندر قارن الرقم ٣٠٦٤ إلى الرقم ١٣٢٦.
- أن ١,٧٣١ حرفاً ذلّقى من بين حروف الجندر الأربعة أى أن حرفاً وثلاثة أرباع الحرف من حروف الجندر الرباعي هي من حروف الذلّة ، وهذا يعني استحالة أن يخلو الجندر الرباعي من حرفاً أو أكثر من هذه الحروف .
- ذكر الخليل في مواضع أخرى أن الكلمة إذا عرّت من حروف الذلّة يقل ورودها وتتنزّر في اللغة مثل دعشوة وجلامق « ولو لا مالزمهن من العين والقاف ما حسن على حال ، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حستنه ، لأنهما أطلق الحروف وأضيقهما جرساً ، فإذا اجتمعوا أو أحدهما في بناء حسن البناء لتصبّعهما » (٣) .

وما أُعجّب نصُّ الخليل حين يختار بعد حروف الذلّة العين والقاف كأصوات تتسم بالتصااعدة أو الطلاقة مما يجعل البناء سائغاً عند العري و هو ينسخ كلماته ، والغريب هو قوله العين والقاف ولم يقل القاف والعين ، لاحظ ترتيب هذين الصوتية بعد حزمة حروف الذلّة بل لاحظ كذلك الحرية الموقعة للعين التي

١- انظر إحصاءات الصحاح جدول ١ ص ٥١ .

٢- هذا الرقم جاء من ضرب ٧٦٦ × ٤ وهو عدد حروف الجندر الرباعي - انظر السابق نفس الصفحة .

٣- ع ٥٣ / ١ .

هي أسبق الحروف وروداً في الجذر الرباعي خاصة يليها القاف (١) ، أقصد مجاء العين كحرف أول (فاء الجذر الرباعي) يليه القاف كحرف ثان (عين الجذر الرباعي) .

ثم يتبع التخليل رصده المدهش فيقول : عن أكثر الحروف بعد العين والقاف « فإن كان البناء اسماً لزمه السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف ، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزارتها وارتقت عن خفوت التاء فحسنت » ، وصارت حال السين من مخرج الصاد والزاي كذلك ، فهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من المروف اللائق والشفورية فإنه لا يعرى من أحد حرفى الطلقة أو كليهما (يقصد العين والقاف) ومن السين والدال أو أحدهما ، ولا يضر ما خالف من سائر الحروف الصتم ، فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانتظر ما هو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو : قصيج ونعشج ودعشج لا ينسب إلى عربية ولو جاء عن ثقة لم ينكر ولم نسمع به ، ولكن أفتنه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل (٢) .

تلك هي الحروف الأربع (ع ق س د) واللافت للنظر أنه تارة يقدم فيقول السين والدال وتارة أخرى يبدأ في التعليل بالدال ثم السين وهو ما يعني تساويهما في ذلك وهذا ما تقوله الإحصاءات فهما يتكررتان ٦٦١ مرة لكل منهما بنسبة واحدة طبعاً ٥,٢٥٥٪ والحرف الأربع تردد في الجذور الرباعية ٦٩٨ مرة بنسبة ٢٢,٧٨٢٪ وهناك قرابة حرف من هذه الأربع ( ح ك ) من بين حروف الجذر الرباعي .

أما مجموع العشر الكبار ، أو الأكثر ترددًا في الجذر الرباعي ( حروف الذلقة وحروف النصاعة ) فهو ٢٠٤ من مجموع حروف جذور الرباعي البالغة

١ - انظر إحصاءات الصحاح جلول رقم ص ٧٣ .

٢ - ع ١: ٥٤ .

٣٠٦٤ بـ٥٧٪ أو ٢٦٤٢ حرف من كل أربعة حروف ، وهذا يعني أن حوالى ثلاثة أحرف إلا قليلاً من هذه الحروف العشرة تدخل في تشكيل الجذر الرباعي ، والباقي يتوزع على ١٨ حرفًا أو بقية الحروف الشمانية والعشرين .

إن هذه النتائج الإحصائية التي تطابق كلام الخليل ، أو تؤكّد صحته هي شهادة على أن هذه الإحصاءات دقيقة لأن أحدًا لا يعرف عن الخليل إلا أنه أذكى العرب ، وأنه كما وضع بحور الشعر فلم يخرج عنه نفم ، فها هو يعطي الإحصاءات شهادة الدقة ولا أقول تعطيه هي الشهادة على أن ما جاء به هو الصواب . وأضيف فأقول إن ذلك دليل آخر على أن هذا العمل الكبير لا يصدر إلا عن مثل الخليل .

ما سبق من قراءة الجدول هو في جوانب الاتفاق فيما يتصل بالحروف العشرة الأكثر ترددًا فماذا عن السلالس الشاذة التي أشار إليها الخليل في مثل قناع وقناع ودشنج ؟ .. بالرجوع إلى المداول (١) تبين ما يلى :

لم ترد الكلمة رباعية تنتهي بالقطع (ثج) في إحصاءات الصلاح ، وجاء ذلك مرة واحدة في إحصاءات اللسان ، وهذا يعني أن مثل هذه الكلمات تختلف النسيج الصوتي للكلمة العربية تماماً كما قال الخليل .

أن الخليل هنا قام بنفس ما يقوم به المحدثون (٢) من قياس كمية الأصوات

١ - راجع جدول ١٥ ص ١٨ من إحصاءات الصلاح ، وجدول ١٣ ص ٥٩ من إحصاءات اللسان .

٢ - في الفصل الخامس الذي كتبه (هالدون) في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان علم اللغة الاجتماعي ، يشير إلى أن ظهور ترددات صوتية معينة في الكلمات أو النصوص أو ظهور مقاطع صوتية معينة أو متغير صوتي معين يساعد على التمييز بين لغة ولغة أو مستوى لغوى ومستوى لغوى معين أو طبقة إجتماعية وطبقة إجتماعية أخرى ، وهو تقريباً نفس الإجراء الذي طبقه الخليل قبل ولIAM لابوف ١٩٧٢ وترودجل وماكولي ١٩٧٨ . راجع المصدر السابق الفصل الخامس .

وجود ترددات صوتية معينة ذات تميز واضح أو متغير صوتي معين Phonological variables لإيات عربية الكلمة أو لمعنفة ما إذا كانت الكلمة أصيلة أو دخلية وهو نفسه يشير بوضوح إلى غايته من هذا الإجراء حين يؤكد في أكثر من موضع على أن ما يخالف تواعده ليس من كلام العرب **قال الليث** : قلت للخليل فكيف تكون الكلمة المولدة المبدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف ؟ فقال : نحو الكشment والخشment والخشment وأشباههن . فهذه مولدات لا تجوز في كلام العرب ، لأنها ليس فيهن شيء من حروف الذل والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً ، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم ، فإن النحارة منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت<sup>(١)</sup> .

وكلمة مولدة في النص السابق مهمة جداً في هذا السياق لأنها تعني أن الخليل يقصد أن مواصفات الكلمة الرباعية (أو الحمسية) على ما ذكر إنما هي خاصة بالكلم العربي في فترة معينة ، وأن اللغة قد يوجد بها مولدات متجلبات بخصائص وراثية جديدة إن صع التعبير مخالفة للخصائص الأصلية التي أوردها ، وهو أمر يمكن الالتفات إليه ، ودراسة الخصائص الجديدة للغة العربية للتأكد من حجم التغيرات التي طرأت على طبيعة البنية الصوتية للكلمة العربية كما سجلها الخليل ، وطبيعة هذه البنية في فترات لاحقة . وهو أمر أثقني أن أقوم به أو يقوم به سوائي من الباحثين ولعل من المناسب الآن أن يتطرق البحث إلى إحصاءات اللسان للتعرف على النتائج الإحصائية لمدة أصغر ، فهل ستظل النتائج كما هي أم أن ثمة فروقاً ، وما مغزاها إن وجدت ؟ .

أما عن إحصاءات اللسان الخاصة بالجذور الرباعية فستخلص منها النتائج التالية للمجموعات الصوتية الأكثر ترددًا وذلك على النحو التالي :

١ - ع : ١ ، ٥٣ ، ٥٤ والأمثلة التي ذكرها س تعالج في نماذج الخمس أقصد الكشment وأخواتها .

٢ - راجع جدول ٣٠ ص ٩٣ لنسب الرباعي الخاصة بكمية الرباعي ونسبة إلى مجموع الجذور .

المسلسل	صفة المحرف	المحرف	مرات التردد (١)	الرسالة المفروضة (١)	نسبة المحرف إلى الكلمة	
١	النسبة المفروضة	ر	١١٠٢	% ١٠,٨١٢		
		ل	٧٩٣	٧,٧٨١		
		ب	٧٥٤	٧,٣٩٨		
		م	٦٥١	٦,٣٨٧		
		ن	٦٤٩	٦,٣٦٨		
		ف	٤١٣	٤,٠٥٢		
مجموع حروف الألالة						
٢	النسبة المفروضة	ع	٦٥٨	٦,٤٥٦	% ٤٢,٧٩٨	
		ق	٥٧٧	٥,٦٦١	٥ : ١,٧١١	
		ه	٥١٥	٥,٠٥٣		
		س	٤٦٩	٤,٦٠٢		
مجموع حروف المقطعة						
٣	النسبة المفروضة	ك	٢٢١٩	% ٢١,٧٧٢	٥ : ٠,٨٧٠	
مجموع المطارة الكبار						
٤						
٥						
٦						
٧						
٨						
٩						
١٠						

من مراجعة إحصاءات اللسان خاصة يتبع ما يلى :

- أن مجموع جنور الرباعي تبلغ كما سبق القول ٢٥٤٨ بنسبة ٢٧,٤٧ % من مجموع الجنور (٢).
- أن عدد حروف الرباعي حوالي ١٠١٩٢ حرفاً وهو ناتج ضرب عدد الجنور في ٤ وهو عدد حروف الجنر الرباعي.
- أن عدد حروف الذلاته نت膈 ٤٣٦٢ من مجموع الحروف ١٠١٩٢ بنسبة ٤٢,٧٩٨ %.

١ - راجع جدول ٢٣ ص ٧٩ ، وجدول ٧ ص ٤٧ .

٢- راجع جدول ٣٠ ص ٩٣ لتتب الرؤى الخاصة بكمية الرباعي وتبينها إلى مجموع المذكور.

- أن عدد حروف النصاعة نقط ٢٢١٩ من مجموع الحروف ١٠١٩٢ بنسبة ٢١,٧٧٢٪.

- أن مجموع حروف العشر الكبار ٦٥٨١ من مجموع الحروف ١٠١٩٢ بنسبة ٦٤,٥٧٪.

وأحسب أنه من المفيد أن تقدم الإحصاءات مقارنة بين جنور الرباعي في الصحاح ونظائرها في اللسان ومنها تبين مدى صحة الحكم العام الذي أصدره الخليل .

| البيان |
|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|
| المسجل |
١	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦	٧٦٦
٢	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤	١٣,٥٨٤
٣	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤	٣٠٦٤
٤	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦	١٣٦٦
٥	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨	٦٩٨
٦	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤	٢٠٢٤
٧	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦	٤٣,٣٧٦
٨	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢	٢٢,٧٨٢
٩	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧	٦٦,٠٥٧
١٠	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١	١,٧٣١
١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١	٠,٩١١
١٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢	٢,٦٤٢

من الجدول السابق يتبين لنا ما يلى :

- أن الجنور الرباعية في اللسان تزيد عن ثلاثة أضعاف مثيلتها في الصحاح .
- برغم الفارق الهائل في الكلم فإن النسب تكاد تتطابق بين المعجمين مما يؤكّد أن التطابق هو ظاهرة لغوية مطردة وثابتة في الجنور الرباعي في اللغة العربية .

- نسبة حروف الذلالة في المعجمين واحدة تقريرياً وهي ٤٣ % من جملة حروف الرباعي .
- نسب حروف النصاعة تقل في اللسان عن مثيلتها في الصحاح ١ % فقط .
- نسبة الحروف العشرة إلى جملة حروف الكلمة الرباعية تقل في اللسان عن الصحاح نحو  $\frac{1}{2} \%, 0.05 \%$  .
- أما كمية الحروف العشرة إلى جملة حروف الكلمة الرباعية فهي تقريرياً متطابقة ٢٦ حرفاً من بين كل أربعة أحرف .

والسؤال الآن هل جاء الكمبيوتر بحقيقة جديدة تختلف ما نصّ عليه الخليل فيما يتصل بالبنية الصوتية للكلمة الرباعية في اللغة ؟

الجواب أنه فيما يتصل بالحروف السابقة أو العشرة الكبار لا خلاف بين ما نصّ عليه الخليل وما انتهت إليه إحصاءات الكمبيوتر ، لكن ماذا عن بقية أحرف العربية ، هل جاء في كلام الخليل من الأحكام المطردة ما يسمح بالتحقق من ملاحظاته المنهجية عن طبيعة البنية الصوتية للكلمة ؟

هناك لغتان خلا ما سبقت الإشارة إليه يجعل لا يفوت البحث تسجيلهما بوصفهما حكمين آخرين مطردين . أما الحكم الأول فهو متصل بالهاء ، وهى الحرف الذى خصه الخليل بالذكر بعد حديثه عن العشرة الكبار فقال « وأمام ما كان من رباعي منبسط معرى من الحروف الذلقة حكاية مؤلفة نحو هداق وزهاق وأشباهه فإن الهاء والدال المشابهتين مع لزوم العين والتاء مستحسن ، وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها وإنما هى نفس لا اعتراض فيها » .

وإذا كانت الحكاية مؤلفة غير معرة من الحروف الذلقة فلن يضر كانت فيها الهاء أولاً نحو الفطمطمة وأشباهها ، ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف

صدرها موافقاً لحرف صدر ما ضم إليها فـي عجزها ، فـكأنهم ضموا ( ده ) إلى ( دق ) فألفوها ، ولو لا ما جاء فيها من تشابه المـرفـين ما حسـنـتـ الحـكـاـيـةـ فـيـهـماـ لأنـ الحـكـاـيـاتـ الـرـبـاعـيـاتـ لـاـ تـخـلـوـ مـنـ أـنـ تـكـوـنـ مـوـلـفـةـ أـوـ مـعـاـصـعـةـ ، فـأـمـاـ الـمـوـلـفـةـ فـعـلـىـ ماـ وـصـفـتـ لـكـ وـهـوـ نـزـرـ قـلـيلـ ، وـلـوـ كـانـ الـهـمـخـعـ مـنـ الـحـكـاـيـةـ لـهـازـ فـيـ بـنـاءـ تـأـلـيـفـ الـعـرـبـ ، وـإـنـ كـانـ الـخـاءـ بـعـدـ الـعـيـنـ ، لأنـ الـحـكـاـيـةـ تـحـتـمـلـ مـنـ بـنـاءـ الـتـالـيـفـ مـاـ لـيـحـتـمـلـ غـيـرـهـاـ بـمـاـ يـرـيدـونـ مـنـ بـيـانـ الـحـكـيـ ، وـلـكـنـ لـمـ كـانـ الـهـمـخـعـ فـيـماـ ذـكـرـ بـعـضـهـمـ اـسـمـاـ خـاصـاـ ، وـلـمـ يـكـنـ بـالـمـعـرـوفـ عـنـ أـكـثـرـهـمـ ، وـعـنـ أـهـلـ الـبـصـرـ وـالـعـلـمـ مـنـهـمـ رـدـ وـلـمـ يـقـبـلـ ( ١٤ ) .

من النص السابق نفهم الأمور التالية :

أن الهاء صوت يحسن في الكلمات التي جاءت في شكل (حكاية مؤلفة) ومثل لذلك بكلمتي : دهداق و زهراق . ونفس الحكاية المؤلفة يقوله أن : يكون حرف صدرها موافقاً لحرف صدر ما ضم إليها في عجزها ، فكأنهم ضموا (ده) إلى (دق) فالغواهما ، ولو لا ما جاء فيهما من تشابه الحرفين ما حسن الحكاية فيهما .

وهذا يعني أن الهااء إذا ألفت على هذا النحو مع أصوات متشابهة كالدال  
وركبت مع أحرف نصاعة كالقاف أو العين شاع ذلك واستحسنوه . وقد عدت  
إلى جداول الثنائيات وهي التي تشير إلى أكثر الأصوات تركباً مع غيره في شكل  
ثنائي فوجدت أن أعلى الثنائيات هي المركبة من الحروف العشرة الكبار فييجي  
الثاني (بر) (٢) أعلى ثنائي في الجندر الرباعي ويأتي ١٢٧ مرة في كل الواقع ،  
كما يأتي الثنائي (قر) ٦٥ مرة في أول الجندر الرباعي ، وال الثنائي (نب) ٧٨ مرة  
في متصف الجندر ، وال الثنائي (بل) ٤٨ مرة في آخر الجندر ، وتمثل كل من هذه

١- انظر ع : ٥٤ - ٥٥ .

<sup>٦١</sup> - انظر احصاءات اللسان جدول ١٤ ص ٦١.

الثنائيات أقوى ثانيةً في موضعه<sup>(١)</sup> .

أما الهاء فهو ثانٍ في ثانٍ (هر) ٥٥ مرة والثنائي (هم) ٤٦ مرة والثنائي (هل) ٣٨ مرة وال الثنائي (هد) ٣٧ مرة وهي نسب عالية ويلاحظ أنها كلها مع حروف من العشرة الكبار ، فلماً موقع الهاء التي تحسن في الحكایة المؤلفة من هذه الثنائيات ؟ إن الهاء تظهر كحرف تاليٍ مباشرة للحروف العشرة الكبار ، ويظهر ذلك من خلال الجدول التالي<sup>(٢)</sup> :

النسبة المئوية لنوع الثنائيات تابعه	النوع الثنائيات التي يُرد فيها	النوع الثنائيات التابع التي يُرد فيها	حرف ثانٍ	حرف أول	الحرف	مسلسل
% ٨,٦٣٤	٣٧٠٧	٢٠٣٣	١٦٧٤	ر	١	
٦,٤٨٢	٢٧٨٣	٤٤٤٨	١٣٣٥	ن	٢	
٦,٤١٢	٢٢٥٣	١٦٠٨	١١٤٥	ل	٣	
٦,٠٧٤	٢٦٠٨	١٣٥١	١٢٥٨	ب	٤	
٥,٧٧٦	٢٤٨٠	١٤٢٧	١٠٥٣	م	٥	
٤,٩٩٨	٢١٤٦	٩٧٤	١١٧٢	ع	٦	
٤,٤٣٩	١٩٠٦	٩٣٣	٩٧٣	د	٧	
٤,٣١٦	١٨٥٣	٨٨٦	٩٦٧	ق	٨	
٤,٢٢٣	١٨١٣	٩٢٣	٨٩٠	ف	٩	
٣,٧٢٤	١٥٩٩	٨١٤	٧٨٥	س	١٠	
٣,٥٨٢	١٥٣٨	٦٥٨	٨٨٠	هـ	١١	

من الجدول السابق يتبيّن أن الهاء هي الحرف الحادي عشر الذي يرتفع بعد العشرة الكبار في الخاصية التي أشار إليها الخليل وهي التأليف مع حروف أخرى في شكل ثنائيات يمكن أن تتألف منها الحكایة المؤلفة في مثل دهلاق وزهراق وغيرها ومن الجدير باللحظة أن الثنائيات السابقة خاصة بكل ثنائيات المعجم وليس الرباعي وحده ، والحكایة المؤلفة والأخرى المضاعفة قد تكون أكثر من أربعة

١- انظر جدول ١٤ ص ٦١ من إحصاءات اللسان وانظر السابق ص ٢٢ .

٢- انظر جدول ٢٩ ص ٩١ من المصدر السابق .

كالقططمة التي أشار إليها الخليل .

اما الحكم الثاني الذي يستفاد كذلك عن لحاظ الخليل عن الرياعي غير ما يتعلق بالهاء فهو ظاهرة التناقض في تتابعات صوتية معينة ، وقد أشار في النص السابق إلى أن الحكاية المؤلفة قد تحيط ما لا يقبل في الظروف العادلة « لأن الحكاية تحمل من بناء التأليف ما لا يحتمل غيرها » ومن هذه المتناقضات التي لا تتردد في الكلمة العربية .

أ - الحاء بعد العين .

ب - العين بعد الهاء .

ج - العين بعد الحاء (١) .

وكل ذلك يتمثل في نموذج ( همzug ) . غير أن إشارة الخليل أوسع من مثال همzug بحيث تمثل شكلاً من أشكال التقنيات اللغوية لتأثير المزوف في الكلمة العربية . لأنه يربطها بآلية النطق الخاصة بالعربي تلك الآلية التي لا تسمح بتتابعات صوتية معينة « ألا ترى أن الضاد والكاف إذا أفتا في بدئه بالضاد فقيل « ضك » كان تأليفاً لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مقصولاً بين حرفية بحرف لازم أو أكثر من ذلك الضنك والضحك وأشباه ذلك وهو جائز في المضاعف نحو الضكضاك من النساء ، فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين من الفصول والأعجاز والصدور (٢) » .

وكما رأينا ابن جنبي وسواء يتلقفون بعض لحاظ الخليل ، فإن البلاغيين قد

١ - بمراجعة إحصاءات اللسان وجدت أن الحاء بعدها عين غير موجود في المعجم جدول ١١ ص ٥٥ و أن العين بعدها حاء غير موجود كذلك السابق نفس الصفحة ، وأن الهاء بعدها عين غير موجود أيضاً السابق نفس الصفحة .

٢ - ع ١ / ٥٦ .

لُحِوا ملاحظة الخليل وقاموا بعوْظِفِها في حديثهم عن شروط الفصاحة في الكلمة<sup>(١)</sup> ، غير أن ثمة فرقاً بين كلام الخليل اللغوي العام ، وبين توظيف البلاغيين للظاهر ، فكلام البلاغيين يرجع عدم فصاحة الكلمة في بعض جوانبها إلى سوء ترتيب حروف الكلمة ، على حين أن كلام الخليل لا صلة بالحسن والقبح في التأليف ولا بالفصاحة أو عدم الفصاحة في الترتيب ، بل هو حديث عن التركيب الذي لا يستسيغه العربي بوجه عام في بناء كلماته ، بحيث لو جاءت كلمة طبقاً لهذا النسق حكمنا على الكلمة بأنها ليست من كلمتهم ، إنه حكم يحصل بميكانيزم العملية النطقية عند العرب ، وألية النطق التي تجعله يكثر مما يستسهله نطقاً ، ويقل مما يسر عليه نطقاً ، الأمر الذي مكن لغويأً كالخليل أن ميز بين ما هو من كلمتهم وما ليس منه . فالعربي حين يجد صوتين يعسر على جهازه النطقي أن يجمع بينهما يلجأ آلية جديدة هي ليجاد فاصل بحرف أو حرفين للتخلص من التناقض الذي يستقله جهازه النطقي أو السمعي ، وعلى ذلك نجده يتعامل مع « ضنك » فبدلاً من الضاد والكاف اللذين يكادان يتتصافان يقول ضنك أو ضحك ، هذا هو المخرج ، لكن العرف في الحكاية المضاغفة يجد أنها قامت بغض الخصم وحدها دون حاجة إلى فاصل وذلك في مثل قولنا : ضنك ضحك بحطّق وقفنقون وغيرها مما أجزاءه العربي وفقاً لآلية المضاغفة التي أشار إليها الخليل وعرضنا لها في ثانياً البحث من قبل . وأحسب أن تكرار المقطع المركب من صوتين متنافرين هذا التكرار يحدث تجنيساً صوتياً في الكلمة يدغدغ التناقض المشار إليه في كل مقطع الأمر الذي يجعل الحشونة في النطق ويدهّب السماحة التي كانت تحسها الأذن قبل المضاغفة ، وهذا هو ما جعل هذا النوع يقبل مالا يقبله غيره من المتنافرات أو كما عبر عن ذلك الخليل « فالمضاغف جائز فيه كل غث وسمين من الفصول والأعجذار والصدور » .

١ - انظر دلائل الاعجاز ص ٣٦ وانظر علوم البلاغة ص ١٧ .

## ٥ - ١ : الخامس :

جاء كلام الخليل عن الخامس مختلطًا بحديثه عن الرباعي في أكثر من موضع بحيث يمكن القول : إن أكثر الأحكام التي عرض لها فيما يخص الرباعي تنسحب على الخامس وتنطبق عليه ، ويظهر الخامس في موضع آخر من كلام الخليل مستقلًا بالحديث مما يعني أنه قد ينفرد وحده ببعض الأحكام .

فبعد أن ذكر أن الكلم في العربية مبني على أربعة أصناف ، قال فيما يخص الخامس من حيث أنواعه « والخامس من الأفعال نحو اسمكك <sup>(١)</sup> واقشر ، واسحقنف واسبكر مبني على خمسة أحرف ، ومن الأسماء نحو سفرجل وهرجل وشمردل وكنهيل وقرعيل وعفنقل وقبر وشبه » .

ومن النص السابق نفهم :

أن الكلمة الخامسة تأتي فعلاً ، وتأتي أسماء ، وهو قول ينفرد به الخليل تقريرًا إذ إن الصرفين يرون أن الخامس لا يكون فعلاً البتة ، وسنعود إلى هذا الخلاف بشيء من التفصيل في الفصل الخامس من هذا البحث . وقد مثل لل فعل بأربعة أمثلة على حين مثل للاسم بسبعة وهو رقم يعني في كلام العرب الكثرة المطلقة ، فكأن الخامس عنده أكثره من الأسماء وليس جمعيه كما ذهب الصرفيون .

٥ - ٢ : ثم أضاف الخليل مفسرًا طبيعة الأمثلة التي أوردها للخامس فقال : « والألف التي في اسمكك واقشرًا واسحقنف واسبكر ليست من أصل البناء ، وإنما أدخلت هذه الألفات في هذه الأفعال وأمثالها لتكون الألف عمادًا وسلماً للسان إلى حرف البناء لأن اللسان لا ينطق بالساكن من المحرف فيحتاج إلى ألف وصل .... اعلم أن الراء في اقشر واسبكر هما راءان أدخلت واحدة في الأخرى ،

---

١ = انظر العين ١ / ٤٨ والتهذيب ١ / ٤٢ ، وقد وضع Haywood الكلمة اسمankala بدلاً من - اسمكك ishankaka ، ونماذج هذه الأخطاء عنده كثيرة انظر

والتشديد علامة الإدغام <sup>(١)</sup> .

والخليل في النص السابق يقتفى على الأمور التالية :

– أن الكلمة الخامسة قد تأتي مبدوعة بهمزة وصل (أو ألف وصل كما قال) مزيدة وأن العربي إنما تأتي بهذه الهمزة ليتخلص من خاصية نطقية لا يستسيغها ولم يتكيف عليها جهازه النطقي وهي النطق بالساكن في أول الكلمة ، فكان مجيبة بالهمزة في أول الكلمة هو تخلصاً من هذه العادة التي لا يتألفها الأمر الذي به يتمكن من نطق الكلمة كما اعتاد أن ينطق . وهو كلام صريح على أنه يدرك أن هذه الألف (أو الهمزة) في أول الكلمة ليست من أصل البناء وإنما هي صوت مجنوب لتسهيل النطق ، ويستقطع في الوصل حيث لضرورة .

– أن الكلمة الخامسة قد تأتي مشددة اللام مثل اقشعر واسبكـ ، واسبـطـ وغيرها وليست اللام في هذه الأمثلة ، إلا حرفان أدمغ أحدهما في الآخر . ويفهم من كلام الخليل ضمناً أن الراعين في هذه الأمثلة أصلان وليست إحداهما أصلية والأخر مزيدة كما يذهب الصرفيون . وسنعالج ذلك في موضوع آخر من البحث .

٥ – ٣ : والكلمة عند الخليل لا يمكن أن تأتي في العربية مبنية في الأصل على أكثر من خمسة أحرف <sup>٤</sup> فنهمـا وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلـ منها زائدة على الفاء وليست من أصل الكلمة ، مثل قربـلـةـ إنـماـ أـصـلـ بـنـائـهاـ : قـرـعـلـ ، ومـثـلـ عـنـكـبـوتـ إنـماـ أـصـلـ بـنـائـهاـ عـنـكـبـ <sup>(٢)</sup> .

وكلام الخليل في النص السابق يطرح فكرتين أساستين :

**الأولى** : أنه ليست هناك كلمات عربية بناؤها الأصلي على أكثر من خمسة

١ – السابق : نفس الصفحة والتي تليها .

٢ – السابق : ٤٩ / ١ .

أحرف وهى فرضية علمية تدعى لها إحصاءات الصحاح واللسان ، فطبعاً  
لإحصاءات اللسان ليس هناك أكثر من ١٦ كلمة تزيد عن خمسة أحرف ، أغلب  
الظن أنها من أصل غير عربى كما تقول الدراسة الإحصائية (١) .

الثانية : أن الخليل ألمح إلى فكرة الأصل والفرع ، فقرىء بالعربية هي أصل وقرىء بالإنجليزية فرع ، وعنكب أصل وعنكب فرع ، وهى فرضية منهجية سيكون لها فى  
التفكير اللغوى عند العرب أبعاد ذات شأن فى فهم النظام اللغوى والتعميد له .

٤ - ١ : ثم أورد الخليل بعد ذلك بعض المخواص التي يشتراك فيها  
الخامسى مع الرباعى ، من ذلك ارتفاع نسبة تردد الأصوات اللولقية ؛ فلما ذلت  
الحروف السesta ، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام  
، فليس شئ من بناء الخامسى التام يعرى منها أو بعضها (٢) ..... ثم أضاف

---

١ - إحصاءات اللسان ص ٩ .

٢ - ع : ١٥٢ . وانظر « كتاب العين وموقعه فى آثار الدراسين » وهو بحث مخطوط تأه  
أستاذنا الدكتور كمال بشر على طلاب الفرقة الثانية ١٩٧١ - ١٩٧٢ م . وقد حظى  
مصطلح « الدلالة » بعرض مستفيض فى هذا البحث . وقد عرض المصطلحات الأصوات  
الذان الدلالة والذالقة عند الخليل وعند خالقية ومنه يتضح أن الخليل كان يستخدم هذه  
المصطلحات تارة يعنى خاصاً غيراً بها ثلاثة الأصوات التي تخرج من ذلك اللسان أو  
طرفه وهى الراء والنون واللام ، وتارة يعنى عام غيراً بها مجموحة الأصوات السesta ومر  
بنفل » التي تسمى بالخلفة والسهولة فى المنطق وهى توزع عنده على مدرجتين أو مخرجين  
ثلاثة ذالقة ( الراء والنون واللام ) وثلاثة شفوية هي ( الفاء والباء والميم ) . والحقيقة أن  
الصفة النطقية لهذه الأصوات كانت المخصوصية التي انتهت إليها الخليل ورثى عليها لما لها  
من أثر واضح فى شيوخ تلك السلسلة الصوتية فى بنية الكلمة معجمياً ، فهذه  
المصطلحات إذن على المستوى الصوتى المعجمى مقصود بها صفة نطقية عند الخليل  
تتميز بها هذه المجموعة فى بنية الكلمة ، وأعني بذلك شيوخها وبروزها الواضح فى  
الكلمات الرباعية والخامسية ، أما المخصوصية المخرجية فهى دلالة عارضة وجزئية فى السياق  
الذى وردت فيه هذه المصطلحات .

فأثلاً ؛ فإذا ورد عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من الحروف الذلّي أو الشفوية ولا يكُون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب ؛ لأنك لست واحداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا ونائها من حروف الذلّي والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر .

قال الليث : قلت فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوّبة بشيء من هذه الحروف ؟ فقال : نحو الكشفع والخضعش والكسعشع وأشباهم ، فهذه مولدات لا تجوز في كلام العرب ، لأنّه ليس فيهن شيء من حروف الذلّي والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً ، وإن أشبهه لفظهم وتأييدهم فإن التحاريّر منهم ربما دخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادةليس والتعمّت (١) .

والنص السابق هو تقرير علمي آخر يخص نتائج البحث الاستقرائي الذي قام به الخليل فيما يخص الكلمة الخماسية ، ولا يخفى أن كم الكلمة الخماسية في اللغة المحدود نسبياً قد ساعد الخليل على الوصول إلى توصيف دقيق خصائص البنية الصوتية لكلمات هذا البناء ، ويجمل في ضوء هذا التقرير أن نرجع إلى إحصاءات الصبحان واللسان لتشتّت من مدى صحة النتائج التي انتهى إليها الخليل .

٤ - ٤ - ٤ : وأول هذه الخواص أن الكلمة الخماسية - كالمرباعية - لا تخلو من حرف أو أكثر من حروف الذلّة ، وهي ملاحظة أكّدت صحتها الإحصاءات بالنسبة للرباعي وأحسب أن إثارة نتائج إحصاءات الصبحان واللسان بالنسبة للكلمة الخماسية ، ومقارنة الإحصاءتين كما فعلنا مع الرباعي هو الإجراء المناسب للتأكد من صلامة ما انتهى إليه الخليل .

وذلك نتائج إحصاءات الصحاح الخاصة بالعشرة الكبار في الجذور الخامسة :

المسلسل	منة الحرف	الحرف	مرات الفردد (١)	النسبة المئوية (٢)	نسبة الحرف إلى الكلمة
١	الذلة	ر	٢٤	١٢,٦٣٢	
	الثانية	ل	١٨	٩,٤٧٤	
	الثالثة	ب	١٦	٨,٤٢١	
	الرابعة	م	١٠	٥,٢٦٣	
	الخامسة	ن	٩	٤,٧٣٧	
	السادسة	ف	٨	٤,٢١٠	
	مجموع الملوقة		٨٥	٣٩,٩٩٧	٠ : ١,٩٩٩
٢	الذلة	ت	١٨	٩,٤٧٤	
	الثانية	د	١٦	٨,٤٢١	
	الثالثة	ع	١٢	٦,٣١٦	
	الرابعة	س	٩	٤,٧٣٧	
	مجموع حروف الصادمة		٥٥	٢٨,٩٩٨	٠ : ١,٤٤٧
٣	مجموع الماء الكبار		١٤٠	٦٨,٩٤٥	٠ : ٣,٤٤٦
	١				
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					

من الجدول السابق نسجل ما يلى :

- أن مجموع الجذور الخامسة في معجم الصحاح هي ٣٨ جذراً ونسبةها إلى جملة جذور الصحاح نحو ٠,٦٧٤ % (١) ، وعدد حروف الجذور الخامسة هي ١٩٠ حرفاً تثل حوالى ١ % من مجموع حروف الجذور (٢) .

- أن مجموع الحروف الذلية في الخامسي هي ٨٥ حرفاً من جملة حروف الخامسي ١٩٠ حرفاً بنسبة هي ٣٩,٩٩٧ % أو هناك ١,٩٩٩ من حروف الذلية من بين خمسة الأحرف التي يتكون منها الجذر الخامس .

١ - انظر إحصاءات الصحاح جدول ٢٢ ص ٩٣ .

٢ - انظر السابق ص ٣١ .

٣ - انظر السابق نفس الصفحة .

- أن مجموع حروف النصاعة الأربعه في الخامسى هي ٥٥ حرفاً من جملة الحروف ١٩٠ بنسبة مغوية هي ٢٨,٩٤٨٪ أو هناك ١,٤٤٧ من الحروف الأربعه من بين كل خمسة أحرف يتكون منها الخامسى .

- مجموع الحروف العشر الكبار في الخامسى هي ١٤٠ حرفاً من بين مجموع الحروف الخامسى ١٩٠ بنسبة مغوية هي ٦٨,٩٤٥٪ أي أن هناك ٣,٤٤٦ من الحروف المشتركة من بين كل خمسة أحرف في الجذر الخامسى أو ثلاثة أحرف ونصف تقريباً من حروف المشتركة الكبار والحرف ونصف الحرف المتبقية هي متوزعة على ١٨ حرفاً (ثمانية عشر حرفاً) المتبقية من صوامت العربية . وهذه الأرقام تطابق نص الخليل « فلست واحداً في جميع كلام العرب خمسياً ينأيه بالحروف المصته خاصة <sup>(١)</sup> » وقوله في موضع آخر « ولا يضر ما خالف من سائر الحروف المصتهم <sup>(٢)</sup> » ، والحرف المصتهم عنده هي ما عدا حروف الذلة من الحروف الخمسة والعشرين الصحيح في اللغة العربية .

فماذا عن الخامسى في إحصاءات اللسان ؟ وهل خرجت عن هذه المؤشرات التي حملتها إلينا إحصاءات الصحيح ؟ في الجدول التالي الجواب عن هذا السؤال .

---

١- انظر التهذيب ص ١ / ٥١ .

٢- انظر العين : ص ١ / ٥٤ .

نتائج إحصاءات اللسان الخاصة بالعشرة الكبار في الجنور الخامسة :

المسلسل	صيغة المحرف	المحرف	مرات التردد	النسبة المقرية	نسبة المحرف إلى الكلمة	
١	القافية	ن	١٠٣	٪ ١١,٠		
		ر	١٠١	٪ ١٠,٨		
		ل	٨٤	٪ ٩,٠		
		ب	٦٦	٪ ٧,١		
		م	٣٩	٪ ٤,٢		
		ف	٣٢	٪ ٣,٤		
٥ : ٢,٢٧٢		مجموع الملوقة	٤٢٥	٪ ٤٥,٤٥٤		
٧	القافية	ق	٦٩	٪ ٧,٤		
		س	٥٥	٪ ٥,٩		
		د	٥٠	٪ ٥,٣		
		ح	٤٩	٪ ٥,٢		
٥ : ١,١٩٢		مجموع الصناعة	٢٢٣	٢٢,٨٥٠		
٥ : ٣,٤٦٥		مجموع المشرفة الكبار	٦٤٨	٦٩,٣٠٤		

من الجدول السابق يتبين أن إحصاءات اللسان تكاد تطابق إحصاءات الصراح وذلك كما يظهر من القراءة التالية للجدول .

— أن الحروف الذلوقية تردد ٤٢٥ مرة من جملة حروف الخامس ٩٣٥ بنسبة ٤٥٪، أي أن هناك حوالى ٢,٢٧٢ من حروف الذلقة في كل خمسة

١ - انظر التهذيب ص ١ / ٥١ .

٢ - انظر العين ص ١ / ٥٤ .

<sup>٢٣</sup> - انظر إحصاءات اللسان ص ٢٣ ، وجدول ٣٠ ص ٩٣ .

أحرف يتكون منها الجذر الخماسي .

– أن حروف النصاعة تردد ٢٢٣ مرة من بين جملة حروف الخماسي ٩٣٥ بنسبة ٢٣,٨٥٠ % أي ١,١٩٢ من حروف النصاعة في كل جذر خماسي .

– وهذا يعني أن الحروف العشرة تردد ٦٤٨ مرة من بين مجموع حروف الخماسي ٩٣٥ بنسبة مثوية هي ٦٩,٣٠٤ % أو هناك ٣,٤٦٥ من الحروف العشرة والباقي وهو حوالى حرف ونصف تثلها الشمائية عشر حرفًا المتبقية من صواتت العربية في الجذر الخماسي ولعل هذا الكلام أن يكون ذا قيمة أكبر فيما لو وضعت إحصاءات الصحاح واللسان معًا في مقارنة تكشف عن مؤشرات هذه الحروف العشرة في الخماسي عموماً .

المسلسل	الخاصية موضوع المقارنة	الصحاح	اللسان
١	مجموع جلور الخماسي	٣٨	١٨٧
٢	نسبة جلور الخماسي إلى جملة الجلور	% ٦٧٤	% ٢,٠٢
٣	مجموع حروف الخماسي	١٩٠	٩٣٥
٤	مجموع التراثية فقط	٨٥	٤٢٥
٥	مجموع النصاعة فقط	٥٥	٢٢٣
٦	نسبة التراثية إلى جملة المروف	% ٣٩,٩٩٧	% ٤٥,٤٥٤
٧	نسبة النصاعة إلى جملة المروف	٢٨,٩٤٨	% ٢٣,٨٥٠
٨	مجموع العشرة الكبار	١٤٠	٦٤٨
٩	نسبة العشرة الكبار	٦٨,٩٤٥	% ٦٩,٣٠٤
١٠	نسبة المروف التراثية إلى حروف الجلور	٥: ١,٩٩٩	٥: ٢,٢٧٢
١١	نسبة حروف النصاعة إلى حروف الكلمة	٥: ١,٤٤٧	٥: ١,١٩٢
١٢	نسبة العشرة الكبار إلى حروف الكلمة	٥: ٣,٤٤٧	٥: ٣,٤٦٥

تكشف المقارنة بين نتائج إحصاءات الصلاح ونقطاً منها في إحصاءات اللسان عن الحقائق التالية فيما يخص الجنور الخامسة :

ـ أنه بالرغم من الفارق الهائل بين عدد الجنور الخامسة في المعجمين حيث تصل في الصلاح إلى ٣٨ جنراً على حين أنها تبلغ ١٨٧ في اللسان أى أكثر من أربعة أضعاف ما هو موجود في الصلاح فإن خصائص البنية الصوتية لجنور الخامسي في المعجمين تكاد تتطابق .

ـ فالحروف الذوائية تمثل في المتوسط حوالي ٤٠ % من نسيج الكلمة الخامسة أو بمتوسط حرفين من كل خمسة أخرى .

ـ أن مجموع العشرة الكبار يمثل في المتوسط حوالي ٦٩ % من نسيج الكلمة الخامسة أو بمتوسط ثلاثة أحرف ونصف من كل خمسة أحرف .

وهي نتيجة تؤكد أن خاصية كل من حروف الذلقة وحروف النصاعة هي الارتفاع الواضح في تشكيل بنية الخامسي صوتياً وهو كلام يؤكد صحة ملاحظات الخليل في هذا الصدد . ولا بد أن يكون الرجل قد سلك نفس السلوك وطبق ذات الإجراء الإحصائي للوصول إلى نفس النتيجة ، إذ يستحيل أن يكون الاتفاق في النتائج على هذا التحول من قبيل الصدفة أو هو خبط عشوائي بدون قصد . بل لا بد أن يكون عمل الخليل الرائد جهداً علمياً منضبطاً في إطار مشروع تظيري محكم أمكن التحقق من سلامته .

ـ ٤ - ٣ - من المفيد أن نعود لنصلّ الخليل الذي جمع فيه الرباعي والخامسي معاً في حكم واحد هو اتفاقهما في ظاهرة شيوخ الحروف الذوائية وشيوخ حروف النصاعة ، أو شيوخ العشرة الكبار عموماً ، ومن المداول السابقة كل على حدة ثبت أن الحروف العشرة تميّز ببروز ظاهرة في نسيج المكلمة الرباعية والخامسية وهو ما يطابق قول الخليل « فإذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرأة من حروف الذلقة أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف أو اثنان

أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ، ليست من كلام العرب ، لأنك لست واحداً من يسمع من كلام العرب الكلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف النُّكُوك والشفوية واحدة أو اثنان أو أكثر <sup>(١)</sup>

هذا الكلام قد تم التأكيد منه في الرباعي على حده ، وفي الخماسي منفرداً كذلك لكن الجمع في الحكم ، أو الإشراك يقتضى منهجياً أن توضع نتائج الرباعي والخماسي في إحصاءات الصحاح بإزاء نظائرها في إحصاءات اللسان ، الأمر الذي يبرر عليه ضم الخليل التوعين في الحكم ، لأنه قطعاً قد فعل نفس الشيء حين طرد الحكم من الرباعي إلى الخماسي ، وتلك مقارنة شاملة بين النتيجتين الخاصتين بالرباعي والخماسي معاً في إحصاءات الصحاح واللسان .

اللسان	الصحاح		الخاصية موضوع المقارنة	المنزل
الخماسي	الرباعي	الخماسي	الرباعي	
١٨٧	٢٠٤٨	٣٨	٧٦٦	١ سمح المطرور
% ٢,٠٢	٢٧,٤٧	% ٠,٢٧٤	% ١٣,٥٨٤	٢ نسبة المطرور إلى جملة حروف للسم
٩٣٥	١٠١٩٢	١٩٠	٣٠٦٤	٣ سمح حروف المطرور
٤٢٥	٤٣٦٢	٨٥	١٣٩٦	٤ سمح المطرور للطويلة
٢٢٣	٢٢١٩	٥٥	٦٩٨	٥ سمح حروف الصدقة
٦٤٨	٦٥٨١	١٤١	٢٠٢٤	٦ سمح المطررة الكبار
% ٤٥,٤٥٤	% ٤٢,٧٩٨	% ٣٩,٩١٧	% ٤٣,٢٧٦	٧ نسبة حروف اللاءة إلى جملة حروف المطرور
% ٢٣,٨٥	% ٢١,٧٧٢	% ٢٨,٩٤٨	% ٢٢,٧٨٢	٨ نسبة حروف الصدقة إلى جملة حروف المطرور
% ٦٩,٣٠٤	% ٦٦,٥٧٠	% ٦٨,٩٤٥	% ٦٦,٥٠٧	٩ نسبة المطررة الكبار إلى جملة حروف المطرور
٥ : ٢,٢٧٢	٥ : ١,٧١١	٥ : ١,٩٩٩	٥ : ١,٧٣١	١٠ نسبة عدد حروف اللاءة إلى جملة حروف المطرور الواحد
٥ : ١,١٩٢	٥ : ٠,٧٨	٥ : ١,٤٤٧	٥ : ٠,٩١١	١١ نسبة عدد حروف الصدقة إلى جملة حروف المطرور الواحد
٥ : ٣,٤٦٥	٥ : ٢,٥٨٢	٥ : ٣,٤٤٧	٥ : ٢,٦٤٢	١٢ نسبة عدد المطررة الكبار إلى جملة حروف المطرور الواحد

من المجدول السابق يتبين لنا مجموعة من المؤشرات البارزة ذات الدلالة العلمية من هذه المؤشرات :

- أن مجموع الرباعي في الإحصائيتين أكبر من مجموع الخماسي .
- نسبة حروف الدلالة في الرباعي في المعجمين تدور حول مستوى ٤٣٪ تقريباً . على حين أنها تصل إلى ٤٠٪ في خماسي الصحاح وأكثر من ٤٥٪ في خماسي اللسان . وهو ما يعني بوجه عام أن نسبة حروف الدلالة في الرباعي أقل منها في الخماسي .
- تقل نسبة حروف النصاعة في الرباعي في المعجمين عنها في الخماسي بوجه عام .

- نسبة العشرة الكبار في الرباعي تقل عنها في الخماسي في المعجمين كذلك .

وإذا حاولنا أن نفسر هذه الظاهرة تفسيراً علمياً فإن السرًّ - من وجهة نظر هذا البحث - يكمن في ميكانيزم العملي النطقي لكل من الرباعي والخماسي ، فمن المعروف أنه كلما كثُر عدد حروف الكلمة اقتضى ذلك جهداً عضلياً فيما يتصل بفصيلولوجيا جهاز النطق الأمر الذي يحتاج معه الناطق إلى اللجوء إلى تضمين مثل هذه الكلمة حروفاً أكثر من تلك الحروف التي يستسهلها في النطق ، ولما كانت المؤشرات تؤكد أن الحروف العشرة الكبار هي التي تتمتع بخاصية السلامة في النطق والاستساغة في الأداء ، فإن العربي قد لجأ إلى تضمين الكلمة الرباعية قدرأً يخفف من صعوبة النطق بها يوازي هذا الكم من الحروف نظراً لأن نطق الخماسي يقتضي جهداً يزيد ٢٠٪ عن نطق الرباعي ، الأمر الذي رفع نسبة العشرة الكبار في الخماسي عنها في الرباعي . ولعل ما يدعم هذا التفسير أن نقوم بمقارنة نسبة العشرة الكبار في الثلاثي بنظائرها في الرباعي والخماسي ، ومن المفترض في ضوء هذا التفسير أن تقل هذه النسبة في الثلاثي عنها في الرباعي عنها في الخماسي وقد قمت

بمقارنة العشرة الكبار في هذه الأنواع الثلاثة من خلال إحصاءات اللسان . وهذا جدول يبرز هذه النسب .

الخامسى (٣)		الرابعى (٤)		الثالثى (١)		الحرف	المسلسل
نسبة التردد	عدد التردد	نسبة التردد	عدد التردد	نسبة التردد	عدد التردد		
١٠,٨	١٠١	% ١٠,٨	١١٢	% ٦,١٤٤	١٢٥	ر	١
١١	١٠٣	٦,٣٦٨	٦٤٩	٥,٧٨٧	١١٣٥	ن	٢
٤,٢	٣٩	٦,٣٨٧	٦٥١	٥,٥١٦	١٠٨٢	م	٣
٩	٨٤	٧,٧٨١	٧٩٣	٥,٢٥١	١٠٣٠	ل	٤
٧,١	٦٦	٧,٣٩٨	٧٥٤	٥,١٢٤	١٠٠٥	ب	٥
٥,٢	٤٩	٦,٤٥٦	٦٥٨	٤,٤٢٥	٨٦٨	ع	٦
٣,٤	٣٢	٤,٠٥٢	٤١٣	٤,٢٨٣	٨٤٠	ف	٧
٥,٣	٥٠	٥,٠٥٣	٥١٥	٤,١٨١	٨٢٠	د	٨
٧,٤	٦٩	٥,٦٦١	٥٧٧	٤,٠٠٧	٧٨٦	ق	٩
٥,٩	٥٥	٤,٦٠٢	٤٦٩	٣,٧١٧	٧٢٩	س	١٠
٦٩,٣٠٤		٦٤٨	% ٦٤,٥٧	٦٥٨١	% ٤٨,٤٣٥	المجموع	

من الجدول السابق يجيز لنا الحقائق التالية :

- أن نسبة حروف الذلة في الثالثى ٣٢,١٠٥ % . من جملة حروف الثالثى البالغة ١٩,٦١٤ على حين أن نسبة حروف الذلة في الرابعى ٤٢,٧٩٨ % . من جملة حروف الرابعى البالغة ١٠١٨٤ ، أما حروف الذلة في الخامسى فتصل

١ - انظر إحصاءات اللسان جدول ١ ص ٣٥ .

٢ - انظر إحصاءات اللسان جدول ٧ ص ٤٧ .

٣ - انظر إحصاءات اللسان جدول ١٥ ص ٦٣ وانظر جدول ٢٣ بمرات الورود في كل نوع .

٧٩ .

نسبتها إلى ٤٥,٤٥٤ %. من جملة حروف الخماسي البالغة ٩٣٥ حرفًا<sup>(١)</sup>.

- المؤشرات السابقة تعنى أن :

النولقية في الثلاثي تقل عنها في الرباعي بحو ١٠ %.

النولقية في الثلاثي تقل عنها في الخماسي بحو ١٣ %.

- أما فيما يتصل بالعشرة الكبار فظاهر مؤشرات الجدول لتقول لنا ما يلى :

العشرة الكبار في الثلاثي ٤٣٥,٤٨ %.

العشرة الكبار في الرباعي ٦٤,٥٧ %.

العشرة الكبار في الخماسي ٦٩,٣٠٤ %.

- وهذا يعني ما يلى :

أن العشرة الكبار تقل في الثلاثي عنها في الرباعي بنسبة ١٦,١٣ %.

أن العشرة الكبار تقل في الثلاثي عنها في الخماسي بنسبة ٢٠,٨٦٩ %.

وكل المؤشرات السابقة تدعم تفسيرنا الفسيولوجي للظاهرة على اعتبار فكرة الجهد في الأداء حيث يقتضي الثلاثي جهدًا قليلاً بالنسبة للرباعي وجهدًا أقل بالنسبة للخماسي ، كما أن الرباعي يقتضي جهدًا كذلك أقل من الخماسي . وهو ما أرجأه العريبي إلى الاستعانة بهذه المجموعة السهلة في النطق بحسب تتناسب مع ما يحتاجه من جهد في كل نوع منها ، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا لم يفت الخليل بل أشار إلى ذلك في عبارة علمية دقيقة قائلًا : فلما ذلت الحروف الستة

١- تبلغ جذور الثلاثي في إحصاءات اللسان ٦٥٣٨ وهذا يعني أن عدد حروفها ١٩٦١٤ حرفًا ، وتبلغ جذور الرباعي ٢٥٤٨ فعدد حروفها ١٠١٨٤ حرفًا ، وتبلغ جذور الخماسي ١٨٧ جنراً وعدد حروفها ٩٣٥ انظر إحصاءات اللسان ص ٩٣.

ومذل بهم اللسان وسهلت عليه في النطق كثرت في أبجية الكلام ، فليس شيء من بناء الخماسي العام يعرى منها أو من بعضها <sup>(٢)</sup> ، فقوله كثرت في أبجية الكلام تشمل الثلاثي والرباعي والخمسى ، وخصوص الخماسي في هذه العبارة لأنه أعلاها نسبة ، وقد جمع الرباعي والخمسى في الحكم حين قال بعد ذلك « لست واحداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر » <sup>(٣)</sup> وهو ما يعني أن الرباعي تكثر فيه هذه الحروف كذلك ، ولكن الخماسي أكثر من الرباعي لأنفراده أكثر من مرة بالحكم . وهو كلام يطابق الإحصاءات خطوة بخطوة ، الأمر الذي يعكس حقيقة مؤداها أن الخليل قد وضع يده على أسرار البنية الصوتية للكلمة العربية في ضوء نظرية معجمية رياضية محكمة لم يعط اللثام عن صوابها إلا لغة الأرقام فـأين هنا من أحكام صناع الماجم <sup>؟</sup>

#### ٦ - بين الخليل وأبن منظور

بعد هذا العرض لفكرة الكمية كأساس من أسس المنهج في نظرية الخليل ، وبعد أن تبين لنا دقة ما انتهى إليه ، وأمكننا التحقق من صحة الفرضية من خلال مقارنة ما أورده الخليل بما انتهت إليه إحصاءات الكمبيوتر لأكبر معجم في العربية وهو اللسان وأصبح معاجمنا القدية وهو الصحاح ، فإنه من المناسب أن نعود لصاحب اللسان ونقارن بين ما أورده من نتائج ونقارنها بنتائج الدراسات الإحصائية . ونخص أين منظور هنا بالكلام لثلاثة أسباب :

**الأول :** أنه صاحب اللسان ، ومعجمه بوصفه أضخم معاجمنا القدية كان أحد المعجمين الذين خضعا للدراسة الإحصائية ، وهي الدراسة التي أكدت صحة مقولات الخليل .

٢ - انظر المعن ١ / ٥٢ .

٣ - السابق نفس الصفحة .

الثاني : أن ابن منظور نقد منهج الخليل مثلاً في التهذيب والحكم نقداً لاذعاً حين قال في مقدمة معجمه « كان واضعه شرع للناس مورداً عذباً وجلالهم عنه ، وارتاد لهم مرجعاً ومنعهم عنه ، قد آتى وقلاً ، وقصد أن يعرب فأعجم فرق الذهن بين الثنائي المضاعف والمقلوب وبسدى الفكر باللقيف والمقلع والرباعي والخمسى فضاع المطلوب » (١) .

الثالث : أنه أراد أن يدللي بدلوه في الكشف عن خصائص البنية الصوتية للكلمة العربية كما ظهر له من خلال مادة معجمه ، وهو بذلك قد قدم معلومات في نفس الحال الذي جاء الخليل فيه بما سبق عرضه ، ويحمل أن نعرض النتائج التي وصل إليها على نتائج الإحصاءات التي تمت على معجمه كما سبق أن فعلنا ذلك مع نتائج الخليل .

قسم ابن منظور الحروف بحسب قوة التردد ثلاثة أقسام القسم الأول يضم سبعة أحرف ، وهي أعلى الحروف ترددًا في بنية الكلمة ، والقسم الثاني يضم أحد عشر حرفاً وهي مجموعة متوسطة في نسبة التردد ، والقسم الثالث يضم عشرة أحرف ، وهي لأقل الحروف ترددًا ، وقد أورد الدكتور على حلمي موسى مقارنة بين عمل ابن منظور ونتائج إحصاءات الكمبيوتر لمعجم اللسان . فجاءت المقارنة على النحو التالي : (٢)

القعة الثالثة	القعة الثانية	القعة الأولى	النتائج
ز أ ت ص ث خ أ ي ض ذ ظ	د ف س ح ح ه ش ك ط و خ	ر ل ن ب م ع ق	نتائج الكمبيوتر
ظ غ ط ز ث خ ض ش ص ذ	ر ع ف ت ب ك د س ق ح ح	أ ل م ه و ي ن	نتائج ابن منظور

١ - انظر مقدمة اللسان وانظر ج ١ من ٧ كتب المصاحح ومتاريس المعاجم العربية من ٢٩ ، ٨٠ .

٢ - إحصاءات اللسان من ٢٥ .

من الجدول السابق يتبين لنا ما يلى :

- أنه وضع الراء وهي طبقاً لإحصاءات الكمبيوتر أقوى حروف اللغة ترددأ ، وضعها في الفعلة الثانية .
- وضع الباء والعين والكاف وهي من العشرة الكبار ، ومن حروف المقدمة وضعها في الفعلة الثانية كذلك .
- وضع الهمزة والياء وهما من حروف المؤخرة في إحصاءات الكمبيوتر وضعهما في الفعلة الأولى .
- وضع اثنتي عشر حرفأ غير فتحتها وهي (ر ، ب ، ع ، ق ، ه ، ش ، ط ، و ، خ ، ء ، ت ، ئ ) . بنسبة خطأ حوالي ٤٣ % .
- قدم وأخر خمسة عشر حرفأ عن مكانها في فتحتها بنسبة اضطراب حوالي ٥٣ % .
- لم يتفق مع إحصاءات الكمبيوتر إلا في حرف واحد فقط هو حرف (اللام) حيث جاء في فتحته وفي ترتيبه الصحيح من بقية الأصوات . بنسبة صواب ٤ % والباقي وهو إما خطأ صراح أو مضطرب ليس في مكانه الدقيق .

وليس يعني هذا أن نغض من قدر ابن منظور فالرجل لا مشاحة راو عظيم من رواة اللغة ، وأحد فرسان الخلبة في مجال خدمة صناعة المعلم العربي ، وسيظل اللسان من أفضل معاجلنا القديمة وأوفاها مادة وأوثقها عند الباحثين ، غير أن الرجل لم يفهم صنعة الخيل لأنها ليست من قبيل صنعته ، ولم يفلح في الاقتراب من النتائج التي حققها ، لأنه أقحم نفسه في مجال ليس مجاله ، وسار في درب يختلف عن دربه ، إن الفرق بين عمل صانع المعلم كابن منظور والمنظر العجمي كالخليل كالفرق بين راوي الحديث والفقير أو بين راوي اللغة والشعر والعالم الناقد . الأول تقاس عظمته بكل ما حمل إلينا ونقل لنا إاته كالزاملة التي تحمل الأسفار

وبدونها لا يصل العلم ، والثاني تقاس عظمته بكيف ما وعى واستبطط ، وكلامها  
رجل عظيم في ميدانه ، وفارس في حلبه .

ما سبق يبين لنا أن حديث الخليل عن الصحيح والمعلم ، والثلاثى والرباعى  
والخامسى والمضاعف وغيرها من معلومات صوتية وصرفيه ليس فيه تشتيت للذهن  
وتبديد للوقت وإضاعة للمطلوب كما فهم ابن منظور ، بل الأمر مخالف لذلك  
 تماماً لمن يفهم طبيعة المعالجة التي تقدم في إطارها هذه المعلومات ، والسياق الذى  
وردت فيه ، فالذى ينظر إلى النظام العجمى بوصفه أحد أنظمة اللغة ، سينجد  
المفاهيم السابقة هي الأسس النظرية التي يقوم عليها هذا النظام ، فالفارق بين  
الصحيح والمعلم له أثر على المستوى التركيبى ولا شك أن ثمة تغيراً في بنية الفعل  
يطرأ عند الاستاد مثلاً للضماير ، وعند خضوعه لضوابط الحالة التحويية Case  
grammer من رفع ونصب وجزم ، ويتربى على سلامة البنية الصوتية للكلمة آثار  
مهمة لسلامة البنية التركيبية وتماسكها ، فالجملة ليست مجرد رص كلمات ، بل  
رص كلمات معينة وفق نظام معين ، واعتبار المعلم بهذه النظرة خطورة موطنة  
ومتفاعل مع أنظمة اللغة الأخرى هي التي تفسر طرح هذه المفاهيم ومعالجة جوانب  
الصحة والاعتلال ، وتفسير البنية الصوتية للكلمة للتمييز بين العربي وغير العربي  
من الكلم ، وكلها من صميم المعالجة المجممية النظرية الشاملة التي تخدم بقية أنظمة  
اللغة الأخرى ، وهذا هو ما يحاول تطويره المحدثون باعتبار المعالجة المجممية خطورة  
من خطوات التحليل الموطنة للدرس التركيبى ، تقتضى النظر إلى مادة اللغة لا  
بوصفها وحدات شكلية فحسب بل باعتبارها وحدات ذات معنى وذات وظيفة  
تركيبية معاً<sup>(1)</sup> ، وهو ما يجعل طرح الخليل نبته في حاجة إلى رعاية وتطوير في  
هذا الاتجاه ، وسبقاً منهجاً في فهم الوظيفة الحقيقة للمعجم بين أنظمة اللغة  
الأخرى ، لم يكن الخليل يشتت الذهن بل يواظبه ، ولم يضيئ عمله المطلوب بل  
أرشد إليه ، لأن المطلوب الذى يسعى لتحقيقه يخالف المطلوب الذى يتحدث عنه  
ابن منظور . فهذا في وادٍ وذاك في وادٍ آخر .

1 - انظر على سبيل المثال المسانيد واللغة العربية ص ٦٣ وما بعدها .

الفصل الرابع  
الأساس التقليدي



## الفصل الرابع : الأساس القليبي

١ - يمثل الأساس التقليبي الركيزة الثالثة من ركائز المنهج في نظرية الخليل المعجمية ، وقد مر بنا من قبل الركيزة تان الأوليان ، وهو الأساس الصوتي والأساس الكمي ، ويقف هذا الأساس الثالث شامخاً كأساسية السابقين وأصيلاً ، فلا أعلم أحداً سبق الخليل في تطبيقه ، وهو أصيل عنده لأن الثابت تاريخياً هو علو كعب الخليل في هذا العلم ، ولا أريد أن أسبق بالأحكام فأصصفه بالدقة والانضباط من جانب والشمول والحصر من جانب آخر ، مع إمكانية التتحقق من صدقه كفرضية علمية هي جزء من النظرية المعجمية الخليلية ، فذلك موضوع هذا الفصل ، الذي أترك للقارئ الكريم فرصة الحكم ، والتعرف عن كثب على طبيعة هذا الإجراء الثالث عنده .

من تبع نصوص العين تقابلنا فقرة وحيدة تتصل بهذا الأساس ، وهي على إيجازها قد حملت في طياتها عموداً أساساً من عمد النظرية ، وسوف أنقل الفقرة كاملة ، ثم أعرض لها بالبساط والتحليل .

قال الليث : قال الخليل :

اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين : قد ، دق ، شد ، دش ،  
والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدودة ، وهي نحو ضرب ،  
صنبر ، برض بضر ، رضب ، ريض . والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة  
عشرين وجهاً وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تتصرف في وجوه الثلاثي  
الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهاً ، يكتب مستعملها ويلفي  
مهملها وذلك نحو عبر تقول منه :

عقرب ، عرق ، عقبر ، عقر ، عربن / قرب ، قبر ، قبرع ، قرعب ،  
قربع / رعقب ، رعقب ، رقعب ، رقبع ، ربعع / بعقر ، بعرق ، بقعر ،

بقرع ، برقع ، برقع (١) .

والكلمة الخامسة تصرف على مائة وعشرين وجهًا وذلك أن حروفها وهي خمسة تضرب في وجوه الرباعي ، وهي أربعة وعشرون حرفًا فيصير مائة وعشرين وجهًا ، يستعمل أقله ويلغى أكثره وهي نحو :

سفرجل ، سفرلح ، سفجرب ، سجفل ، سرجفل ، سلجرف ،  
سلرج ، سلفرج ، سجفلر ، سرفلح ، سجفل ، سلفرج ، سرجفل ، سلجرف ،  
سرلحف ، سجلفر وهكذا (٢) .

والنص السابق هو موضوع البحث في هذا الفصل ، إنه يحمل في طياته على قصره واحدًا من أخطر عناصر النهج في النظرية المعجمية خاصة والنظرية اللغوية العربية بوجه عام . وإذا كان البحث يعني في هذا المقام بعرض هذا الأساس في إطار النظرية المعجمية ، فإن دراسة أخرى يجب أن تتوفر على فهم هذا الأساس في إطار النظرية اللغوية العربية عامة وال نحوية على وجه المخصوص .

---

- ١ - هكذا جاء تصريف الرباعي في نص العين ١ / ٥٩ ومجموع هذه الصور ثلاثة وعشرون صورة ، وينقص من هذه الصور كلمة قبر . وقد ذكرت الصور كاملة في نص التهذيب ١ / ٤٩ . ويلاحظ كذلك أن ترتيب نص العين المشار إليه أعلاه فيه خلل في ترتيب الصيغ فمن المفترض أن تأتي كل صورتين متماثلتين في المحرف الأول والثاني متاليتين وبناء على ذلك كان يجب في المجموعة الأولى أن يقال عقرب عقرب - ثم عبرق عقر ، وهكذا ولكنه قال عبرق قبل عقرب . وقد جاء نص التهذيب في هذه النقطة سليمًا . ولكن نص التهذيب أورد خطأ مماثلاً في المجموعة الثانية وخطأً مماثلاً في المجموعة الرابعة أشار إلىهما الحق انظر التهذيب ١ / ٤٩ .
- ٢ - العين ١ / ٥٩ وانظر التهذيب ١ / ٤٩ .

٢ - ١ أما عن حديثه عن الثنائي فأحاب أن أقف عند قوله : ( تتصرف ) .  
 والتصريف في اللغة التصريف ، وتنفير الكلمة على أوجهها الإتيان بالأشكال المختلفة منها ، ويلفت النظر أن الخليل استعمل مصطلحًا لغويًا ، مع أن الفكرة رياضية ، كما أن الخليل لم يستعمل في هذا السياق خاصة لفظ تقليل ، وهو المصطلح الذي شاع إطلاقه على عملية التصريف أو التغبير ، غير أن كلمة تقليل قد وردت في موضع آخر من نص العين ، ولكنها جاءت حينئذ بمعنى آخر ، قال الليث : « وقلب الخليل ١ ، ت ث فوضعها على قدر مخرجها من الحلق (١) » وهو هنا يقصد بها أنه ذاقها أو تحسسها ثم أدارها على مخارجها فوضع كل حرف منها في مدرجه أو مخرجه . ومع ذلك فإن مصطلح تقليل قد شاع منذ ظهر العين بين الدارسين ، وقد شرح ابن دريد المقصود به في معجمه (٢) ، وكانتوا حين يمثلون لظاهرة التقليل يقولون مثلاً : قع وقلوبها عن إشارة إلى أن هذا المصطلح كان مقصوداً به الإتيان بقلب الكلمة أو مقلوباتها أو تقليلها أو تصارييفها .

والذى يعني من مصطلح الخليل في النص السابق وهو كلمة ( تصريف )  
 أن فيه إشارة إلى وجود صلة ما بين الصور المختلفة للكلمة ، وهو أمر سيكون له أثر فيما بعد حين أرخت هذه الفكرة إلى عدد من اللغويين كابن فارس في مجلمه ومقاييسه وأبن جنى في خصائصه بمحاولات البحث عن هذه الصلة التي لم ي Finch عنها الخليل ، فكان أن ولدت فكرة الأصول التي حاولت ربط هذه التقليلات بمعنى واحد (٢) .

١ - انظر العين ص ٤٨ والتهليل ص ١ / ٤١ .

٢ - المهمة ج ٣ / ٥١٣ .

٣ - ذهب الدكتور رافي إلى أن فكرة الأصول هي فكرة الخليل وأكتفى الدكتور أتيس والدكتور رمضان عبد النوايب بالقول بأنها هي التي أورحت إليهم بذلك . انظر فقه اللغة ١٩٣ ، ٢٨٢ ، ومن أسرار اللغة ص ٥٨ وقصول في فقه اللغة ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

والتصريف كما شاع بعد ذلك لم يكن مجرد علاقة شكلية فحسب بل هو علاقة معنوية كذلك ، وليس في استخدام الخليل لمصطلح التصريف ما يمنع أنه رأى وجود علاقة في المبنى والمعنى بين صور أو مقلوبات الكلمة المختلفة ، بدليل وضمه المقلوبات المستعملة كلها في مكان واحد ، ولابد أن وراء هذا الضم معاً في مكان واحد هدفاً غير الاشتراك في البنية ، وتکاد طريقة الخليل أن تكون الطريقة المسيطرة في شرح المادة المعجمية حين يأتي بالكلمة وتصريفاتها على شاكلة ضرب يضرب ضرباً فهو ضارب ومضروب ... الخ وإذا كان جمع الصيغة الصرفية على هذا النحو هو بالقطع لغاية دلالية ، فلا يمنع أن يكون جمع المقلوبات المختلفة في مكان واحد هو لغاية دلالية كذلك . غير أن الخليل عندي لا يسأل عن كثير من الاعتساف الذي شاب بعض معالجات ابن فارس وابن جنى ومن لف لفهم ، حتى طرح كثير من الباحثين الفكرة كلية وعلوا البحث عن جامع دلالي بين مقلوبات الكلمة مجرد شطحه من شطحات هؤلاء اللغويين ووهم كبير أو قعهم فيه الافتتان بلحة العرب<sup>(١)</sup> .

٢ - ٢ أما عن فكرة التقاليب الخليلية كما تظاهر من النص السابق فهي فكرة رياضية خالصة للخليل فضل توظيفها في المجال اللغوي ، التماساً للدقة ، وهو بهذا أسبق من المحدثين ، بل ربما كان أول لغوي معروف لنا حاول ذلك . وتقوم الفكرة على أساس حصر الإمكانيات الرياضية لضرب رقم في آخر ، أو ما يسمى في الرياضيات بمضروب العدد ، وذلك على النحو التالي :

$$2 = 2 \times 1$$

$$6 = 3 \times 2 \times 1$$

$$24 = 4 \times 3 \times 2 \times 1$$

$$120 = 5 \times 4 \times 3 \times 2 \times 1$$

---

١ - وسوف يعود البحث إلى هذه النقطة في الفصل الأخير بشيء من التفصيل .

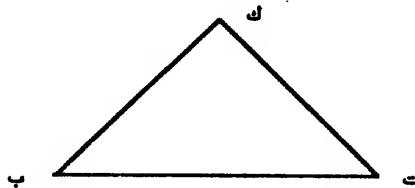
وهذا يعني على المستوى اللغوي أن الاحتمالات الرياضية الممكنة لقليل الكلمة مكونة من حرفين هو توليد كلمتين مثل قد - دق ، شد - دش .. الخ .

وقد استخدم الخليل نفسه مصطلح ( ضرب ) وقال ( تضرب ) وهو ما يدلنا على الحقل الرياضى الذى منه أى بفكته .

ولا يخفى أن فكرة المسكن رياضياً تخدم الخليل في جانبين الأول هو حصر مادة اللغة حصرأً تماماً ، فلا يفوته منها شيء ، والثانى ضم الصور المستعملة والمتماثلة في الشكل في موضع واحد ، وهو ما يخدم الباحثين في نظرية المعجم في الكشف عن أسرار البنية ، سواء معرفة ما تؤثره اللغة من مبان وما لا تؤثره ، أم في إمكان الكشف عن صفات هذه الصور دلاليًا ، أم التعرف على طبيعة الفجوات المعجمية وإمكان الاستفادة منها . إلى غير ذلك من غايات . ربما يكشف البحث العلمي عنها وهو يبحث عن مناهج أخرى لإعادة ترتيب مادة المعجم على أساس تركيبي أو حقلى أو صوتي . أو دلالي تركيبى ... الخ .

٢ - ٣ - وفي ضوء الفكرة السابقة فإن الكلمة الثلاثية لا تسمح بإعطائنا أكثر من ٦ مقلوبات أو صور طبقاً لإمكاناتها الرياضية ، وقد التمس ابن دريد من الرياضيات الوسيلة الرياضية لشرح الفكرة فرسم لنا مثلاً ووضع على كل زاوية حرفًا من حروف الكلمة الثلاثية على النحو التالي (١) في الكلمة

( كتب ) .



١ - انظر المجمة من ٢ / ٥١٣ ومثال كتب من وضع البحث . جاء الرسم في المجمة في شكل دائرة على النحو التالي . =

وبحسب كلام الخليل فيمكن أن نبدأ بالكاف ثم نبدأ بالباء ثم نبدأ بالباء  
فتحولت لدينا الصور التالية .

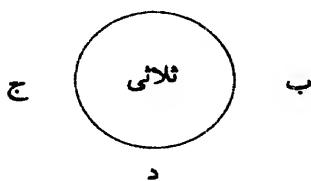
١ - أن نبدأ بالكاف فتحصل على صورتين : كتب - كبت .

٢ - أن نبدأ بالباء فتحصل على صورتين : تكب - بتك .

٣ - أن نبدأ بالباء فتحصل على صورتين : بكت - بتك .

ويسمى الخليل هذه الكلمة بالمسدومة أو ذات الصور السعة .

٤ - أما الرياعي في ضوء الفكرة الخليلية فامكانياته الرياضية ٢٤ صورة ، ويمكن  
تصور هذه الإمكانيات - استكمالاً لصنيع ابن دريد - من خلال مربع ، على  
النحو التالي (١) :



وفي المزهر جاء الرسم في شكل مثلث ، انظر المزهر ١ / ٧١

١ - شرحت هذا التصور ص ٢٧ - ٢٩ في مذكرة مخطوططة أقيمتها على طلابي بدار العلوم  
سنة ١٩٨٥ م وقد قرأت للدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور أحمد مختار ما يفيد أن  
المرحوم الدكتور محمد سالم المهر قد تصور الفكرة على نحو ترتيب مما قدمته ، وإن  
كنت لم أقرأ شيئاً لأستاذنا المهر ، وعمله على ما يهدو كان محاضرات مخطوططة غير  
منتشرة انظر الماجم العربية ٤ محاضرات مخطوططة للدكتور عبد الصبور أقيمت على  
طلاب الفرقه الثانية بدار العلوم سنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ ص ١١ وانظر البحث اللغوي عند  
العرب ص ١٧٢ .

شكل ١ مقلوبات درج

الرقم	الصورة	٤	٣	٢	١
١	درج				
٢	درج حجر				
٣	درج حجر				
٤	حجر				
٥	حجر				

شكل ٢ مقلوبات درج

الرقم	الصورة	٤	٣	٢	١
٧	درج				
٨	حجر				
٩	درج				
١٠	درج حجر				
١١	حجر				
١٢	حجر				

شكل ٣ لملفوبيات دحرج

الرقم	الصورة	٤	٣	٢	١
١٣	رطنج				
١٤	رجمود				
١٥	ردمج				
١٦	ردمج				
١٧	رجمود				
١٨	ردمج				

شكل ٤ لملفوبيات دحرج

الرقم	الصورة	٤	٣	٢	١
١٩	جرحد				
٢٠	جردح				
٢١	جحدر				
٢٢	جحدر				
٢٣	جدرج				
٢٤	جدر				
مجموع صور					

من الجدول السابق يتبيّن لنا فيما يتعلّق بالكلمة الرباعية ما يلي :

- ١ - أن هناك أربع مجموعات من الكلمات : المجموعة الأولى تبدأ كلماتها بـ (سـ) بالحرف (دـ) والمجموعة الثانية تبدأ كلماتها بالحرف (حـ) والمجموعة الثالثة تبدأ كلماتها بالحرف (رـ) والمجموعة الأخيرة تبدأ كلماتها بالحرف (جـ) . وهذا يعني أن القاسم المشترك بين كل سبعة كلمات هو حرف واحد من أربعة أحرف أو ٢٥٪ من حروف الكلمة .
- ٢ - أن كل مجموعة من المجموعات الأربع تقسم ثلاثة ثانويات ، كل ثالثي ي-contained في الحرفين الأولين فمثلًا المجموعة الأولى ثانوياتها على النحو التالي :
  - دـحـرـ - دـحـجـ      تـشـتـرـكـ فيـ الثـانـيـ (ـدـحـ) فيـ أـوـلـ الـكـلـمـةـ .
  - دـرـحـ - دـرـحـ      تـشـتـرـكـ فيـ الثـانـيـ (ـدـرـ) فيـ أـوـلـ الـكـلـمـةـ .
  - دـحـجـ - دـجـ      تـشـتـرـكـ فيـ الثـانـيـ (ـدـجـ) فيـ أـوـلـ الـكـلـمـةـ .وهذا يعني أن كل ثالثي من الكلمات تـشـتـرـكـ كلـمـتـاهـ فيـ حـرـفـينـ منـ أـرـبـعـةـ أـحـرـفـ أو ٥٠٪ منـ حـرـوفـ الـكـلـمـةـ وهذا يعني أن القراءة بين كلمتين متحاللين في ٥٠٪ منـ حـرـوفـ الـجـذـرـ أـقـرـبـ نـسـيـاـ منـ بـقـيـةـ الـكـلـمـاتـ الأـخـرـىـ .
- ٣ - من الفكرة الموجودة في رقم (٢) السابق يتبيّن أن هناك ١٢ زوجاً من الكلمات كل زوج يـشـتـرـكـ فيـ ٥٠٪ منـ حـرـوفـ وـيـبـاـدـلـ الـحـرـفـانـ الـبـاـقـيـانـ الـمـوـاـقـعـ ، وهو ما يمكن أن نـتـكـئـ عـلـيـهـ فـيـ إـثـبـاتـ إـمـكـانـ التـبـاـدـلـ وـعـدـمـهـ منـ جـانـبـ بـشـكـلـ رـياـضـيـ دـقـيقـ فـيـ نـسـاـذـ الـإـبـدـالـ الـلـغـوـيـ ، كـمـاـ يـمـكـنـ الـاتـكـاءـ عـلـىـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ فـيـ القـوـلـ بـالـقـرـاءـةـ الـدـلـالـيـةـ وـعـدـمـهـ منـ جـانـبـ ثـانـيـ عـلـىـ اـعـتـارـ أنـ تـقـارـبـ الـمـبـنـىـ لـابـدـ أـنـ يـكـونـ ذـاـ قـيـمـةـ دـلـالـيـةـ تـعـثـلـ فـيـ تـقـارـبـ الـعـنـىـ كـذـلـكـ . وهذا ليس فـرـضاـ

تخمينياً بل إن الدراسات اللغوية الإحصائية<sup>(١)</sup> قد أثبتت أن الحروف الأولى من جذر الكلمة هي أكثر حروف الكلمة حملاً لحرثومة المعنى . وبناءً على ذلك فالتقريب في الدلالة بين دحرج ودحمر المتفقان في الحرفين الأولين ليس دعوى ظنية ، بل هي مؤشر تؤكده الدراسات الحديثة . الأمر الذي يقتضي إعادة النظر في فكرة التقارب الدلالي بين مقلوبات الكلمة في ضوء هذه الضوابط ، دون أن نطلق الأحكام بالقول بالتقريب المطلق بين كل المقلوبات كما ذهب أنصار فكرة الأصول كابن فارس وابن جنی .

٤ - أن ثمة قرابة بين الصور الأربع والعشرين يحکم أن بعضها مقلوب من البعض الآخر ، غير أن هذه القرابة هي أضعف القرابات بين المقلوبات جمیعاً .

٢ - ٥ - أما الكلمة الخامسة فإن فكرة مضروب العدد الرياضية تعطينا صورة كما سبقت القول ، وذلك بضرب  $1 \times 2 \times 3 \times 4 \times 5 = 120$  ، وقد شرح الخليل الفكرة بأن نضرب وجوه الرباعي وهي  $24 \times 5$  وهي عدد حروف الكلمة الخامسة فتكون الجملة  $120$  صورة . ولنحصل على هذه الصور كما قال الخليل فإلئى أقدم للقارئ تصویرن :

التصور الأول : أن الكلمة مثل سفرجل لو حذفنا منها السين ليقيت الكلمة ( فرجل ) وهي الكلمة رباعية فنضعها في جدول الرباعي فنعطيها  $24$  صورة رباعية ثم نضيف حرف السين في أول الصور الأربع والعشرين فنكون لدينا  $24$  صورة خماسية ثم نحذف منها ( الفاء ) فتبقى ( سرجل ) ونطبق عليها نفس الإجراء وبناء على ذلك نحصل على  $24$  صورة رباعية ثم نضيف إليها الفاء في أول كل صورة ونكرر ذلك حتى نحصل على  $120$  صورة على النحو التالي .

---

١ - انظر الأصوات والأشارات لكتندراتوف ص ٥١ .

سفرجل - س = فرجل .

سفرجل - ف = سرجل .

سفرجل - ر = سفجل .

سفرجل - ج = سفرل .

سفرجل - ل = سفرج .

ويتم تقليل الكلمات : فرجل - سرجل - سفجل - سفرل - سفرج عن طريق جدول الرباعي فنحصل على ما يلى :

الكلمة الرباعية	صورها المسكتة	الحرف الذى يزداد فى أول الصور	عدد الصور الخامسة بعد الزيادة
فرجل	٢٤	س	٢٤
سرجل	٢٤	ف	٢٤
سفجل	٢٤	ر	٢٤
سفرل	٢٤	ج	٢٤
سفرج	٢٤	ل	٢٤
مجموع صور سفرجل	-		١٢٠ صورة

التصور السابق يعتمد على شرح الخليل لإمكانية الحصول على الصور المختلفة للكلمة الخامسة وذلك بالأعتماد على الكلمة الرباعية في هذا الإجراء ومن قراءة نص العين ، وبعد تطبيق فكرته على كلمة سفرجل وحصله على الصور

المكنته وجدت خللاً في الصور التي حصل عليها ، وبمقارنته ذلك بنص التهذيب ، لاحظت تكرار نفس الخلل ، وإن كان نص التهذيب أكثر دقة وأكتمالاً من نص العين . وقد لاحظ ذلك أستاذنا عبد السلام هارون ، لكنه لم يدرك العلاقات الأخرى التي تربط هذه الصور بعضها بعض (١) .

التصور الثاني : وفيه اجتهدت في إعداد جدول لتوليد صور الخماسي كما فعلت مع الرباعي . سوف يتبين لنا من خلال هذا الجدول مدى الخلل في الحصول على صور الخماسي في نص العين ونصل التهذيب من جانب وترتيب أستاذنا هارون الدقيق من جانب آخر وهذا هو جدول الحصول على الكلمة الخماسية :

فيقال : سفرجل سفلرج ، سفجلر سفلجر ، سفلجر سفلرج ، سرجفل سرجلف ، سرفجل سرفلرج ، سرافلجر سرافلج ، سلرجف سلرجف ، سلجرف سلجرف : سلجر سلفرج ، سجلفر سجلرف ، سمجفلر سمجفلر ، سمجفل سمجفل .  
ومنه يبين أنه وضع هذه الصور في اثني عشر زوجاً من الكلمات يشتراك كل زوج منها في ثلاثة الأحرف الأولى وهذا شكل واحد من أشكال العلاقات بين هذه الصور ، وهو أمر سيناهي عن مشاركة الشائج التي وصل إليها بنتائج سواه . انظر النصين السابق والهاديا .

## تقلیب سفر جل رقم ۱

جدول المقارنة

المسلسل	نص العنوان	نص التهذيب	نص الأستاذ هارون	نتيجة المدول
١	سفرجل	سفرجل	سفرجل	سفرجل
٢	سفرلح	سفرلح	سفرلح	سفرلح
٣	سفرجل	سفرجل	سفرجل	سفرجل
٤	سفرجل	سفرجل	سفرجل	سفرجل
٥	سفرلوف	سفرلح	سفرلح	سفرلح
٦	سرقجل	سفرلح	سفرلح	سفرلح
٧	سرجفل	سفرلح	سفرلح	سفرلح
٨	سلجرف	سرففع	سرفجل	سرفجل
٩	سلرج	سرجلف	سرفجل	سرفجل
١٠	سلرج	سرففع	سرفجل	سرفجل
١١	سيغفلر	سلفوج	سرففع	سرففع
١٢	سرففع	سلفوج	سرففع	سرففع
١٣	سيغفلر	سلفوج	سرفجل	سرفجل
١٤	سلفوج	سرففع	سرفجل	سرفجل
١٥	سرجلف	سلفوج	سرفجل	سرفجل
١٦	سرجلف	سرجفل	سرفجل	سرفجل
١٧	سرجلف	سرجلف	سرفجل	سرفجل
١٨	سيغفلر	سرجلف	سرفجل	سرفجل
١٩	(-)	سيغفلر	سرجلف	سرجلف
٢٠	(-)	سرجفل	سرجلف	سرجلف
٢١	(-)	سرجلف	سرجفل	سرجفل
٢٢	(-)	سرجف	سرجفل	سرجفل
٢٣	(-)	سرجلف	سرجفل	سرجفل
٢٤	(-)	سيغفلر	سرجفل	سرجفل

من مقارنة نتائج جدول الحصول على صور الخامسة الذي قمت به بنتائج نص العين ونص التهذيب وترتيب أستاذنا هارون يبين لنا ما يلى :

٢ - ٥ - أن نص العين مضطرب ولا يستند إلى أى شكل من أشكال التنظيم فى الحصول على الصور . اللهم إلا الثنائى ١ ، ٢ سفرجل سفرلوج ، والثانى ٦ ، ٧ سرفجل سرجفل ، وجاوت بقية الثنائيات العشرة مضطربة ، وناقصة فلم يرد فى النص إلا ثمان عشرة صورة من وجوه الخامسة المبدوعة بالسين وعددها أربع وعشرون صورة . وهذا يعني وجود نقص فى ذكر الصور وضع له رمز  $\Theta$

٢ - ٤ - أن نص التهذيب جاء أكثر انتظاماً فجاءت المجموعة الأولى وعددتها ست صور مطابقة للمجموعة الأولى فى الجدول وفي ترتيب الأستاذ هارون . ثم بدأ الاضطراب فى المجموعة الثانية وازداد خللاً فى بقية الصور . وتكرر فيه بعض الصور مثل سرفجل ووضع لذلك علامة  $\times$  ، كما تكرر سرجلف ووضع لذلك رمز  $\times$  ولم يذكر تبعاً لذلك بعض الصور وعددها صورتان وهما سلرجم وسجلم ، ولم يلتفت إلى هذا النقص أستاذنا هارون .

٢ - ٣ - أن ترتيب أستاذنا هارون جاء دقيقاً وإن اختلف مع الجدول فى تقديم بعض الصور على بعض ، ولو التزم ترتيب حروف سفرجل باعتبار السين يليها الثناء يليها الراء يليها الحيم يليها اللام كما فعل الجدول لوصل إلى نفس النتيجة ، وهو أمر ترتب عليه أنه لم يراع إلا ثنائياً واحداً في الجدول وهو كل زوج من الكلمات تشارك في ثلاثة الأحرف الأولى .

٢ - ٤ - أما الجدول فجاء أكثر انتظاماً والترم ترتيب المروف فى التقليل الأمر الذى ساعد على ملاحظة الأمور التالية .

٢ - ١ - أن الصور الأربع والعشرين تشارك في الحرف الأول بنسبة ٢٠٪ من حروف الكلمة الخامسة وتلك أضعف العلاقات بين مجموع الصور .

٥ - ٤ - أن الصور الأربع والعشرين ت分成 أربع مجموعات كل منها ٦ صور تتفق في الحرفين الأولين : المجموعة الأولى أولها ( سف ) ( الأول والثاني من سفرجل )

المجموعة الثانية أولها ( سر ) ( الأول والثالث من سفرجل )

المجموعة الثالثة أولها ( سج ) ( الأول والرابع من سفرجل )

المجموعة الرابعة أولها ( سل ) ( الأول والخامس من سفرجل )

ويعنى هذه العلاقة وجود اتفاق ٤٠ % من حروف الصور الست . وهى قرابة أقوى من القرابة الموجودة بين الصور الأربع والعشرين جميعاً ، لاحظ النظامية فى الحصول على الصور وهذه علاقة لم يلتقط إليها أستاذنا هارون ، مع أنه لاحظها فى صور الرباعى ( ١ ) .

٥ - ٣ - ت分成 الصور الأربع والعشرون اثنى عشر زوجاً من الكلمات يشتركون كل زوج منها في ثلاثة الأحرف الأولى بنسبة ٦٠ % من حروف الكلمة وهى تبعاً لذلك أقوى العلاقات بين الصور جميعاً ، وهى الملاحظة التي التفت إليها الأستاذ هارون وساعدته على الوصول إلى الحصر الدقيق من جانب والترتيب الأكثر دقة من غيره من جانب ثان .

وهذا يعنى أن مجموع تقلبات المذكرة الخمسى المائة والعشرين تشتمل على ما يلى :

- ٦٠ زوجاً من الكلمات ، كل زوج يشتركون في ثلاثة الأحرف الأولى بنسبة اتفاق ٦٠ % .

- هناك عشرون مجموعة عدد كل منها ٦ صورة تتفق في الحرفين الأولين بنسبة اتفاق ٤٠ % .

---

١ - فقد لاحظ فى ترتيب التهذيب لصور عبر فى الرباعى أن وجه الترتيب أن تتحمل الكلمة الثالثة ( من صور المبدوء بالكاف ) بقصد ( قرب ) ثانية بقصد ( قسر ) والثالثة ثلاثة .

لأن ترتيب التهذيب جاء فى هذه المجموعة قسر ، قسر قرب قبرع ... ، انظر التهذيب ١

٤٩ /

- هناك خمس مجموعات عدد كل منها ٢٤ صورة تتفق كل منها في الحرف الأول بنسبة اتفاق ٢٠ %.

وقد سبق القول إن نسب القرابة بين الكلمات في أول الحذر يمكن أن يُستند إليها كأحد الأدلة للقول بالقرابة في نظرية الأصول . فالتي تشتراك في ٢٠ % من حروف الكلمة بينها قرابة لكنها أقل من التي تشتراك في ٤٠ % وهي قرابة دون القرابة بين الكلمات التي تشتراك في ٦٠ % ، وما أكثر ما تستعمل اللغة قديماً وحديثاً الكلمات التي تشتراك في ٦٠ % من المزوف أو ٤٠ % من المزوف وبين الباقى قلب ، تستعملها بمعنى واحد مثل ربعون وعربون بربطمان وبطرمان ، فلهوى وفهلوى ، وهلم جرا<sup>(١)</sup> ..

فهل يسمح لنا هذا التصور بتفسير علية جمع الخليل لمقلوبات الكلمة في مكان واحد على أنها إشارة من نوع ما إلى أن من خصائص فلسفة النظام المعجمي للغة أن تستخدم هذه الصور المختلفة للمقلوبات في مuhan متقاربة ، وهى فكرة توسيع بها كلمة « تصريف » بمعنى تغيير يجعل بعضها من بعض في المعنى والمعنى معاً . وفي إطار هذا الفهم أيضاً لا تصبح فكرة التقاليب طرحاً عبيداً لبيان مختلفة ، بل لبيان ذات معانٍ بينها صلات على المستويين معًا مسوى البنية أو الشكل ومستوى الدلالة أو المعنى كذلك ، وهو طرح في إطار فلسفة المجم الذهني للغة ، ومحاولة تصوره ، دون أن يقصد الخليل بها أى شكل من أشكال التبويب المعجمي ، ولعل ما يدعم هذا الفهم أن الخليل كان يقدم المقلوبات المختلفة للمادة بوصفها أمثلة للفكرة ، ولم يطبقها تبعاً لذلك إلا في الثنائي والثلاثي فقط عل حين أنه لم يضطرد في تطبيقها على الرباعي والخمسى ، مما يؤكّد أنه إنما يقدم التقاليب كفكرة نظرية تمهيدية لتصور نظام اللغة المعجمي والعلاقات في الشكل والمعنى بين التقاليب ، ولو كان الهدف من فكرة التقاليب هو التبويب المعجمي القاموسى

١- انظر نماذج لهذا في القديم في المزهـر ٢ / ٢٧٧ ونماذج أخرى في الحديث من كتاب في التطور اللغوي من ٥٩ .

لطبقها على الرباعي والخمساني ، ولا يُعرض على ذلك بصعوبة هذا التطبيق لأن مادة الرباعي والخمساني المستعملة فعلاً بالقياس إلى المهمل لا تصل إلى ٥٪ من الممكن رياضياً لصور الرباعي والخمساني<sup>(١)</sup> . الرجل إذن لم يقصد التبويض بل استهدف تقديم أمثلة للنظرية ليس غير .

٣ - ١ من نص الخليل الخاص بالتقاليل تلقيف فكرة أخرى خلا فكرة الـ « تصريف » أو التقاليل التي عو留意ت في النقطة السابقة ، وأعني بالفكرة الجديدة ما سماه الخليل بـ « المهمل والمستعمل » وهي فكرة نظرية رياضية كذلك، تصدر عن طاقات النظام المجمعي للغة ، وأحسبها واحدة من اللمحات المهجية الذكية في النظرية المجممية خاصة واللغوية بوجه عام ، وهي فكرة تحتاج إلى شيء من إعادة التناول في ضوء عدد من المعطيات الجديدة التي تطرحها بعض النظريات العلمية الجديدة في الرياضيات من جانب أو في اللغويات الحديثة التي اتت على الرياضيات من جانب آخر .

إن الخليل حين طرح فكرة المستعمل والمهمل أو الموجود بالقصة والموجود بالفعل من مادة المجمجم العربي كان يحاول، استقراء المادة اللغوية التي أفرزتها آلية التقاليل ، وبذلك تكون هذه الفكرة عنده جزءاً مكملاً ومتداخلاً مع الفكرة السابقة ، فالتقاليل حصر واستخراج المستعمل والمهمل قراءة مادة المجمجم واستنباط يعين على فهم فلسفة كل منها .

وقد حاول علماء الرياضيات أن يحصروا الممكن رياضياً في ضوء فكرة التباديل والتوافق ، ويقال إن الخليل فعل ذلك وحصر إمكانات اللغة في ضوء هذه الفكرة ، وليس في نص العين أية إشارة تفيد أن الخليل فعل ذلك ، وقد أشار السيوطي في مزهره إلى ما نسب إلى الخليل من أرقام<sup>(٢)</sup> .

١ - سيأتي جدول بهذه النسبة بعد صفحات من هذا البحث .

٢ - انظر المزهري من ١ / ٧٤ - ٧٥ .

أما المحدثون من علماء الرياضيات فقد وضعوا الفكرة في حيز التنفيذ ، وفي إطار نظرية المعلومات information theory وهي نظرية رياضية حديثة تم الاستفادة من فكرة المستعمل والمهمل في مجالات عملية مختلفة ، وسوف أعود لذلك بعد قليل .

وقد حاول الدكتور على حلمي موسى أن يقدم حسراً رياضياً للممكّن في اللغة العربية في معرض دراسية الرائدتين لمعجم الصحاح واللسان ، وهذا عرض بالنتائج التي وصل إليها بليه تعليق على هذه النتائج .

- عن الثالثي قال الباحث : « يحتوى معجم لسان العرب على ٦٥٣٨ جذراً ثلاثياً ، والمعروف أن الموضع الأول والثانى فى الجذر يمكن أن يشغله أحد الحروف الثانى والعشرين (١) ، على حين يشغل الموضع الثالث أحد هذه الحروف مع استبدال ألف المد بحرفى الواو والياء ، أى أنه يمكن أن يشغل هذا الموضع سبعة وعشرين (٢) حرفًا فقط ، لذا فإن عدد الجنور الثلاثية المسموح بها رياضياً هو  $(28 \times 28 \times 27)$  أى : ٢١٦٨ وعلى هذا يمكن استنتاج أن نسبة عدد الجنور الواردة بالممعجم إلى المسموح به رياضياً هي ٣١٪ (٣) » .

- بالنسبة للرابعى : « يحتوى معجم لسان العرب على ٢٥٤٨ جذراً رياضياً ، ونظراً لأن العدد المسموح به رياضياً هو  $(27 \times 328)$  أى ما يزيد على نصف المليون فعلى ذلك تبلغ نسبة الجنور الواردة إلى المسموح به حوالي ٤,٣ في الألف وتمثل الجنور الرابعة ٢٧,٥٪ من مجموع جذور اللسان (٤) .

١ - الثانية والعشرين .

٢ - سبعة وعشرون .

٣ - انظر إحصاءات اللسان ص ١٩ .

٤ - انظر إحصاءات اللسان ص ٢١ .

— بالنسبة للخمسى : « يحتوى لسان العرب على ١٨٧ جنراً خماسياً تقبل ٢٪ من مجموع جنور المعجم <sup>(١)</sup> »

وكلام الباحث فى هذه الإحصاءات فى حاجة إلى إعادة نظر على النحو التالى :

— حين تحدث الباحث عن المكن رياضياً فى الثلاثى نجد قد خلط بين مستوى الجنر ومستوى الكلمة . والجنر فى اللغة فنكة تهريدية تتحدث عن ثلاثة أحرف صامتة أصلية مثل (ض رب) ، (ك ت ب) ، (ل ع ب) ، (د ع و) ، (ج رى) ، ومن الجنر نحصل على كلمات سواء أكانت فعلأً أم اسمأً مثل ضرب ، ضرباً ، وكتب كتابة ، لعب لعباً ، ودعا دعوة ، وجرى جرياً ، وفي مستوى الكلمة قد تبدل بعض أصوات الجنر بأخرى كأن تبدل بالراو والباء فى لام الجنر ألف فبدلاً من دعو وجرى نقول دعا وجرى . فالاستبدال يتم على مستوى الكلمة لا على مستوى الجنر ، والم肯 رياضياً يتعامل مع الجنر لا الكلمات .

— حين تناول أن نحصل على الم肯 رياضياً فإننا نضرب مجموع الصوات فى اللغة فى عدد حروف الجنر ، وصوات اللغة العربية ثمانية وعشرون ، ليس من بينها صامت يسمى ألفاً . وبناء على ذلك لا يمكن أن يوجد فى الجنر العربى ألف أصلية لا فى فاء ولا فى عينه ولا فى لامه . لأن الألف حركة طويلة vowel وليس صامتاً consonant .

— بناء على ما سبق فإن الم肯 رياضياً لشائى العربية أى للجنور المكونة من حرفين أصليين يكون بضرب  $28 \times 28$  أى  $28^2$  صامت حرف أول فى ٢٨ صامت حرف ثان . وجملة ذلك ٧٨٤ جنراً شائياً مكنا فى اللغة العربية .

---

١ - انظر إحصاءات اللسان ص ٢٣ .

- وبناء على ذلك أيضاً فالممكـن رياضياً من المـلـمـورـ الـلـلـاثـيـةـ هو  $328 \times 28$  أو  $28 \times 28 \times 28 = 21,902$  جـلـرـاـ لـلـلـاثـيـةـ مـمـكـنـاـ.

- أما الـرـبـاعـيـ المـمـكـنـ رـيـاضـيـاـ فـمـجـمـوـعـةـ  $428$  أو  $28 \times 28 \times 28 \times 28 = 614,606$  جـلـرـاـ رـبـاعـيـاـ مـمـكـنـاـ.

- أما الـخـمـاسـيـ المـمـكـنـ رـيـاضـيـاـ فـهـوـ حـاـصـلـ ضـرـبـ  $28^5$  أو  $28 \times 28 \times 28 \times 28 \times 28 = 17,210,368$  جـلـرـاـ خـمـاسـيـاـ مـمـكـنـاـ.

وبناء على ما سبق فإن مجموع المـلـمـورـ الـلـلـاثـيـةـ وـالـلـلـاثـيـةـ وـالـرـبـاعـيـةـ وـالـخـمـاسـيـةـ المـمـكـنـةـ هوـ  $17,847,760$  جـلـرـاـ فيـ كـلـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ. وهذا جـدـولـ بـهـذـهـ الـإـحـصـاءـاتـ:

الكمية	المملوكة رياضياً	المملوكة المـمـكـنـةـ	المـلـمـورـ المـمـكـنـةـ	المـلـمـورـ المـمـكـنـةـ	نسبة المستعمل إلى المـهـلـ
الثاني		$784 = 228$	$228$	$228$	$2,001 \%$
الثالث		$21,902 = 328$	$328$	$328$	$29,783 \%$
الرابع		$614,606 = 428$	$428$	$428$	$0,414 \%$
الخامس		$17,210,368 = 28^5$	$28^5$	$17,210,368$	$1,001 \%$
مجموع المستعمل إلى المـهـلـ					$\% 32,749$
مجموع المستعمل إلى المـمـكـنـةـ رـيـاضـيـاـ					$\% 0,002$
-					

في الجدول السابق رقمان بحاجة إلى بعض بيان : الأول هو مجموع المستعمل إلى المهمل وهو ٣٢,٧٤٩٪ . وهذا يعني أن المهمل وحده نحو ٦٧,٢٥١٪ . ونسبة المستعمل هنا إنما هي مجموع نسبة المستعمل إلى المهمل في كل نوع من الأنواع .

أما الرقم الثاني وهو مجموع المستعمل إلى الممكـن رياضياً فهو النسبة المئوية لمجموع الجنـور المستعملة ٩٢٩٣ إلى مجموع الممـكـن رياضياً ١٧,٨٤٧,٧٦٠ جـذرـاً .

وعلى حين تتحصر نسبة المهمل إلى المستعمل في حصر الصور المستعملة من مقلوبات الجذر إلى الصور التي أهملت منه كالصور المستعملة من دحرج والصور المهملة من مقلوبات هذا الجذر . فإن نسبة المستعمل إلى الممكן رياضياً تشمل المستعمل فعلاً إلى جملة المهمل في اللغة سواءً أكان بعض مقلوبات جذر له صور المستعملة كدحرج أم كان جذراً مهلاً بكل تقلباته كتلك التماذج التي أشار إليها الخليل مثل قمعج ودعجج ومقلوباتها من الرياعي ، ومثل كشعج وغضبعج وكشعطج وجميع مقلوباتها من الخماسي ، وإذا علمنا أن جل الملايين السبعة عشر من الرياعي والخماسي ، على حين أن مجموع المستعمل منها هو ٢٧٣٥ جذراً ، أدركتنا سر الفرق الكبير من الرقمنين لنسبة المستعمل إلى المهمل وهي ٣٢,٧٤٩٪ . ونسبة المستعمل إلى الممكן رياضياً والتي لا تزيد عن ٢٠٥٢٪ . اثنين وخمسين من الملايين في المائة .

وأما نسبة المستعمل إلى المهمل في العربية فهي تدور حول المعدل العالمي لللغات البشرية التي تشير إلى أن نسبة المهمل في اللغة الطبيعية هي من ٧٠ إلى ٨٠٪ (١) وهي في العربية قرابة ٧٠٪ أو ٦٧,٢٥١٪ بالضبط. هذا التصور الرياضي للمستعمل والمهمل في اللغة كما طرحته الخليل هو نفسه

الإجراء الرياضي الذي قام به علماء الرياضيات في ضوء نظرية المعلومات ، فقد قام الرياضي السوفياتي أ. خار كيفتشن وهو عالم متخصص في نظرية المعلومات بإجراء حساب من هذا النوع بالنسبة للغة أية لغة : « فلو أن أبجدية اللغة ثلاثة حروفًا وكل كلمتها تتألف من حرف واحد ، إذن سيكون لدينا ثلاثة كلمات مختلفة مثل (I) في اللغة الإنجليزية بمعنى (أنا) <sup>(١)</sup> ، وإذا كانت كل الكلمة من كلمات اللغة تتألف من حرفين سيكون الناتج  $3^2 = 900$  مثل أم أب ، هو ، ولكن ليس لدينا كلمات مثل رم فق ... <sup>(٢)</sup> الخ ، واللغة التي تتألف أبجديتها من ثلاثة حروفًا يمكن أن تعطينا  $27,000$  كلمة ذات أحرف ثلاثة مثل فتح ، رأس ، نحن ، نهم ... الخ ولكن لا توجد كلمات مثل ساج أو نمح ، ويمكن لهذه اللغة أن تعطينا كلمات مركبة من أربع <sup>(٣)</sup> أحرف يصل عددها إلى  $3^4 = 81,000$  وكلمات من خمسة أحرف <sup>(٤)</sup> أو  $3^5 = 243,000$  كلمة ، إلا أن لغة كالإنجليزية ( وأحرفها ٢٦ حرفاً ) تشتمل على ما يقرب من مليون كلمة مقيدة ( إذ إن قاموس ويستر الكامل يضم قرابة نصف مليون كلمة ) ولكن لنعد إلى اللغة الروسية ثانية ، لو

١ - السابق ص ٣٩ ، يعلق المترجم على هذا المثال بقوله : « مثال ذلك في اللغة العربية فعل الأمر من وقى فهو (ق) ، وهو مثال غير دقيق لأن (ق) في العربية ليست وحدة صوتية واحدة بل وحدتان ؛ القاف والكسرة المقصورة عن الياء ، وليس في العربية كلمة مكونة من حرف واحد فقط أما (I) في المثال الإنجليزى فهي وحدة صوتية واحدة تمثل كلمة في الإنجليزية ، وهو أمر لا نظير له في العربية ، وقد وعى ذلك إمام العبرية الخليل حين أشار إلى أن الكلمة العربية لا تبني على أقل من حرفين ، وهي ملاحظة لا تقلل من روعة الترجمة ، ولا دقة الأمثلة العربية التي استعن بها . »

٢ - يلاحظ أن الأمثلة هنا هي أمثلة المترجم وليس ترجمة للنص لأن كلمة أم وكلمة أب في اللغة الإنجليزية قطعاً أكثر من حرفين . وهي اللغة التي يترجم عنها هذا العمل .

٣ - أربعة أحرف ، وهو خطأ على ما يبدو غير مقصود بدليل مراعاته بدقة قواعد المطابقة في المد في (خمسة أحرف) في نفس السطر .

عرفنا أن متوسط عدد أحرف الكلمة في اللغة الروسية هو سبعة أحرف ( وهذا هو ما تشير إليه الدراسات الإحصائية ) إذن فإن الكلمات المستعملة ذات المعنى تintel ٢٠٠٠٪ فقط أى اثنين على عشرة آلاف في المائة من مجموع التالفات الممكنة بين أحرف اللغة الروسية ) (١) .

ولست بحاجة إلى أن أشير إلى أن محاولة عالم الرياضيات السوفياتي لحصر الإمكانيات التي تسمع بها تواليف الأصوات في اللغة هي نفس المحاولة التي قام بها إمام العربية الخليل في القرن الثامن الميلادي لحصر المستعمل والمهمل في لغة القرآن الكريم قبل خار كيفتشن بعشرات السنين ، ولست في معرض المقارنة أو التباهي بما صنعت الخليل ، وإنما أرمي في هذا السياق إلى الإشارة إلى ذلك بعد الذي بدأت تأخذه الفكرة على يدي علماء الرياضيات المحدثين وهم يحاولون التعرف على قيمة المهمل أو الحشو أو الفضل Redundancy .

إن علماء الرياضيات بدأوا ينظرون إلى هذا المهمل على أنه ضروري في النظام اللغوي ، ويشبه أن يكون « حد الأمان في اللغة » (٢) أو بلغة العصر طبقة أوزون اللغة . ففراغ هذا المهمل من المعنى في الظاهر هو الرسيلة التي تعطى المستعمل معناه في اللغة ، وكلما زاد المهمل اضطربت اللغة وقلت نسبة الخطأ والعكس صحيح ، إذ إن قلة المهمل في اللغة ليست ميزة في النظام اللغوي لأنها تعنى أن أكثر الكلمات الممكنة ذات معنى ، ولو وقع أى خطأ في الاستعمال اللغوي فاحتمال وقوعه على كلمة ذات معنى احتمال كبير ، وهو ما يؤدي إلى سوء الفهم أو الوقوع في كارثة ، ويشرح لنا كندراتوف ذلك بمثال فيقول : لتخيل طيباً يصف دواء لمريض ويخطئ في كتابة حرف من حروف اسم الدواء ، هنا قد تكون الكلمة الجديدة اسمًا لسم بدلًا من العقار المطلوب ، يتضح من هذا أن

١ - الأصوات والإشارات ص ٣٩ .

٢ - السابق ص ٤٠ .

الفضل (أو المهمل) في اللغة ليس زخرفاً سطحياً لا مبرر له بل شيئاً مفيداً (١) ، في ضوء ما سبق يتبين لنا أن الصواب قد جانب الدكتور صبحي الصالح حين قال : « والحق أن اللغة الإنسانية لا يمكن أن تختص مفرداتها إحصاءً رياضياً إذ لا قيمة للفظ لم يجربه الاستعمال (٢) »

لقد كشف البحث العلمي قيمة المهمل في النظام اللغوي ، كما اكتشف كرات الدم البيضاء وقيمتها في الجسم ، وبدأ العلماء يطوروهن وسائلهم لرفع نسبة المهمل في اللغة العلمية إلى أعلى مستوى ممكن ، لأنهم يريدون أن يكون لكل حرف وظيفة محددة ولكل كلمة معنى محدد ، لأن اللغة المثالية هي التي ترتفع فيها نسبة الفضل بهدف الدقة ، وهذا هو السبب كما يقول كندراتوف « في أن ملاح الطائرة الجبوى وضباط الاتصال الأرضى يتحدىان لغة تعادل نسبة الحشو (أو المهمل) فيها ٩٦ % من مجموع الكلمات ضماناً لاتفاقى أى خطأً مهما كان طفيفاً (٣) »

ومن المجالات التي تحاول نظرية المعلومات أن تسهم فيها بتصويب من خلال اكتشافها لقيمة المهمل ، هو محاولة صوغ اللغة في شفرات بحيث يمكن على سبيل المثال اختصار « عبارة الاستهلاك التي نبدأ بها الخطاب للتحية » سيدى العزيز » فهي تتألف من عشزة أحرف ، ويمكن صوغها في إشارة واحدة كرمز لها (٤) ، ولا يخفى ما يمكن أن يترتب على ذلك من الدقة والاقتصاد فى الجهد والوقت ، وآفاق ذلك فى مجال الترجمة والترجمة الآلية ، وكتابة العلوم بلغة تشبه الرياضيات دقة لما يساعد على إحداث نقلة هائلة فى تبادل المعرفة بين البشر وتقدم

١- السابق نفس الصفحة .

٢- قمة اللغة من ١٦٨ / ١٦٩ .

٣- الأصوات والإشارات ص ٤١ .

٤- الأصوات والإشارات ص ٤٢ .

العلوم من ناحية أخرى ، وثمة مجالات عديدة لتطبيق الفكرة لا داعي للخوض فيها .

وإذا عدنا إلى المجال اللغوي الصرف فإن نظرية المعلومات وهي تمازج التعرف على كمية المعلومات التي يحملها الحرف المعين في اللغة ، وبالتالي كمية المعلومات التي تحملها الكلمة فالجملة فالنص قد كشفت عن أن المعلومات أو الدلالة تتركز في جذر الكلمة وبخاصة حروفها الأولى <sup>(١)</sup> ، وهذه النتيجة تعنى أن الحروف التي تتصدر الجذر هي أكثر حملاً للدلالة أو المعنى وعلى ذلك فحرف الراء وهو أكثر الحروف ترددًا في صدر الثلاثي ، وحرف العين وهو أكثر الحروف ترددًا في صدر المثُور الرباعية ، وحرف الكاف وهو أكثر الحروف ترددًا في صدر الجذور الخماسية هي أكثر الحروف حملاً للمعنى ، ويضاف إلى ذلك أن الحروف العشرة الكبار بوجه عام والذلة بوجه خاص أكثر ترددًا في نسبي الكلمة العربية وأكثرها وروداً في الصدر هي أيضاً – في ضوء هذه النتيجة – أعلى السلسل حملاً لجزء ثمرة المعنى في الكلمة وهو ما يؤكد ما لاحظه البحث من أن حديث الخليل عن التشكيلات الصوتية في البنية المعجمية ليس حديثاً خاصاً بالبني فحسب بل إن له قيمة على مستوى المعنى كذلك وهو ما تكشف عنه نظرية المعلومات من خلال معيار التיאس الكمي للمعلومات في اللغة على مستوى الحرف وعلى مستوى الكلمة وعلى مستوى الجملة وعلى مستوى النص .

فالمهمل في مقابل المستعمل هو إذن شكل من أشكال التقابل اللغوي ، إذ بالمهمل تظهر قيمة المستعمل وتتحدد وظيفته في اللغة ، وهذا التقابل على المستوى المعجمي قسم لبقية التقابلات على مستوى الأصوات كالمهمل في مقابل المهموس والخلقي في مقابل الشفوي ، والمرفق في مقابل المفخم الخ وقسم للتقابلات على مستوى الصرف كالتقابل بين الاسم في مقابل الفعل والحرف والجامد في مقابل

---

١- الأصوات والإشارات من ٥٠ / ٥٠ وهي النتيجة التي وصل إليها العلامة السوفيتي بيوتروفسكي وهو من علماء نظرية المعلومات .

المشتق والمفرد في مقابل المثنى والمجمع .. الخ وتقسيم للتقابلات على مستوى التحوير كالقابل بين المسند والمسند إليه والقابل بين المرفوع والمتصوب والمجرور والمحلمة الأساسية في مقابل الفعلية ... الخ وتقسيم كذلك للتقابلات في النظام الدلالي كالدلالة الحقيقة في مقابل المجازية ، وكالدلالة المركزية في مقابلة الهاشمية أو العرضية ، وكالدلالة المعجمية في مقابل الدلالة الصرفية أو التحورية .. الخ .

أما بعد الثاني لفكرة المهمل والمستعمل الخليلية فتبرزه بعض التوظيفات اللغوية الحديثة التي اتكأت على الرياضيات في التحليل اللغوي ، وأعني في هذا المقام النهج التوليدى التحويلى ، ففكرة القدرة أو الإمكانية من جانب والأداء من جانب ثان عند تشوسمسكي في إطار هذه النظرية يمكن اعتبارها على مستوى النظام اللغوى عامه و التحوى خاصة امتداداً لفكرة المهمل والمستعمل على مستوى المعجم . فالقدرة ملكرة فطرية تمثل الكفاءة التي يمتلكها الإنسان والتي يستطيع بها أن يمتلك آلية اللغة ويستطيع أن ينشئ جملة لا نهاية ، والأداء هو عملية اختيار الممكن أو الصحيح فقط مما تسمح به هذه الآلية الفطرية ، فهو من خلال القدرة يمتلك أصوات اللغة ونظامها ويتلك معجمها ، ويتلك كل إمكانات التنظيم اللغوى صرفيًّا وتحورياً مادة اللغة ، ولكنه لا يوظف ولا يستعمل إلا الأنساق اللغوية المسموح بها والتي يمكن أن يفهمها أبناء اللغة ، ورغم كل الحرية التي يمتلكها في بناء جمله وعباراته فهو محكوم بتوسيع الصحيح فقط منها .

والقدرة عند تشوسمسكي ظاهرة فطرية موجودة عند كل بني البشر وهم متساوون في امتلاكها ، والأداء الذي هو ممارسة فعلية لهذه القدرة لا يتجاوز حدود هذه القدرة بل يتحرك في إطارها ، ومعجم اللغة أية لغة فيه غوذج من هذه القدرة أو الإمكانات التي تسمح بها اللغة في مقابل الأداء أو المستعمل من هذا المسموح به ، والعجيب أن كل لغات البشر في هذا الجانب تحرك في حدود من ٢٠ إلى ٣٠ % وتهمل نحو ٧٠ إلى ٨٠ % من إمكاناتها المعجمية ، أليس هذا

التطابق دليلاً على وجود حلود فطرية للقدرة على التوظيف اللغوي ، تشبه كل حدود القدرات البشرية على المستوى البدني والعقلي والنفسى لهذا الكائن ، وما الغرابة في ذلك أليس المعجم نظاماً من أنظمة اللغة وهو محكم في فلسفته العاملة بما يحكم كل أنظمة اللغة الأخرى . فالمهمل المستعمل على المستوى المعجمي إذن يقابل بشكل أو باخر القدرة والأداء على مستوى الجملة أو النحو عند الحديث .

وإذا كان الخليل قد عالج إشكالية المهمل المستعمل بشكل ركز فيه على المادة اللغوية ذات المعنى متمثلة في المستعمل ، فقد كانت رؤيته أوسع وهو يقدم فكرة التقاليب إيماءً إلى وجود علاقة من نوع ما بعضها متعلق بالبنية الشكلية والآخر متعلق بالبنية الدلالية ، وهو الأمر الذي يمكن أن يجعل بعض التقاليب تتبادل الموضع التركيبي نظراً لهذا التقارب ، وربما تأخذ نفس السلوك اللغوي على المستوى النحوي ، وهو أمر يمكن أن يكشف عنه الدرس الحديث . ويربط البنية المعجمية الشكلية بدلاتها يظهر في إشاراته إلى اختيار العربي طيقة معينة لدلالة تناسب الصيغة التي اختارها كاستخدام الصيغة المشددة لمناسبة المد في مثل صرّ وصلّ وجعل الصيغة المضاعفة منها للترجيع مثل صرصر ، وصلصل ، وإن شاء العربي أعاد ذلك مرتين أو أكثر ليناسب بين الصوت وبين الموقف ، كما أشار الخليل إلى بعض الضوابط التي تحكم تحويل الحرف إلى اسم يدخل الشديد على بنية الحرف ، فأشار في عمله المعجمي إلى بعض العناصر التركيبية كالصحة والاعتدال والتضييف والتقويم والخذف ، وهو ما عَدَ غريباً في سياق العمل المعجمي ، وفسره البحث على أنه حديث يدخل في صميم النظرية المعجمية بوصف المعجم مستوى من مستويات التحليل اللغوي وخطورة تخدام الصرف والنحو ، وجاء عمل الخليل مراعياً للمبني والمعنى معاً على حين جاءت النظرية اللغوية في إطار النظرية التوليدية التحويلية قاصرة فأشيد تعديلها لتبعد من المعجم مدخلاً أساسياً لإجراءات التحليل وتحاول أن تبحث للمعنى عن حلول بعد أن أهمل في مشروعات النظرية الأولى

وتجاهلته من قبلها النظرية الوصفية البنوية ، على حين جاء عمل الخليل موطئاً للدرس الصرفي من جانب والنحوى من جانب آخر ، ويزعم هذا البحث أن النظرية النحوية العربية وهى على الأشهر من وضع الخليل وبصياغة سيسويه قد قامت على نفس الأسس المجرهورية التي قام عليها نظام المعجم وبخاصة فلسفة التقاليب التي حاولت حصر المادة المعجمية للكشف عن فلسفتها ، وأحسب أن بعض مقولات الصرف والنحو يمكن أن يستشف منها هذا المنحى المنهجى ، من ذلك حصر إمكانات الحالة الإعرابية في الرفع والنصب والجر والجزم ولا شيء غير ذلك . وتقسيم الوظائف النحوية تبعاً لذلك إلى مرفوعات ومنصوبات ومحررات ومحزومات ، وتقسيم التصنيف النحوى للأبواب وفق ذلك أيضاً باب المرفوعات ثم باب المنصوبات ثم باب المحررات ثم باب المجزومات وقس على ذلك وفي الصرف كان نفس الأمر فالكلمة إما اسم أو فعل أو حرف ولا شيء غير ذلك ، وأبنية الفعل مثلاً إما مجرد وإما مزيد ، والمفرد مثلاً إما مجرد ثلاثي أو رباعي ، ومفرد ثلاثي باعتبار الماضي فعل فعل فعل ، وباعتبار الماضي مع المضارع الإمكانية الرياضية تعطينا ٩ صور المستعمل منها ست صور هي :

فتح يفتح	فَلَ يفْعَلْ	١
نصر ينصر	فَلَ يفْعُلْ	٢
ضرب يضرب	فَلَ يفْعَلْ	٣
كرم يكرم	فُلَ يفْعَلْ	٤
حسب يحسب	فَلِيلَ يفْعَلْ	٥
فطن يفطن	فَلِيلَ يفْعِلْ	٦

وبقية الصور مهملة وهي :

—	فَلَ يفْعَلْ :	٧
—	فَلُلَ يفْعَلْ :	٨
—	فَلِيلَ يفْعَلْ :	٩

وَفِكْرَةُ الْحَصْرُ أَوِ التَّقْلِيْبُ لِعِرْفَةِ الْإِمْكَانَاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَاضْحَى بِهِ مُصْبَّةُ  
الْفَاعِلِ وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَاحِدٌ هُوَ الْخَلِيلُ، وَصِرَاطُ الْاِجْرَاءِ وَدُقَّتِهِ فِي الْمَعْجَمِ هُوَ  
نَفْسُهُ مَا نَهَدَهُ تَقْرِيرُ الْصِّرَاطِ وَالنَّحْوِ، وَكَمَا لَمْ يُسْتَطِعْ أَحَدٌ يُعَدِّلُ مِنْ نَظَرِيَّةِ الْخَلِيلِ  
فِي الْعَرْوَضِ فَإِنَّ أَحَدًا فِي ضَوْءِ هَذَا الْبَحْثِ لَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يَكْشِفَ سِرَّ الْبَنِيَّةِ  
الْمَعْجَمِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الْخَلِيلُ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يُعَدِّلَ شَيْئًا فِي نَظَامِ  
النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ مِنْذَ وَضَعَهُ سَيِّدُهُ لِأَنَّ الْمَفْكُرَ وَاحِدٌ وَالْمَنْهَجُ الْرِّيَاضِيُّ الصَّارِمُ فِي هَذِهِ  
الْمَسْتَوَيَّاتِ وَاحِدٌ أَيْضًا غَيْرُ أَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَلْدِ وَالْجَدِيدِ تَقَارِبُ مَا تَحْلِي  
بِهِ إِمَامُ الْعَرَبِيَّةِ لِنَكْشِفَ عَنْ حَقِيقَةِ الْمَنْهَجِ فِي النَّحْوِ وَأَصْوَلِهِ وَفَلْسُفَتِهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ  
الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَتَوَفَّرَ لَهُ نَفْرٌ مِنْ جُنُودِ هَذِهِ الْلُّغَةِ الْخَلَصِينِ .

الفصل الخامس  
الأساس الجذرى



ربما كان مناسباً أن أصف معالجة الخليل للأساس الرابع من أسس النهج عنده بأنها رابطة العقد بين جميع الأسس ، ففي فلسفة الجنر تكمن أدق خصيصة معجية تخضع لها موسها الكلمة العربية ، وقد حاول المعجميون الحالون للخليل أن يتحولوا عن الأساس الأخرى من حيث اعتبارها ركائز تصنيفية ، لا من حيث كونها أساساً منهجية لنظرية المعجم ، وبطبيعة الحال فإن الأخذ بهذا الأساس أو ذلك أو طرح بعض الأساس لا يكون على مستوى التصنيف القاموسي إلا صدى لمكانة الأساس من نظام اللغة المعجمي ، فقد تخلى ابن دريد عن الأساس الصوتي حين صنف الحميرة ولا شك أن قيمة الأساس الصوتي على مستوى التصنيف تبدو عنصراً يمكن التخلص عنه بل يصبح طرحة على هذا المستوى أمراً مناسباً لدى المصنف ومفضلاً لدى شذوذ المعجم ، كم تخلى ابن فارس عن الأساسين الصوتي والتقليبي لأنهما عنصران مفضولان كذلك بعناصر أخرى في التصنيف المعجمي أكثر يسراً ، وأجهز الجوهرى على الأساس الكمى ، ليصبح الأساس المطروحة من أساس النظرية المعجمية على مستوى التصنيف المعجمي ثلاثة أساس هي الأساس الصوتي والتقليبي والكمي . ولكن أحداً من علماء المعجم لم يستطع أن يطرح الأساس الجنرى سواء على مستوى النظرية كما سيظهر من تناول هذا الفصل أم على مستوى التطبيق كما يتجلى في كل معاجمنا التي وصلتنا بعد الخليل وحتى أحدث المعاجم العربية، لم يستطع أن يتخلص أو يطرح الأساس الجنرى ، وما كان ذلك ليحدث إلا لأن هذا الأساس هو حجر الزاوية في نظام المعجم ، فهو يمثل القاسم المشترك بين صور المادة اللغوية على مستوى الشكل ، والمحور الذي تدور حوله هذه الصور على مستوى الدلالة ، ففي فكرة الجنر تكمن المبرئومة اللغوية التي تحمل أظهر الخصائص التي تميز بها الكلمة على المستوى المعجمي في لغة العرب .

وكانت نصوص الخليل التي صرحت بها فيما يتصل بهذا الأساس قليلة

بالقياس إلى ما ساقه متصلًا بالأسس الأخرى ، غير أنها كانت واضحة دقة تحمل إلىنا فكرة الجنر وتلقى بها إلى رحم الفكر اللغوي المجرى فيفرخ زراري من التفريقات اللغوية لا يخطئ التأمل أن يلمع وسبيحة التربى بين الأصل الخليلى وما تفرع عنه ، فمن فكرة الجنر نبت فكرة أصل المشتقات عند الصرفين ، وما انبثق عنها من نظرية الأصل والفرع عند النحاة ، ونظرية الاشتتاق عند اللغورين وبخاصة الأبناء الشلالة ابن دريد وابن فارس وابن جنى ، ونظرية الأصل الثنائى أو الثنائى للكلمة العربية ، ونظرية الأصل السامى المشترك ، وكلها يدور فى فلك نظرية الجنر الخليلية ، وكلّ يرى فيما يرى عليه نظرية أساساً صلباً ، لا يكاد المرء يخالف أصحاب هذه النظرية أو تلك كلّ المخالفة لأنك واجد لا مشاحة فى جانب من هذه أو تلك شيئاً من صواب مردك فى ظنى إلى ارتباطه بأساس لامراء فى سلامته وهو الأساس الجنرى .

ولعل من المناسب أن نرجع إلى نصوص الخليل لنفهم منه هذه الفكرة ، بعيداً عن كثير من الأسقاطات التي وظفت فيها عنده من جاءوا بعده توظيفاً يخالف مراد الخليل . فيبعد أن انتهى من حديثه عن الرباعي والخمسى ، وتأكيده على أن ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف بدأ حديثه عن أقل مبني للكلمة العربية فقال « الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف ، حرف يبتدا به ، وحرف يحيشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه ، فهذه ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر ونحوهما من الأسماء . بدئ بالعين وحشيت الكلمة باليم . ووقف على الراء ، فاما زيد وكيد فالياء متعلقة لا يبتدا بها .

فإذا صيرت الثنائي مثل (قد) و (هل) ، (لو) اسماء ادخلت عليه التشديد فنقطت هذه لو مكتوبة ، وهذه قد حسنة الكتبة ، زدت واوا على واو ، ودادا على دال ثم أدخلت وشدت ، فالتشديد علامة الإدعا ، والحرف الثالث كقول أى زيد الطائى :

فشدد (لوآ) حين جعله اسماً :

قال ليث : قلت لأبي الدقيش : هل لك في زيد ورطب ؟ .

قال : أشد الهل وألوحاء ، فشدد اللام حين جعله اسماً ، قال وقد تجلى أسماء لفظها على حرفين ، وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل يد ودم وفم ، وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن وخلقتها السكون مثل ياء يَدَى ، وباء دَمَى في آخر الكلمة ، فلما جاء التنوين ساكنًا ، اجتمع ساكنًا <sup>(١)</sup> ثبت التنوين لأنَّ إعراب وذهب الحرف الساكن ، فإذا أردت معرفتها فاطلبهَا في الجمع والتضيير كقولهم أيديهم في الجمع ، وُيَدِيهِ في التضيير ويوجِد أيضًا في الفعل كقولهم دميت يده ، فإذا ثبتت الفم قلت فموان كانت تلك الظاهرة من الفم الواو .

قال الخليل : بل الفم أصله فوه كما ترى والجمع أفواه ، والفعل فاه يفوه فوهًا إذا فتح فمه للكلام <sup>(٢)</sup> .

فأما قوله فموان فإنه جعل الواو بدلًا من الظاهرة ، فإن الظاهرة هي هاء و واو ، وهذا إلى جنب القاء ودخلت الميم عوضاً منها ، والواو في « فموان » دخلت بالغلوط ، وذلك أن الشاعر يرى ميماً قد أدخلت في الكلمة فيرى أن الساقط من الفم هو بعد الميم فيدخل الواو وكان ما يظن أنه سقط ويغلوط <sup>(٣)</sup> .

هذا هو النص الأساسي الذي بسط فيه الخليل رأيه في الأصل الذي تكون عليه الكلمة في العربية ، ومن هذا النص نفهم الأمور التالية :

١ - ٢ - ١ : أن الكلمة العربية تأتي في شكلها الأصلي على ثلاثة

١ - هكذا في النص المحقق والصواب (ساكنان) ، ونص التهذيب « فلما جاء التنوين ساكنًا لم يجتمع ساكنان ثبت التنوين لأنَّ إعراب « وهو كما ترى قد صحيح النص عن الخليل . انظر التهذيب ٤٢ / ٤٣ و ٤٣ / ٤٩ .

٢ - انظر ٤٢ / ٤٩ و ٥١ و ٥١ / ١ .

آخر ، هو ما عبر عنه الصرفيون فيما بعد بالفاء والعين واللام ، حرف يبدأ به وهو الفاء ، وحرف يحتوى به وهو العين وحرف يوقف عليه وهو اللام ، ومثل ذلك بأمثلة من الاسم ، على اعتبار أن الاسم لا يكون قط أقل من ثلاثة ، على حين أن الفعل قد يتعرض بكثرة لشيء من التغيير بالحذف فيظهر على غير حقيقته مثل قُلْ وادْعُ وقف .. الخ وإذا كانت الكلمة في العربية تظهر في صورتها الواقعية على هذا النحو الثلاثي ، فإن الأدوات التي ترد ثنائية إذا قُصد أن يسمى بها فلابد من بناها على نحو ما يسمى الاسم ، أى على ثلاثة أحرف ، الأمر الذي يقتضى وضع حرف لتحول من صورتها الثنائية القليلة في اللغة إلى الصورة الطبيعية الشائعة وهي الثلاثية وزيادة هذا الحرف يتحول إلى اسم وتختضن بذلك لنا موس الكلمة العام في العربية . ومن ذلك تحويل لو إلى (لو) وهل إلى (هل) وقد إلى (قد) .

١ - ٢ - ٢ : أما الاسم الذي قد يرد على حرفين مثل دم ، وأب ، وفم فهو بالقطع ثلاثي حذف منه حرف ووروده على هذا النحو يعني أمرين : أنها صور للاسم قليلة من جانب ، وخارجة عن النسق الأصلي الفعلى للكلمة في العربية من جانب ثان . وهذه القلة لهذا النوع من الكلمات التي تظهر ثنائية في اللغة مما يدعم أنها على غير الأصل وهي من الأمور التي تؤيدها الإحصاءات اللغوية كما سبقت الإشارة إذ إن الجنور الثنائية لا تتجاوز ٢٠ جنراً من بين ٩٢٣ هي مجتمع جنور اللسان بنسبة ٢١٥٪ على حين أن الجنور الثلاثية تبلغ وحدتها (٦٥٣٨) ونسبة إلى جملة الجنور ٣٤٥٪ ، وهو ما يدعم نتيجة ما انتهى إليه الخليل من القول بثلاثية الكلمة العربية ، فمن الثلاثي يأتي جل مفردات المعجم العربي عن طريق التصريف والاشتقاق ، إذن فكرة أن أصل الكلمة في العربية هو الثلاثي مقصود بها أن الثلاثي مصدر توليد المفردات الأساسي ، وليس

١ - راجع هذه الإحصاءات في الفصل الثالث من هذا البحث .

المقصود هنا - كما يعرض الباحثون كثيراً لفكرة الأصل - أصل النشأة أو الأصل التاريخي ، بل المصدر الفعلى الواقعى الذى منه تشتق كلمات اللغة ، أما قضية الأصل التاريخي فهى تدخل فى إطار أصل النشأة اللغوية وهى من الموضوعات التى تعدد من وجهة النظر العلمية الحديثة من قضائيا ما وراء اللغة Metalanguage ، الذى يخرجها الحققون من العلماء من دائرة البحث العلمى ؛ لكونها قضية لا يمكن البت فيها ، أو بحثها بحثاً علمياً .

أما الأصل بمعنى المصدر أو الجذر Root الذى منه تشتق الكلمات فالدرس الإحصائى يدعم رأى القائلين بثلاثية هذا الأصل فى ضوء وجود أكثر من ٧٠ % من كلمات اللغة ترجع إلى هذا النوع من الجذور . وهو ما ذهب إليه الخليل وتبعد جمهور الدراسين من العلماء حتى الآن .

٩ - ٢ - ٣ : ويفهم كذلك من النص السابق أن الكلمات القليلة التى جاءت ثنائية وأصلها ثلاثي يمكن التعرف على المذوف منها عن طريق عدد من الإجراءات كالتجوؤ للجمع مثل يد وأيديهم ، أو التصغير مثل يدية أو الفعل مثل دم مع الفعل تكون دميت والتشية مثل فم تكون فموان فيسكون المذوف واوا . وبهذا يكون الخليل قد أرسى دعامة ثانية فى فهم حقيقة البنية اللغوية للكلمة من منطلق تقليبي كذلك وهى تصرير الكلمة على أوجهها المختلفة للتعرف على القاسم المشترك بين هذه الصور أو ما يعرف بالجذر ، إن هذا القاسم هو مجرد فكرة رياضية محابدة تتحدث عن ثلاثة أحرف فى الغالب تحمل جرثومة المعنى دون آية إشارة إلى آية عناصر أخرى . سواء متصلة بالزمان كما فى الفعل أو الحدث كما فى المصدر ، وعند التتحقق الفعلى فى صيغه ما تظهر هذه العناصر لتميز بين صيغة وأخرى ، أما التعرف على الجذر من خلال الإجراءات السابقة فقد ظل الوسيطة الوحيدة التى بها نعرف هذا القاسم فالـ : قاف والتاء واللام هي القاسم بين قتل وقتل وقاتل ومقتول وقتلة .. الخ ، وهى فكرة لا تتحدث عن أصل

افتراض أو تخميني لا يمكن التحقق علمياً منه كذلك الأصول التي افترضها الصرفيون لأصل الألف المقصورة في حيلي أو ألف التأثير المحدودة في صحراء وأخيراً بهما بل هو مجرد قاسم مشترك ، هو الرابط الشكلي والدلالي بين مجموعة من الكلمات التي يربطها هذا القاسم برابط واحد ، وقد جاء كلام الخليل في هذا السياق ليمثل السهل الممتنع فلم ينزلق إلى جدلية الأصل والفرع ، وإنما تصور الجذر مجرد عمد تبني منها الكلمة « حرف يبدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه » هذا هو جوهر الفكرة .

والى جانب هذا القاسم المشترك الذى أدركه الخليل لاحظ الصرفيون أساساً آخر تخضع له الكلمة أطلقاً عليه أصل الصيغة ، وقصدوا به البنى أو القوالب التجريدية التى يُصبب فيها الجذر ، مثل صيغ فاعل مفعول فعول فعل مفعيل مفاعيل انفعل افتعل إلخ غير أن هذا الأصل الآخر ( أصل الصيغة ) هو أساس شكلى ، إذا أفاد آية دلالة فهى دلالة وظيفية *Functional meaning* كدلالة المشاركة فى تفاعل مثل تقاتل أو الصبرورة فى استفعل مثل استوقي أو المطاوعة فى انفعل مثل انكسر الخ وهى لا تتحدد من تلقاء الصيغة بل منها ومن قرائين السياق الأخرى . فقد نجد مثلاً صيغة مثل ( فعل ) تفيد بعض أمثلتها الاشتراك بين الصفة وبين المصدر مثل : عدل وبحسب الأمر فى تحديد أى الدلالتين هى المقصودة باللحجوة إلى قرائين السياق مثل :

هذه صفة رجل عَدْلٍ

## عدل القاضي يصون الحقوق مصدر وعلم جر (١)

أما المذر فاليس أساساً شكلياً خالصاً ، إنه من جانب وحدة شكلية أولى تتأثر منها بقية الصور ، وهو وحدة ذات قيمة دلالية أولية تمثل الحد الأدنى مما تستتر بـ في هذه الصور في المعنى . ويمكن أن نتعرف على هذه الوحدة الدلالية

## ١- انظر : مناهج البحث في اللغة ٢١٥ .

خارج السياق أقصد على المستوى المعجمي الحالص حين تعد مجرد مدخل معجمي Lexeme ولكن الجذر لا يصبح وحدة دلالية مستقلة *Sememe* إلا حين يدخل في إطار كلمة معينة . ففي الجذر إذن تمثل الخلية البيولوجية التي تصاغ منها الكلمة على المستوى المعجمي ، والعلاقة بين القاسم المشترك وهو الجذر من جانب وبين أصل الصيغة من جانب ثان هي علاقة تقاطع « فمثلها مثل العلاقة بين المخرج والصفات بالنسبة لأصول المعرف أو الأصوات *Phoneme* <sup>(١)</sup> » وقد شهد الأستاذ كاتتيه *Contineau* هذين الأصلين بالنسبة للكلمة العربية « بلحمة وسدى النسيج ، فكلما تداخلت اللحمة بالسدى تألفت مفردة جديدة قد تم صوغها من هاتين المادتين أى من أصل معروف ( الجذر ) ومن أوزان ومقاييس معينة ( أصل الصيغة <sup>(٢)</sup> ) » وإذا لم يتألف هذان الأصلان ظهرت الفجوات المعجمية *- gaps* - *Lexical* والتي تعنى أن الجذر لا يوجد منه كلمة على وزن ما ، فمثلاً الجذر ( ق ر ء ) يتألف مع فاعل فيظهر كلمة قارئ ، ولكنه لا يتألف مع ( انفل ) فلا توجد في اللغة كلمة من هذا الجذر على هذا الوزن وتلك هي الفجوة المعجمية أو الكلمة المهملة كما عبر الخليل .

تلك فكرة الجذر ، وهذا أثرها في تشكيل بنية الكلمة العربية فهي المادة الخام أو العجينة التي تصنع منها الكلمة و يأتي أصل الصيغة ليمثل القالب الذي تنصب فيه العجينة فتخرج الكلمة على هيئة معينة بدلالة معجمية عامة ، ويأتي السياق بشقيه اللفظي والمقامي ليعين لها الدلالة أو المعنى المحدد الذي تلعبه في الجملة أولاً وفي النص أخيراً .

٢ - ١ : ما سبق تناوله هو جوهر فكرة الجذر ، وقد تم بسطها مع الثلاثي خاصة لأن فيه كما سبق جل مادة المعجم العربي ، أما عن الرباعي من الجذور فقد

١ - الأصول : ١٢٤ .

٢ - الألسنة العربية ١ / ١١٦ .

سبق التنبية إلى إشارة الخليل من أن العرب تبني كلمات من أصول أربعة منها ما هو أسماء نحو عقرب وعقرب وجدب ، ومنها أفعال مثل دحرج وهملج وقرطس <sup>(١)</sup> ، وهي مادة في اللغة ليست قليلة فهي تمثل نحو ٢٧,٥ % <sup>(٢)</sup> ، وإذا كانتا وجدنا من يذهب إلى القول بثنائية الأصل وبين أنها مقوله لا يدعهما الواقع اللغوي فإننا وجدنا من اللغويين من يذهب إلى القول بأن أكثر ما زاد على ثلاثة من الكلمات فهو زائد : فدحرج من دحر وعقرب من عقر ، ودمج من دمج ، وشقلب من قلب ، وبطحوم من بطح وصلدم من صلد .. الخ <sup>(٣)</sup> . غير أن النظر الحق في المادة العربية مثلاً لا بد أن ينتهي إلى القول بغير ذلك وسيرى أن هناك رباعياً وضعه العرب أو بنته في الأصل على أربعة أحرف ، وحتى ابن فارس نفسه أكثر المؤلفين برد الرباعي إلى أصول ثلاثة لا ينكر وجود هذا الرباعي في أصل الوضع فيقول ، وهناك ضرب آخر : « موضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس <sup>(٤)</sup> » وهو لا يمثل لهذا النوع الأخير لأنه بالطبع الأشهر والأكثر اطراداً ، وليس بحاجة إلى تبييل لأنّه معلوم مشهور ، وإنما ركز على أمثلة الرباعي ذي الأصل الثلاثي - حسب اعتقاده - لبيان لنا ما فيها من ضروب الزيادة <sup>(٥)</sup> .

وهذا فرق بين ابن فارس الذي يضع قانوناً لأمثلة قليلة يمكن ردها - عنده - إلى أصول ثلاثة ، وبين الخليل الذي سجل الظاهرة العامة في اللغة والتي تدعم كون المادة العربية تظاهر نوعاً من مباني العربية وضعه العرب على أربعة أحرف . دون أن يقف أمام تلك الأمثلة التي استوقفت ابن فارس وغيره ، وأغلب الظن عندى أن منهج الخليل الوصفي الذي يعتمد على الواقع الفعلى لمادة اللغة من جانب

١ - انظر : ع ٤٨ / ١ .

٢ - راجع إحصاءات اللسان ص ٢٩ .

٣ - انظر المقياس ١ / ٣٢٩ .

٤ - انظر السابق نفس الصفحة .

٥ - انظر فقة اللغة لصبحي الصالح ٢٤٧ .

والذى يقوم على أساس النظرة الشمولية لهذه المادة هو الذى دعاه إلى عدم الالتفات إلى افراض أصول ثلاثة تخمينية في حاجة إلى تعديل المنهج ، والتجوؤ إلى منهج تاريخي للتحقق من سلامة هذه الفرضية ، علماً بأنها فرضية يمكن أن تفسر أمثلة قليلة ، وهو معنى بالظواهر العامة والكلية من خلال نظرية الشمولية التي أشار إليها البحث في ثانياً المراجعة العلمية لكل الخطوات السابقة .

خلاصة القول إذن أن هناك كلمات مأخوذة من جذور ذات حروف أربعة أصلية تثل قرابة ثلث جذور العربية ، ووجود مبانٍ عربية رباعية الأصل ليست شنوداً يدفعنا إلى البحث عن أصل ثالث أو ثلثي لتردها إليه . فئة لغات فيها كلمات أصول مكونة من حرف واحد مثل (I) في الإنجليزية ، وهناك كلمات أصول مكونة من أكثر من سبعة أحرف في لغات أخرى <sup>(١)</sup> ، ووجود جذور رباعية في العربية ظاهرة لغوية طبيعية من جانب ويدعمها الواقع من جانب ثان وهو ما سجله الخليل بسلامة ووضوح ولم يلتفت إلى ما يمكن أن يعد تنويعات أو خروجاً عن سمن اللغة العام من أمثلة ثالثة فضول غيره من العلماء .

٣ - ١ : أما عن الخامس خاصية فهو في حاجة إلى وقفة لنستعرف رأى الخليل بوضوح ، ونحاول فهم الفلسفة التي يتكئ عليها . فقد صرخ الخليل بأن العرب تبني كلامها على أربعة أصناف منها الخامسى ومثل ذلك فقال « الخامسى من الأفعال نحو اسحننك واقشعر واسحنقر واسبكر مبني على خمسة أحرف .

ومن الأسماء نحو : سفرجل وهرجل وشمردل وكتهيل وقرعبدل وعقتبل وعقتبل وقبعث وشبهه <sup>(٢)</sup> » وقال بعد ذلك مباشرة .

والألف التي في اسحننك ، واقشعر ، واسحنقر ، واسبكر ليست من أصل البناء وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً

١ - انظر : الأصوات والإشارات ص ٣٩ .

٢ - انظر : ع ٤٨ / ١ .

عماداً وسلماً للسان إلى حرف البناء لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من المعرف فيحتاج إلى ألف الوصل . ثم أضاف بعد ذلك قائلاً : قال الخليل : وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليس من أصل الكلمة مثل قرعبلاتة إنما أصل بنائها قَرَبَلَةً ومثل عنكبوت إنما أصل بنائها عنكَبَ (١) .

وكلام الخليل هنا كلام يحتاج إلى إعمال نظر حتى لا نحمله فوق ما يحتمل ، ويحسن ابتداءً أن نفرق بين عدة منطلقات في النص السابق .

٣ - ٢ : المتعلق الأول : متعلق الجندر . والخليل مطرد في كون الكلمة العربية لا تكون أكثر من خمسة أحرف لا في الاسم ولا في الفعل . وهذا يعني أن هناك جنوراً ثنائية وثلاثية ورباعية وخمسية ، ولا يستطيع أحد أن يجادل في هذه الحقيقة العلمية بالنسبة للكلمة العربية بصرف النظر عن مفهوم الاسم ومفهوم الفعل .

٣ - ٢ : المتعلق الثاني : أمثلة المباني الثنائية والثلاثية والرباعية والخمسية ، وهي أمثلة ساقها الخليل ليبين أن هناك كلمات لا جنوراً بيتها العرب من أصول صباته Consonant من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، والنوع الأول كله حروف وأدوات ، أما الاسم والفعل فلا يكون على مستوى بنائه الصوتية لا الصرفية إلا منسوجاً من ثلاثة على الأقل وخمسة على الأكثر في الاسم والفعل على سواء . وهو هنا يقصد الكلمات لا الجندر . وإن فائه لا يوجد في النص ما يفيد مخالفة الجمهور - على المستوى الصرفي - في القول بخمسية الفعل ، لأن سيبويه يقول : بنات الخمسة لا تكون في الفعل البتة (٢) » وكما هو

١ - السابق : ٤٩ / ١ .

٢ - انظر الكتاب / ٣١٠ .

المعروف فإن سيبويه هو لسان الخليل في مسائل الصرف والنحو . فأمثلة الخليل للأفعال الخمسية اسحنك واسحنفر واسبكر واقشعر هي أمثلة لكلمات ( أو أفعال خمسية ) من حيث بنيتها الصوتية لا الصرفية . وهي كذلك بالفعل .

٣ - المنطلق الثالث : هو فكرة الزيادة والأصل . النظر في الأمثلة السابقة التي أوردها الخليل يؤكد أن هناك صوتاً جاء في أول الفعل ليس من بنية الفعل الصوتية وهو الألف الأمر الذي اقتضى من الخليل أن يفسر سبب مجيء هذا الصوت وهو أنه أتى به حتى يتمكن الناطق من إخراج الصوت الساكن في أول الكلمة ، فهو سلسلة النطق وليس من أصل البنية الصوتية الفعلية للكلمة الخمسية . وهو هنا لا يقصد مطلقاً فكرة الزيادة الصرفية ولم يصرح بذلك بدليل :

- أن النون الثالثة الساكنة وبعدها حرقان صحيحان في اسحنك واسحنفر هي حرف زائد كذلك (١) وليس معقولاً أن يشير إلى الألف كحرف زائد وينسى النون .

- أنه حين ذكر أمثلة الأسماء الخمسية ذكر عقنقيل والنون في هذا الاسم زائدة لا مشاحة ولم يشر لشيء من ذلك أيضاً . فهو لا يقصد الزيادة الصرفية ولا يتكلم أصلاً عن البنية الصرفية لا في الفعل ولا في الاسم كذلك .

- أنه أشار إلى خمسية اقشعر واسبكر بعد طرح الألف التي هي مجرد سلم للنطق ، وفسر لنا أن الراء مدغمة فقال « اعلم أن الراء في اقشعر واسبكر هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى والتشديد علامة الإدغام » (٢) .

وليس في النص أية إشارة إلى زيادة صرفية ، وليس الخليل يجهل أن اقشعر

١ - انظر السابق : ٢ / ٣٥١ وانظر المصالص ١ / ٣٦٣ ، وانظر أمالى ابن السجرى ١ / ٢٣١ وانظر شرح المفصل ٩ / ١٥٤ وانظر شذ المعرف ١٤٠ / ١٤١ . وانظر المتن في تصريف الأفعال ٨٧ وشرح الشافية ج ١ ص ٩ .

٢ - ع : ١ / ٤٩ .

رباعي على المستوى الصرفي ، وإنما أشار إلا أن التضعيف هو الملة في القول بأن البنية الصوتية لكلمة اتشعر خماسية .

ما سبق يبين أن ثمة فرقاً بين فكرة وجود جنور خماسية في اللغة العربية ولا سبب إلى إنكار ذلك ، وبين تحقق ذلك في الفعل والاسم معاً ولم يتعرض الخليل شيء من ذلك وإنما انصبَّ حديث الخليل على كلمات من أفعال كاسحنكك وأخواتها خماسية وأسماء لعفنقل وأخواتها خماسية كذلك على مستوى البنية الصوتية لا الصرفية ، ولم يكن يقصد بحال عند حديثه عن الألف في أول الأفعال الخماسية التي مثل بها أو عن راء اتشعر مفهوم الزيادة الصرفية ، لأنَّه يقدم لنا البنية الصوتية المنطقية للكلمة ، وليس بقصد الحديث عن البنية الصرفية لها ولا ما يتعلق بذلك من الأصلي والزائد . في ضوء هذا الفهم لنص الخليل فلا وجه لا عراض الدكتور حسين نصار على الليث حين قال : ويبعد أن الليث لم يحسن فهم الخليل في هذه المسألة فقد شرح الخليل له أنَّ ألف الوصل مزيدة ليعتمد عليها اللسان في النطق بالساكن ، والراء المضعة راءان لا واحدة ، فاعتقد أنَّ الراءين أصليتان وحكم على الكلمتين بأنَّهما خماسيتان ، ولما كانت الكلمتان فعلين حكم الليث بوجود أفعال خماسية ، وهذه الغلطة الكبرى » ... ولهذا يجب أن تتبَّع إلى خطأ هذا الرأي فيما سيقابلنا من أقوال الليث <sup>(١)</sup> .

ناقشت الدكتور نصار الألف على أساس فكرة الزيادة وجاء بلفظ مزيدة ، والخليل لم يتكلَّم عن الألف من زاوية الزيادة وعدمها وإنما من زاوية الوظيفة التي من أجلها جيء <sup>(٢)</sup> بها ، وتجاهل حروف الزيادة الحقيقة وهي التون في الأمثلة ،

١ - المعجم العربي : ٢٢٩ / ١ .

٢ - وهذا الذي أفهمه هو ما فهمه كذلك محققاً العين حين قدم الكتاب : « أقول : لم يرد الخليل بقوله : « والألف التي في استحنكك ... ليست من أصل البناء » إنَّها من أحرف الزيادة فقد كان يوسعه أن يصرح بذلك ، وإنما أراد أنها وسيلة لإخراج الصوت ... مقدمة العين ص - ١١ .

والتي لم يتحدث عنها الخليل مطلقاً وهو ما يعني أنه ليس بسبيل الحديث عن زيادة وأصلة وإنما هو يتكلم عن بنية الكلمة الخامسة الصوتية في الفعل والاسم ، ولم يقع الليث في أية غلطات لأن أمثلة الخليل على هذا المستوى خماسية الاسم منها والفعل على سواء . فالدكتور نصار فهم نص الخليل على غير الوجه الذي قصده ، وتصور أن الخليل يتكلم عن حروف الزيادة في اسحننك واسحنفر واقشعر واسبكر ، وما أراد الخليل من هذا النص مطلقاً أى حديث عن الزيادة الصرفية في هذه الأفعال ، ولهذا تجاهل الدكتور نصار مناقشة حقيقة التون في الأفعال والأسماء الخامسة في نص العين والتهذيب ولو تعرض لذلك أو فكر فيه لتبيّن له أن توجيه النص الخليلي على نحو ما فهم سيادته قد جانبه الصواب .

٤ - ١ : الجذر كما يظهر من الصفحات السابقة هو القاسم المشترك بين الصور المختلفة المترلدة عنه عن طريق نظام الاشتراق في اللغة . وإذا كان الاشتراق الأصفر هو أشهر أنواع الاشتراق ، فإنه يدخل في إطار المعالجة الصرفية الخالصة ، أما بقية الأنواع فهي تدخل في صميم فلسفة اللغة في صوغ كلماتها على مستوى البنية المعجمية ، الأمر الذي لم يفت حاسمة الخليل اللغوية ، فراح يرصد ظواهر الاشتراق المختلفة في المادة العربية ، وكانت تفاصاته لربما صادقة إلى حد ما في خالقها بالنظر في إيماعاته العجلى ، كأنه في هذه المسائل يقول للاممديه انحوا هنا التحو . أما مدى سلامته ما سجله ودقه ما لا حظه فأمر آخر له للصفحات التالية ليتبين لنا الفرق بين ما صنع الخليل وما فعل خالفوه .

٤ - ٢ : أما أول ظواهر الاشتراق التي أشار إليها فهي ظاهرة التحت ، فقد لاحظ الخليل أن بعض الكلمات في اللغة تأتي مشتقة من كلمتين مستقلتين يقول الخليل : إن العين لا تختلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل « حي على » كقول الشاعر .

إلا رب طيف بات منك معانقى إلى أن دعا الداعى الفلاح فجيعلا

يريد قال : « حى على الفلاح » أو كما قال الآخر  
 إلى أن يجعل الداعى الفلاحا  
 فباتت خيال طيفك لى عنيقا  
 أو كما قال الثالث :  
 أقول لها ودموع العين جار  
 ألم يحزنك حيطة النادى

فهذه الكلمة جمعت من ( حى ) ومن ( على ) وتقول منه « حييل يحييل  
 حيطة » ، وتبقى ، ورجل عبسمى ، إن كان من عبد شمس أو عبد قيس ، فأدخلوا  
 من كلمتين متعاقبتين الكلمة واشتقوا فعلاً قال :

وتحصلت منى شيخة عبسمية  
 كأن لم تر قبلى أسرى يمانيا  
 نسبها إلى عبد شمس ، فأأخذ العين والباء من ( عبد ) وأخذ الشين والميم من  
 ( شمس ) وأسقط الدال والسين ، فبني من الكلمتين الكلمة فهذا من النحت فهذا من  
 الحجة في قولهم : حيطة حيطة ، فإنها مأخوذة من كلمتين ( حى على ..... )<sup>(١)</sup> .  
 من نص الخليل السابق يبين لنا الأمور التالية :  
 - أنه يرى أن ظاهرة النحت موجودة في اللغة ، وهي شكل من أشكال الاستعاق  
 يتم به توليد الكلمة من كلمتين مثل حييل وعبسم وعبيس وما تصرف  
 منها<sup>(٢)</sup> .

- حديث الخليل عن هذه الظاهرة جاء عرضاً في سياق التطبيق أى في متن المعجم  
 ، وليس في التأسيس النظري<sup>(٣)</sup> ، مما يعني أنه يعالجها على أنها ظاهرة ليست  
 شائعة ولا تمثل قانوناً لغويأً عاماً مطروداً ، ولو كان كذلك لجاء بها في مقام  
 التطبيقات والتعميد ، مما يفهم منه أنها أمثلة تسجل ويلتفت إليها فحسب .

- ١- انظر ١ / ٦٠ و ٦١ / ٥٥ . وانظر كذلك ع ٣ / ٥٥ .
- ٢- انظر بسطاً لامثلته وأشكاله في المزهر ١ / ٤٨٢ وفي عرض أستاذنا الدكتور أنيس لظاهرة  
 النحت في كتابه من أسرار اللغة ص ٨٨ .
- ٣- ع ١ / ٦٠ و ٦١ / ٦٠ وقد ساق الظاهر في كتاب العين باب الثاني المضاعف .

ـ مما سبق يتبيّن أنّ الخليل لم يذهب إلى القول بأنّ أغلب الرباعي والخمسى منحوت كما ذهب ابن فارس وآخرون . بل إنّ الرباعي والخمسى بناءً على أصليان وضعتما العرب واستعملتهما على نحو ما رصد ذلك في سياق التأسيس المحمى الذي يمثل رأيه في الظواهر العامة .

ـ وما ذهب إليه الخليل هو ما يتفق وحجم أمثلة النحو القليلة في اللغة بوجه عام (١) ، دون أن يكون في ذلك أى تهوي من قيمة هذه الآلية من آليات الاستيقاف ، أو التهويل والبالغة في أثرها في المادة العربية كذلك (٢) . فهي شكل من الاستيقاف أمدّ اللغة قديماً بمادة عربية تصور نزعة لغوية إلى باب من الاقتصاد في المبنى يعرف عند المحدثين بـ Haphology أو الاختصار ، وهو موجود في العربية وفي سواها قديماً وحديثاً .

أما من جاءوا بعد الخليل فهم فريقان في معالجة الظاهرة :

فريق تبع الخليل ونظر للظاهرة على أنها من الظواهر الموجدة في اللغة ، ولكتها ليست من الكثرة والاضطرار بحيث يقتضى لها أو يفرد لها باب مستقل ،

ـ ١ - أوصى ابن فارس أمثلة النحو إلى أكثر من ثلاثة كلام ، وقام آخرون بإحصاءات الكلمات المنحوتة في اللغة قديماً فبلغت عند بعضهم بضعماً وثمانين كلمة وعند آخرين نحو مائتين كلمة ، ولم تتجاوز عند البعض بضع عشرات من الكلمات : انظر المقايس ١ / ٣٣١ والصاحب ٤٦١ ، والمقاييس ١ / ٥٣٧ وما بعدها ، وفقه اللغة للشاعر ٥٧٨ والمزهر ١ / ٤٨٢ ، والاستيقاف لعبد الله أمين ٤٣١ ، وفقه اللغة لصيحي الصالح ٢٤٤ . ٢٦٠

ـ ٢ - بعض المحدثين يمول على النحو كثيراً في صياغة المصطلحات العلمية الحديثة ، دون أن يتلفت إلى أن العلميين العرب قديماً لم يلجهوا إلى ظاهرة النحو في صوغ مصطلحاتهم ، فعلى معاشرى ل المصطلحات الطبع عند الرازى وشسلت نحو ١٥٠٠ مصطلح طبى لم يقابلي مثل واحد للنحو وهو ما يعني أنهم عولوا على وسائل لغوية أخرى غير النحو . انظر دراسة لغة الطبع عند الرازى كما تبدو في كتاب الحاوى - رسالة

وعلى هذا التحول جاء حديث سيبويه عن النحو عرضاً في مواضع مختلفة ففي سياق النسب إلى المركب قال : « وقد يجعلون للنسبة في الإضافة اسماً بمنزلة - جعفر ) ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر ، ولا يخرجه من حروفهما ليعرف ، كما قالوا : سِبَطْ ( بكسر السين وفتح الباء وسكون الهاء ) فجعلوا فيه من حروف السبط إذا كان المعنى واحداً .. فمن ذلك عيشمي وعبدري وليس هذا بالقياس (١) » وهو ما يعني أنه يتضمن إلى النحو على أنه ظاهرة غير مطردة وغير شائعة كذلك كما ذهب أستاذه ، ومن هذا الفريق صناع المعاجم فقد سجلوا الظاهرة ونسبوها للخليل .

أما الفريق الثاني : وعلى رأسه ابن فارس وابن جنى ، والأول خاصة ذهب إلى أن ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضبطر » من « ضبط و ضبر » وفى قولهم « صهصلق » إنه من « صهل » ، و « صلق » ، وفي الصدر المصلد إنه من « الصلد » والصدم (٢) وذكر مثال الخليل « حييل » ونسبة إليه مؤكداً أنه أول من قال بذلك (٣) ، وبالطبع فإن الرعم بأن أكثر ما زاد على

١- انظر الكتاب / ٣ / ٣٧٦ .

٢- انظر المقياس / ٣٢١ والصحي ٤٦١ ، وفقه اللغة ٥٧٨ والمزهر ١ / ٤٨٢ .

٣- ذكر الدكتور صبحي الصالح أن ابن فارس حين استعرض في لفظ الميعلة مولداً إسلامياً ما عرفه فصحاء العرب في الميالية فكيف يمكن أصلاً في هذا الضرب من الاشتغال الذي لم يشع في لسان العرب كثيراً ؟ فللمحاجة إذن بشاهد فصيح على النحو لا يسع أحداً إنكاره ، وليدرك العلماء بتنوع من النحو كأن العرب الأصحاب يتفقون عليه ولينتند فيه بينما للشاعر الميالي عبد يقوث بن وقاص الحارثي وليلق مطعمنا إلى صواب رأيه : « ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قوله : « عيشمي » وقوله : [ و ] تضحك من شيخه عيشمية ، ويعلق على قول ابن فارس : سيفضح لك من نقل عبارة ابن فارس أنه لم يذكر اسم هذا الشاعر الميالي ولم يورد البيت كاملاً بل أكفي بتصدره لأن فيه موطن الاستشهاد ، وتجده تتمه البيت مع اسم الشاعر في ( المفضليات ١ / ١٥٣ ) : والحقيقة أن ابن فارس لم يتحقق بهذه الشاهد لتأكيد أصحاب الظاهرة عند العرب الأصحاب لأن الذي استشهد بالبيت كاملاً هو الخليل انظر ٦١ ، والظاهرة يقربها اللغويون وابن فارس إنما يردد ما سبق أن قاله الخليل ، ولكن فشان بين توظيف السابق واللاحق .

ثلاثة فهو منحوت هو من قبيل التعميم العلمي الذي هو أقرب إلى العطن والتخيين منه إلى الحقيقة العلمية <sup>(١)</sup> ، وشتان بين رأى الخليل الذى يرصد الظاهرة دون تزيد أو غلو ، ويضعها فى حجمها من ظواهر اللغة المختلفة التى تبرز وتحتاج إلى تفسير ولكنها لا ترقى إلى مستوى الظواهر العامة المطردة التى يقصد لها .

#### ٥- تقاليب الخليل و الاشتقاد الأكبر ( القلب اللغوى ) :

في الفصل الثالث من هذا البحث عولجت فكرة التقاليب على اعتبار أنها فكرة رياضية لحصر مادة المعجم العربى حصرأً يعين على فهم فلسفتها العامة ، غير أن هذا الحصر عند الخليل لم يكن مجرد سرد عددي ، بل كان حصرأً خاضعاً لنظامية معينة قادرة على أن تكشف عن علاقات الكلمات بعضها ببعض ، وإذا كان الخليل نفسه لم يعط اللثام عن غايته من ذلك العرض الخاص للمادة اللغوية ، فإن كثيراً من الدارسين لم يجدوا أى عسر فى تفسير معالجات ابن دريد وابن فارس وابن جنى لفكرة القلب اللغوى على أنها مستوحة بطريقة أو بأخرى من آلية التقاليب الخليلية <sup>(٢)</sup> ، دو أن يكون الخليل نفسه مسؤولاً عن ما شاب هذه المعالجات من اعتساف وتكلف .

فالخليل كان يجمع مقوليات الكلمة كلها فى موضع واحد ، فكلمة كتب مثلاً وجميع مقولياتها الأخرى كتب ، وتكب تبك ، بكت بتك ، تمحىء كلها فى موضع واحد هو كتاب الكاف إذ هي أسبق الأصول الثلاثة فى الترتيب المحرجى الخليلي يليها التاء يليها الباء ، وتأتى الصور الخمسة تحت التقليل كتب من كتاب الكاف باب الثلاثى الصحيح ، ودرج نجدها فى كتاب الحاء تقليل حجر باب

١- انظر المباحث اللغوية ص ٨٦ .

٢- ذهب إلى ذلك الدكتورة وافى وأتيس وصباحى الصالح ورمضان عبد التواب وعبده الراجحى ، انظر فقه اللغة - ص ١٨٣ ، ٢٨٣ ، ومن أسرار اللغة ص ٦٦ ، ودراسات فى فقه اللغة ص ١٨٨ وفي أصول فقه اللغة ص ٢٩٦ / ٢٩٧ وفقه اللغة فى الكتب العربية

الرابعى وهكذا واجتماع الصور المختلفة للأصل الواحد فى موضع معاً هو الذى أعاد على إدراك القراءة الدلالية بين هذه المقلوبات فأوحى إلى الأباء الثلاثة بinterpretation فى الأصل الدلائلى المشترك بين مقلوبات الكلمة .

وقد سبق القول عند عرض تقاليب الكلمة إلى أن الكلمة الرباعية تظهر فيها صور متقاربة فى الشكل على النحو التالى :

- ١٢ زوجاً من الكلمات يشتراك كل زوج فى الحرفين الأولين ويتبادل الحرفان الباقيان الواقع مثل دحرج ودحمر ، عقرب وعقبر .. الخ وهذا التقارب كثيراً ما يترتب عليه تقارب فى الدلالة .

- يظهر من مقلوبات الكلمة الرباعية فى مجموعات كل منها ٦ كلمات تبدأ كلها بحرف معين وتبادل الحروف الثلاثة الأخرى الواقع مثل : دحرج دحمر ، درجح درجح ، وحمر وجرح وعكن كذلك أن يكون بين هذه المقلوبات قرابة كتلك القراءة الدلالية بين رهسم ورهمس ، رنحس ورنجس ونظائرهما<sup>(١)</sup> .

أما عن الجدول الخامسة فإن أشكال التقارب كثيرة بشكل ظاهر ولافت للنظر فهناك من بين التقاليب المائة والعشرين التى يظهرها نظام تقاليب الكلمة الخامسة يظهر لنا التماثلات التالية :

- ٦٠ زوجاً من الكلمات يشتراك كل زوج فى ثلاثة الأحرف الأولى وذلك نحو سفرجل وسفرلچ ، زبرجد وزبردرج الخ .

- يوجد عشرون مجموعة كل مجموعة مكونة من ٦ كلمات تشتراك فى الحرفين الأولين مثل سفرجل سفرلچ سفلجر سفلجر سفجل . وهكذا .

١- انظر الاشتقاد لعبد الله أمين ص ٣٨٧ ، وفي التطور اللغوى ص ٥٩ .

— يوجد خمس مجموعات كل مكون من ٢٤ صورة تشارك في الحرف الأول وتبادل المعرف الباقية <sup>(١)</sup> ، ومن ذلك في اللهجات العربية بطرمان وبرطمان ، كبرزة وكزيرة وقد يوجد تقارب دلالي بين هذه الصورة وهو أمر محتمل ، حتى مع تلك الصور من الكلمات التي ليست من المتماثلات السابقة ، وإنما من مقلوبات الكلمة عامة مثل عربون وربعون جنزيريل وزنجيل وأمثالها <sup>(٢)</sup> .

و النظام التقاليب الخليلي هو الذي وقفنا عن قصد أو عن غير قصد على هذا التقارب في المبني وما ترتب عليه من تطابق أو تقارب في المعانى ، و تبعاً لذلك فتح الباب لنظرية الأصل الدلالي المشترك بين مقلوبات الكلمة .

وإذا كان هناك بعض الأمثلة التي تدعم القول بوجود تقارب بين بعض الصور فإن هذا لا يعطي لأنصار هذا الاتجاه الحق في دعوامهم العريضة التي تجمع المقلوبات المختلفة مما وترجمها إلى أصل مشترك في المعنى ، وبالرغم من ذلك الانضباط في نظام التقاليب وما يمكن أن تستثمره في التعرف على الاشتراك الدلالي الحقيقي ، فإن الغلو والتكلف هو الذي أفسد هذه القضية حتى ضاعت الحقيقة ، ولعل ما قاله ميه عن نظائر هذه الأبحاث التي قام بها الأبناء الثلاثة في باب القلب هو أقرب إلى الواقع حيث وصفها بأنها « من بين أبحاث علم اللسان كافة أدقها وأقلها يقيناً ومن ثم كثر فيها عبث الهواة <sup>(٣)</sup> » ، ولعل هذا العبث أو الغلو هو الذي دفع بعض الباحثين إلى اتخاذ موقف الرفض أو التشكيك من هذه المجهود واعتبارها مجرد تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل (يقصد ابن جن) اشتهد ولعه وإعجابه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها ، فأضفى عليها من مظاهر

١ - انظر تقاليب سفرجل في الفصل الثالث من هذا البحث .

٢ - انظر التطور اللغوي ص ٥٩ .

٣ - متيق البحث في الأدب واللغة ص ١٠٨ .

السحر ما لا يصح في الأذهان ، ولا تتصف به لغة من لغات البشر (١) .

والذى يطعن إلى البحث فى هذه المسألة هو أن كثيراً من المقلوبات وبخاصة تلك الثنائيات التي تشتراك في ٥٠٪ من الحروف مثل عقرب وعقرب أو ٦٠٪ مثل زيرجى وزيردرج يمكن أن يوجد بينها تقارب في الدلالة . وهذا مجرد احتمال يحتاج دراسة واقعية للسادة وإنكار ذلك جملة ينافي روح اللغة وواقعها ، ولكن الغلو والإسراف هو العيب الجوهري الذي ثاب معالمه القدماء للظاهراء ، أما أنها تتكىء على مادة حقيقة فهذا ما لا يسع المتصوف إنكاره . فأمثلة القديم ، والحديث تؤكد هذا التقارب في مثل جيد وجذب وفخر وحفر ، حمد (٢) ومدح وهو باب واسع لا مشاحة وتبقى فكرة التقاليب الخليلية هي الآلية المنهجية القادرة على جعل فحص المادة اللغوية إمكانية متابعة للتأكد من هذه القراءة بين بعض المقلوبات أو نفي ذلك .

٦ - يأتي الإبدال اللغوى Rood modification بوصفه شكلاً من أشكال التغيير الذي يطرأ على الكلمة يقارب القلب غير أنه في حال الإبدال يكون بغير حرف من حروف الكلمة الأصلية مع الاحتفاظ بالمعنى الأساسي كلياً أو جزئياً ، وهو باب واسع في اللغة احتفى به اللغويون ومن أمثلته الشائعة أروهـز ، نـعـ وـنـهـ ، ثـلـب ، فإذا كان القلب تغييراً مكانياً لحرف من الحروف من الحروف الأصلية ، فإن الإبدال يتم فيه استبدال حرف بحرف آخر ، ويكون بين المستبدل والمستبدل منه قراءة صوتية تسمح بذلك ، ويضع الباحثون ضوابط دقيقة تحكم هذا الإبدال (٣) .

ويأتي الخليل أيضاً رائداً في ملاحظة هذه الظواهر في المادة التي يعالجها ،

١ - من أسرار اللغة ص ٦٧ .

٢ - وقد ساق السيوطي نحو مائة مثال - انظر المزهر ٤٧٦ / ١ .

٣ - انظر سر صناعة الاعراب ١ / ١٩٧ - والتطور التحوى ص ٢٨ ، وفي التطور اللغوى ص ٢٣ .

غير أن تناوله لها يختلف عن تناول خالفيه كذلك ، فقد أكفى الرجل بوصف الظاهرة دون أن يفسر لنا القانون الذي يحكم هذا الشكل من أشكال التغيير ، وإن كان الإنصاف يقتضي أن نشير إلى أنه على وعي بقيمة التقارب المخرجى في إمكان وقوع البدل .. فالخليل تارة يكتفى برصد أمثلة الإبدال دون تفسير ، وتارة أخرى يقدم لنا تفسيراً صوتياً لعلة وقوعه .

فمن النوع الثاني : « قال الخليل بن أحمد رضى الله عنه : الهاء والفاء لا تأتلغان فى كلمة واحدة أصلية المحرف لقرب فخرجيها فى الحلق ، ولكنها يجتمعان من كلمتين لكل واحدة منها معنى على حدة كقوله ليبد :

يتمارى فى الذى قلت له      ولقد يسمع قولي حيئل

وقول آخر :

هيئاً وحيئله

حي كلمة على حده ومعناها هلم ، وهل حيئي ، فجعلهما كلمة واحدة ، وفي الحديث : إذا ذكر الصالحون « فحيئلا بعمر » أى فأنت بذكر عمر ، قال الليث قلت للخليل : ما مثل هذا الكلام أن يجمع بين كلمتين فيصير منها كلمة واحدة ؟ قال : قول العرب ، عبد شمس وعبد قيس فيقولون : تبعش الرجل وتعبسى وع بشمى وع بقسى <sup>(١)</sup> .

ويفهم من ذلك أن وحده المخرج يمثل عائقاً لاجتماع الأصوات في كلمة ، وهو نفسه الذي يسمح بتبادل الأصوات فيما بينها إذا اتحدت أو تقارب ، ويشير إلى ذلك الخليل قائلاً : ضجع فلان ضجوعاً أى نام فهو ضاجع وكذلك اضطجع وأصل هذه الطاء تاء ، ولكنهم استقبعوا أن يقولوا : اصتاجع <sup>(٢)</sup> ، فكان الخليل

١ - ع : ٣ : ٥

٢ - السابق : ١ / ٢١٢

يريد أن يقول ما يصرح به المحدثون من أن قانون المماثلة assimilation يقتضي أن ثانية يعطي ليحسن في تأليف بناء الكلمة فأبدلت الناء طاء وهي النظير المفخم لها<sup>(١)</sup>.

وطبقاً لنفس القانون جاء قول الخليل : « الإزعاج نقىض القرار ، أزعجه من بلاده فشخص ولا يقال فزعج ولو قيل ازعج وازدعج لكان صواباً وقياساً<sup>(٢)</sup> » .

ناء الافتعال تقتضي قياساً أن تحول الصيغة من ازدمع إلى ازدمع ، قوله « قياساً » فيه إدراك إلى أن ثمة قانوناً يحكم الظاهرة ولها تقياس عليه ، وأن إبدال صوت من صوت محكوم بقانون هو في المثال الذي قدمه أن الناء تحول أو تبدل دالاً لأن الدال هي النظير المجهور للناء ، وهو ما يناسب المجهور قبلها وهو الزاي .

غير أن الخليل لا يقف أمام الإبدال بالتفسير دائمًا على التحريف السابق ، بل يأتي كلامه من النوع الأول الذي يكتفى فيه بمجرد رصد أمثلة الإبدال بطريقة وصفية فقط ومن أمثلة ذلك .

١ - إبدال الدال ناء ، والناء دالاً .

كقول الخليل : « والترياق لغة في الترياق وهو دواء<sup>(٣)</sup> » .

وقوله : « رجل مستع في ميسدَّع وهو الماضي في أمره<sup>(٤)</sup> » .

٢ - إبدال الدال زايا .

« ويقال أرض مزوعقة ومذوعقة ومسوعقة ومبوعقة ومسندة بمعنى واحد أى

١ - انظر الأصوات اللغوية ص ١١٥ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥ .

٢ - ع ٢١٧ / ١ .

٣ - السابق : ١٢٧ / ٥ .

٤ - السابق : ٣٢٥ / ١ .

أصحابها مطروابل شديدة (١) .

٣- إبدال الرأي سيناً والسين زاياً :

« وربما قالوا : مزحج في مسجح كالأسد في الأزد ، والمسجح لين الحد والنعت أسمجح . قال ذو الرمة : وخدِّي كمرأة الغربة أسمجح (٢) . »

٤- إبدال الرأي صاداً :

١- ع : ١٣٣ / ١ ، ويعلق أستاذنا الدكتور علم الدين الجندي - في دراسته القيمة : اللهجات العربية في التراث - على هذا المثال قائلاً « فالخليل على جلالة علمه لا يدرى : أن الزعاق بمنزلة الزعاق لغة مستقلة أم ثانية » انظر اللهجات العربية ص ٣٥٧ ، وإذا كان الخليل لم يتعرض لهذا المستوى من التحليل اللغوي عامه ، وفي هذا الصدد موضع التعلق خاصته ، فإن الدكتور الجندي أراد بهذا المثال أن يؤكد أن بعض أمثلة الإبدال يمكن أن تكون ناشطة عن أمراض الكلام كالثغة وهو أمر اختعلط - حسبما رأى سعادته - لدى علمائنا ومنهم الخليل . وأحسب أن هذا المثال استناداً إلى قول الدكتور الجندي نفسه ص ٣٥٥ يمكن أن يفسر في ضوء قوانين الإبدال في اللغات السامية فسيادته يقول « كما وجدنا أن الذال العربية تبدل دالاً أو زاياً في الآرامية فإن جماع مزدوجة إلى أصل سامي مبدل عن مذدوجة يوصف الأخيرة هي الأصل في العربية أو فق من إرجاعه إلى أمراض نطقية وذلك في ضوء الإمكانية المشار إليها ، ويكون كلام الخليل (منزلة) نوحاً من التسوية بين لغتين أو لهجتين شائعتين من لهجات العرب ، إحداهما أبدلت والأخرى ظلت على الأصل ، وهذا عندي أقرب إلى منهج الخليل الوصفي ، الأمر الذي يجعل اتهام الخليل بعدم الدراسة في غير موضعه ، وما يدعم ذلك . أن الثغة Lisping تكون بتحويل الراء لاماً والسين ثاء أو ثيناً أو دالاً ، وليس إبدال الذال زاياً من مظاهر الثغة ، حتى وإن حدث إبدال بينهما بشكل مرضي أو لريب خلقي ، الأمر الذي يدعم تفسير ذلك على أنه من قبيل الإبدال اللهجي أو اللغوي ذي الأصول السامية . انظر أمراض الكلام ط ٤ ص ١٥٥ - ١٥٧ واللغة وأضطرابات النطق والكلام ص ١٥٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ . »

٢- ع : ٢٧٠ .

« زَدْقٌ : وزَدْقٌ لِغَةٍ لَهُمْ فِي صَدْقٍ (١) » .

٥ - إِبَدَالُ السِّينِ صَادًا :

« بَصِقٌ لِغَةٍ فِي بَسْقٍ ، وَبَصِقٌ الْجَرَادُ لِعَابَهُ (٢) » .

« الصَّنْدُوقُ لِغَةٍ فِي الصَّنْدُوقِ (وَيُجْمِعُ صَنَادِيقٍ) (٣) » .

« وَالصَّبَيْغُ لِغَةٍ فِي السَّفَلِ : وَهُوَ الدَّقِيقُ الْقَوَافِيُ الصَّغِيرُ الْجَنَّةُ (٤) » .

٦ - إِبَدَالُ الْحَاءِ عَيْنًا .

« وَيَقَالُ سَجَحَتُ الْحَمَّامَةُ وَسَجَعَتْ (٥) » .

٧ - إِبَدَالُ الضَّادِ ظَاءَ .

« الْحَضِيرُ لِغَةٍ فِي الْحَضِيرُ : « دَاءُهُ يَتَعَذَّذُ مِنْ أَبْوَالِ الْإِبَلِ (٦) » .

٨ - تَبَادُلُ بَيْنَ حُرُوفِ الْمُلْهَةِ وَالْمُهْزَةِ .

« وَفِي الْحَسْوِ ثَلَاثُ لِغَاتٍ : حَسَّاهَا مُثْلِحٌ عَصَابَاهَا وَحَسَّوْهَا مُثْلِحٌ أَبْوَاهَا ، وَحَمَّوْهَا مَقْصُورٌ مَهْمُوزٌ مُثْلِحٌ كَمَّوْهَا (٧) » .

٩ - تَبَادُلُ بَيْنَ حُرُوفِ الْذَّلَاقَةِ وَالشَّفُورِيَّةِ .

— الْمَيْمُ وَالْيَاءُ .

١ - السَّابِقُ : ٥ / ٨٨ .

٢ - السَّابِقُ : ٥ / ٦٩ .

٣ - السَّابِقُ : ٥ / ٢٤٦ .

٤ - السَّابِقُ : ٤ / ٣٧٢ .

٥ - عَ : ٣ / ٧٠ .

٦ - السَّابِقُ : ٣ / ١٠١ .

٧ - السَّابِقُ : ٣ / ٣١٢ .

ممعقة ومبوعة ومسنية بمعنى واحد أى أصابها مطروابل شديد (١) .

ـ الفاء والباء .

ـ وعكفت الطير بالقتيل ... وفي لغة المخججين عكبت حولهم الطير فهى عكوب أى عكوف قال شاعرهم : ( منسوب إلى مزاحم العقيلي ) (٢) .

ـ تظل نسور من شحام عليهم :: عكوباً من العقبان عقبان يذيل (٣) .

النماذج السابقة للإبدال تصور المنهج الذى تعامل به الخليل مع أمثلته ، فهو منهج وصفى أكتفى من الظاهرة بتسجيل أمثلتها على أنها نماذج موجودة فى اللغة ، ونلحظ من عرضه أنه يراها مجرد لهجات أو لغات مختلفة لا مزية لإحداثها على الأخرى اللهم إلا إذا افترضنا أن قوله « لغة في كذا » أن (كذا) هي الأصل أو الأكثر شيوعاً وتلاحظ كذلك أنه الترم بخطوط منهجه العام كما يظهر في البحث وهو عدم الالتفات للظواهر الفردية أو الأمثلة الشاذة وأكاد لا أجد عنده احتفاء بالظواهر الـهـجـيـةـ الـغـرـيـةـ كـالـكـشـكـشـةـ وـالـكـسـكـسـةـ وـالـمـعـنـعـةـ وـالـفـحـفـحـةـ وـالـاسـتـطـاءـ وأـضـرـاـبـاـهاـ منـ نـماـذـجـ الإـبـدـالـ الـلغـوىـ الـخـاصـ ،ـ وـتـكـادـ أـمـثـلـةـ الإـبـدـالـ عـنـدـهـ أـنـ تـكـوـنـ منـ ذـلـكـ التـوـعـ الـمـرـدـ الـتـىـ تـسـمـعـ بـهـ قـوـاـيـنـ الإـبـدـالـ كـمـاـ يـظـهـرـ مـنـ أـمـثـلـةـ السـابـقـ عـرـضـهـاـ .

ـ والمتبوع لما ذكرناه سيجد أمامه مادة لغوية توـكـدـ أنـ الـخـلـيلـ كـانـ عـلـىـ رـعـىـ بعدـ منـ الـلـغـاتـ الـأـجـنـيـةـ وـبـخـاـصـةـ الـلـغـاتـ السـاسـيـةـ وـالـشـرـقـيـةـ ،ـ وـلـاـ أـدـرـىـ لـمـ يـرـظـفـ هـذـاـ الرـجـلـ هـذـهـ الـمـرـفـةـ فـىـ مـعـالـجـتـهـ لـأـمـثـلـةـ الإـبـدـالـ ،ـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ الـلـغـوـيـةـ ؟ـ وـلـمـ قـعـ بـمـجـرـدـ وـصـفـ الـظـواـهـرـ الـتـىـ تـقـابـلـهـ ؟ـ وـأـلـبـ الـظـنـ أـنـ الرـجـلـ التـرمـ بـالـمـنـهـجـ الـوـصـفـىـ ،ـ وـلـمـ يـرـدـ أـنـ يـخـلـطـ فـىـ مـعـالـجـتـهـ بـيـنـ الـمـنـهـجـ الـوـصـفـىـ وـالـتـارـيـخـىـ ،ـ

ـ ١ـ السـابـقـ :ـ ١٣٣ـ /ـ ١ـ .

ـ ٢ـ اـنـظـرـهـ :ـ ١ـ /ـ ٣٢٣ـ .

ـ ٣ـ عـ :ـ ٢٠٦ـ /ـ ١ـ .

وربما لو كان منهجه تاريخياً لجاز له أن يعتمد في بعض الخطوات على النهج الوصفي<sup>(١)</sup> ، أما وأنه كما يظهر من ثنايا البحث حتى يتسجل الظواهر اللغوية العامة كما هي ، فهو متsons مع نفسه ، وإن امتلك الأدوات التي تسمح له بتفسير ظاهرة الإبدال من منظور تاريخي أو سامي . أما هذه المعرفة السامية فهناك ما يقطع بها في نصوص العين من ذلك :

- وكتنان بن سام بن نوح إلية ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية<sup>(٢)</sup> .
- ششقل : كلمة حميرية عبادية لهج بها صيارة العراق في تعبير الدينار<sup>(٣)</sup> .
- الشترة : الإصبع بالحميرية وجمعه الشتاتر<sup>(٤)</sup> .
- ويقال المرجبه : المقلاع بالعبرانية<sup>(٥)</sup> .
- هيراشراها بالعبرانية : ياحى يا قيوم<sup>(٦)</sup> .
- وبلغنا في تفسير (طه) مجزومة أنها بالخشية : يا رجل ..... ومن قرأها (طلاها) فهذا حرفان من الهجاء ، وبلغنا أن موسى بن عمران لما سمع كلام الرب استفزه الحروف حتى قام على أصابع قدميه خوفاً فقال الله : طه : أى
- ١- لا يقال إن النهج الوصفي بهذا الفهم متوجه حديث ، فالعبرية بطبيعة المعالجة التي قدمها الخليل لا بالمسنويات .
- ٢- ع: ١ / ٢٠٥ وفي نسخة د. درويش (بلغة تضارع) وقد أشار محققنا العين أن كلمة تضارع ربما كانت مأخوذة من التهذيب أو المخصص .
- ٣- ع: ٥ / ٢٤٥ .
- ٤- ع: ٦ / ٣٠١ .
- ٥- ع: ٦ / ١١٤ .
- ٦- ع: ٣ / ٤٠١ وقد لفت نظرى إلى هذا المثال والذى يليه الزميل الدكتور محمد حسن عبد العزيز انظر ترجمته لكتاب العربية الفصحى الحديثة ص ١٤٢ .

اطمئن يا رجل <sup>(١)</sup>.

- والقطنطار ، يقال أربعون أوقية من ذهب وفضة ، ويقال هو بالسريانية مثل ملء جلد ذهباً أو فضة ، وبالبربرية ألف مثقال من ذهب أو فضة <sup>(٢)</sup>.

- ويقال الرّقّوم : بلغة إفريقية الرّيد بالتمر <sup>(٣)</sup>.

- والعيطون : المُخدّع في لغة البربر ومصر <sup>(٤)</sup>.

- وهَرَّوز : حروف وضعت لحساب الحمل : الهاء خمسة والواو ستة والزاي سبعة <sup>(٥)</sup>.

وئمة أمثلة كثيرة لا تضيق أكثر من تأكيد أن الرجل كان ملماً بعدد من اللغات السامية أو لديه معرفة قوية بها ، ولا يمكن أن يكون الخليل مجرد راوٍ لغافر لغوية شائعة ، فالثابت أنه عالم متذير يمتلك الأدوات المعرفية التي تمكّنه أن يشيد هذا الصرح على أساس علمية صلبة ، ولكنه للأسف لم يوظفها على التحول الذي كان يمكن أن يجلو كثيراً من القضايا اللغووية الأمر الذي حمل بعض المستشرقين إلى القول : « ولكن عمل يوسف له أشد الأسف أن جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئاً من اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة <sup>(٦)</sup> ».

١- ع : ٣٤٧ ، ٢ ، ٢٤٨ / ٢ وعلق الدكتور محمد حسين آل ساسين على هذا المعنى بعد أن نسب النصّ لأنّ الأبياري قائلاً « وليس فيما ذكر ابن الأبياري وأبو حيان من اللغات السامية ما يؤيد وجود طه بمعنى يا رجل » انظر الدراسات اللغووية عند العرب ص ٤٨٤ وانظر اللهجات العربية في القرآن ص ١٥٦ .

٢- ع : ٤ / ٥ - ٣٢١ - ٢٥٦ .

٣- ع : ٩٤ / ٥ .

٤- ع : ١٠٣ / ٥ وانظر الجمهرة / ٣ ٢٨٨ .

٥- ع : ٢٤٩ / ٥ وانظر أمثلة أخرى نفس الصفحة .

٦- اللغات السامية (ولقسنون) ص ٢١٧ .

وهو قول فيه تعليم ينافي المنهجية العلمية ، وإن كان لم يجاوز الحقيقة حين قرر أن عدم تفسير الظواهر في ضوء المعرفة السامية يعد قصوراً « لأنه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدى الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر في بحثه على لغة سامية واحدة <sup>(١)</sup> » .

ولم يقتصر الخليل في عدم توظيفه للشق المعرفي على الجانب السامي ، بل امتد إلى عدم استثماره لمعارفه الأخرى وبخاصة الفارسية في المعالجة اللغوية ، وإن كان ما جاء به في هذا الصدد يعد باكورة للدراسة التأصيلية ، وهو بذلك الرائد في الحديث عن المَرْبُّ والدخليل في لغة العرب من ذلك مثلاً :

— والخورنقا : نهر وهو بالفارسية (خُرَنْگَاه) مغرب الخورنقا . قال الأعشى صيرفون في أنهارها والخورنقا <sup>(٢)</sup> .

والإنسان : خَنْيَل وخرنخانسية : كَلْشَان وَتَل :

لنا جلسان عندها وينفسجع . وسيسبر والمرزجوش منتمما <sup>(٣)</sup>

— الهمقان : واحدتها همقاقه بوزن فعللة ، ولا أظنه إلا دخيلاً من كلام العجم أو كلام بلغم خاصة ، لأنها تكون بجيال بلغم وهي حبة تشبه حب القطن في جمامحة مثل المشخاش إلا أنها صلبة ذات ثعب ، يلقى حبه ويؤكل ، يزيد في الجماع <sup>(٤)</sup> .

— المهندرس : الذي يقدر مجارى القُنْيَّة مواضعها حيث يختضر ، وهو مشتق من الهندره ، فارسية صيرت الزاي ميناً ، لأنه ليس بعد الدال زاي في شيء من

١- السابق نفس الصفحة .

٢- ع : ٣٢١ - ٣٢٢ .

٣- ع : ٥٤ .

٤- ع : ٣٧٢ / ٣ .

## كلام العرب (١).

الكتشخان : الدبيوث : وهو دخيل لأنه ليس في كلام العرب رباعية مختلفة الحروف على فعلان ، ولا يكون إلا بكسر الصدر غير كتشخان فإنه يفتح فإن أعراب قيل كتشخان على فعلان ، ويقال للشام لا تكتشخ فلاناً (٢) .

ويمكن سرد صفحات من نظائر هذه الأمثلة لتأكيد هذه المعرفة الخلليلية بلغات شرقية وبخاصة الفارسية ، غير أن معالجته لهذه المادة ، أقصد غير السامية كانت تسمى بسمتين بارزتين : الأولى : هي محاولة وضع معايير لتمييز الكلمة العربية من الدخلية كما في مثال المهندس والكتشخان ، وهو بذلك رائد في الدراسة التأصيلية لغة المعجم العربي يسبق بذلك رواد هذا اللون من الدراسات كأبي منصور الجواليقي والشهاب الخفاجي ، وقد ترسّع ابن دريد في هذا وتطهّر مادة غزيرة في معجمه الجمهرة تدعم أن المسيرة بدأت مبكرة على يد الخليل وحروارية السمة الثانية توظيف المعاشر العامة كمعيار للحكم بعربيّة الكلمة ، كالمعرفة الجغرافية ، حين لاحظ أن كلمة الهمقان ، بوصفها اسمًا على حب لا ينبع في البيعة العربية حكم بعدم عربيّة الكلمة . ولعل ذلك هو ما جعله ينتهي إلى رصد مجموعة أحكام عامة أكّدت صحتها الدراسات الأحصائية من ذلك .

ليس في كلام العرب دعشوة ولا جلاهت ، ولا كلمة صدرها (نر) وليس في شيء من الألسن خاء غير العربية ، ولا من لسان إلا التور فيه تدور (٣) .

الكتشخع والخضريح والكتشعط وأشباههن مولدات لا تجوز في كلام العرب لأنّه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً فإن

١- السابق : ٤ / ١٢٠ .

٢- السابق : ٤ / ١٥٥ وانظر كذلك ٥ / ٥ ، ٢٤٣ / ٥ ، ٢٨٨ / ٥ ، ٣٤٨ / ٣ ، ١٠٤ / ٥ .. الخ .

٣- السابق : ١ / ٥٣ ، ٥٣ / ٥ ، ٢٦٥ .

التجارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والعنiet<sup>(١)</sup>.

- ليس للعرب كلمة على بناء فعل<sup>(٢)</sup>.
- ليس في كلام العرب رياعية مختلفة المزوف على فعل<sup>(٣)</sup>.
- القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم ، وكذلك الجيم مع القاف لا يلتقيان إلا بفصل لازم ، وغير هذه الكلمات المعربة ، وهي المحوال والقبح ، ليستا بعربيات محضة ولا فارسية<sup>(٤)</sup>.
- النهاء والفاء لا تلتقيان في كلمة واحدة أصلية المزوف لقرب مخرجيهما في الحال<sup>(٥)</sup>.
- ليس بعد الدال زاي في شيء من كلام العرب<sup>(٦)</sup>.

من كل ما سبق يتبين أن الخليل كان على معرفة تامة بلغات متعددة ومعارف متفرعة جعلته يقفنا على كثير من أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية ، ولو وظف هذه المعرفة توظيفاً كاملاً وبخاصية الشق السامي لما استطاع أحد أن يُضيف شيئاً لما قال ، وكانت أفكاره ملهمة للباحثين الذين جاعوا بعده خلفف كل منهم فكرة سواء فكرته الخاصة عن القيمة التعبيرية للحروف ومحاكاة الصوت ، أم فكرته عن التقاليب ، أم فكرته عن التحت أم فكرته عن الإبدال ، وفيما يحصل بالابدال خاصة

١- السابق : ١ / ٥٢ / ٥٣ .

٢- السابق : ٥ / ٥٢ / ١٨٢ .

٣- السابق : ٤ / ٤ / ١٥٥ .

٤- السابق : ٥ / ٥٦ / ٣٢ .

٥- السابق : ٣ / ٣ / ٥ .

٦- السابق : ١ / ٥٢ / ٥٣ .

وهو آخر النقاط التي عرض لها البحث في إطار فلسفة الجنر ، فإن الخليل هو الذي أوحى إلى خالفيه كذلك بالتقريب الدلالي في أمثلة الإبدال من ذلك قوله :

« والكده دون الكدم بالأسنان ، والكده بالحجر والخافر ، والكتح دون الكدح من الحصى والشىء يصيب الجلد فيؤثر فيه قال » :

يلتحن وجهاً بالحصى متتوحاً

ومرة بخافر مكتوحاً

أى تضرب بباب الريح بالحصى قال :

فأهون بذلك يكتح الريح لاسته

أى تضرب به الريح بالحصى .

ومن يروى : تكتح أى تكشف (١)

ولأظن أحداً من تابع ابن جنى في باب تصاقب الألفاظ تصاقب المعانى في خصائصه الا واجداً أن ما قاله هو من هذا الباب الذى فتحه الخليل ، كان المعلم قال لתלמידه ما قاله الإمام على لأبي الأسود « اتح هذا النحو » وتقى لقطات الخليل الذكية شامخة رملهمة كذلك من أكملوا المشوار بعده ، وعلى حين يتميز الخليل في أحكماته على هذه الظواهر بالمروره والاعتدال بحمد تلاميذه يقطعون ويسمون ويضطرون للتتكلف في النهاية ، أما جوهر الفكرة عند الجميع فأصلها خليلي واحد ، فمثلاً أمثلة أزوهز نع ونهق ، قسم وقسم عند ابن جنى هي من نفس المجدول الذى انسابت منه أمثلة الخليل كدم وكده وكتح . والأمر في النهاية هو فرق في أسلوب المعالجة بين الرائد ومن خلفه ، فالمثلة الإبدال مثلاً يمكن أن يعاد النظر فيها وتفسيرها بشكل علمي استكمالاً لصنع الخليل ، وأحسب أن حكم ستكتفتش عن

الإبدال فيه شيء من صواب حين قال عنه أنه : « من الأسس الهامة لفهم بنية المعجم العربي ، لأنه يوضح لنا الأصل العميق للكلمة ، ويحقب الأصول والتغصيرات التي تؤلف الإبدال لنرى كيف اخترلت الكلمة العربية إلى أصلية محددين للمعنى مع أصل ثالث أو رابع مع وجود توكيد أو ظلل أو رابط بالجذر الآخر <sup>(١)</sup> » .

خاتمة البحث



انطلق هذا البحث من التسليم ابتداءً بأمررين ، الأول أن المعجم نظام من أنظمة اللغة ، شأنه في ذلك شأن أنظمة اللغة الأخرى الصوتية والصرفية وال نحوية والدلالية ، والثاني مترب على الأول ، وهو أن عمل الخليل في كتابه العين ، وفي مقدمته على وجه الخصوص هو من قبيل النظرية العلمية في إطار علم المعجم ، وليس من قبيل الصنعة التي تدخل في إطار التبويب المعجمي أو فن المعجمات . هذان النطلقات في البحث شكلاً المحور الجوهري لتفسير محاولة الخليل في العين وذلك على النحو التالي :

- أن البحث حدد المقصود بالنظرية العلمية ليكون هذا التحديد معياراً يحتمكم إليه في التثبت من صحة المقوله التي يتکيء عليها البحث وهي أن عمل الخليل نظرية وليس صنعة معجمية . وارتضى البحث أن يكون العرض والتحليل لعناصر النظرية عند الخليل هو الوسيلة لإثبات صحة المقوله . الأمر الذي جعل من الباب الثاني حتى الباب الأخير مجرد إجابة علمية على ما طرحة الفصل الأول من البحث من استفسار ، هل عمل الخليل فعلاً نظرية في المعجم العربي أكثر من كونه تأليفاً لقاموس؟ .

- ولم يعرض البحث لمناقشة قضيائياً تقليدية عالجها آخرون كالحجاج حول نسبة العين للخليل ، أو مناقشة موضوع تأثير الخليل بالدرس اللغوي عند الهنود أو غيرهم ، لأن ذلك كله نوقش من قبل من جانب ، وليس يدخل في صميم المعالجة التي يهدف إلى عرضها أو التصدى لها من جانب آخر .

- وجاءت مناقشة عليه اختيار الخليل للترتيب الصوتي لثبت أن هذا الاختيار استند إلى أساس موضوعي فرضته طبيعة المعالجة ، فالخليل بقصد تفسير النظام المعجمي ، والمعجم هنا وحدته الكلمة المنطوقة المكونة بدورها من فونيمات phonemes ، والمناسبة لذلك أن يكون الترتيب صوتياً ، ولا يناسب هنا أن يأخذ بالترتيب الألفبائي أو الأبجدي لأنهما ترتيبان للرموز الكتابية وهذا

يخص المفردات الصامدة في القاموس Dictionary ، وهذا العمل ليس هو الهدف الذي يسعى إليه الخليل ، والذين ظنوا أنه كان أولى بالرجل أن يأخذ بالترتيب الألقيائي ، حسبوا أنه يمؤلف قاموساً ، وما لهذا في الأصل كان عمله .

وكان اختياره للعين صدراً لترتيبه المخرجى واسماً لمعجمه متكمًا على أساس موضوعية كذلك ، لأن الرجل لا يهدف إلى وصف صوتى خالص لترتيب الأصوات العربية ، بل كان يقدم وصفاً صوتياً خاصاً في سياق بعينه ، وهو التعرف على أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية ، وإذا كانت الهمزة والهاء عنده أسبق مخرجًا كما صرخ هو بذلك ، فإن العين من بين أصوات المقدمة يمثل صوتاً ذا خصوصية في نسيج هذه البنية ، فهو يشارك الهمزة والهاء السبق المخرجى ويتميز عليهما بالوضوح السمعى من جانب والتميز والبروز في تشكيل الكلمات ، والعربي يؤثره من هذه الناحية على كل من الهمزة والهاء ، وهو أمر أكدته الدراسات الإحصائية . ذلك ما حدا بالخليل أن ينصرف عن الهمزة والهاء ويتخذ العين صدراً لترتيبه .

وتناوله البحث كذلك عدداً من الملاحظات التي أبدتها عدد من الباحثين المحدثين على عمل الخليل سواء بالشكك في كتاب العين ونسبة كثير من المعلومات التي طرحتها فيه إلى ابن جنى كما فعل أستاذنا الدكتور أنيس ، أم الحكم على أحكام الخليل الصوتية من زاوية صوتية خاصة واتهامه تبعاً لذلك بالاضطراب كما ذهب أستاذنا الدكتور كمال بشر ، أم اتهامه بالخلط بين الهمزة والواو والياء وضمها معاً كما فعل الدكتور حسين نصار ، وقد رد البحث كل ذلك مثبتاً أصلية الفكر الخليلي وموضحاً أن عمل الخليل ليس صوتياً خالصاً الأمر الذي يقتضي إعادة النظر في أفكاره بوصفها ملاحظات صوتية في سياق معجمى . وفي ضوء ذلك جلّ البحث النقاط التي عالجها

هؤلاء الباحثون ، وأظهر دقة الخليل واتساق أفكاره ، وأصالته وسبقه في التعرف على تغير حزمة الذلاقة الصوتية في نسيج الكلمة العربية ، وهو صاحب المصطلحات الصوتية الدقيقة التي عززت لابن جنی ، كما أیان عن دقة الخليل في وصف الهمزة تارة بأنها لا مخرج لها وتارة بنسبيتها إلى مخرج بعينه وهو في الحالة الأولى تصد نوعاً من الهمزة هي المعروفة بالمسهلة كما في ذیب وراس وفي الثانية تصد الهمزة المحققة كما في أسد ، وملأ ، وأخذ وعليه لا تناقض ولا انطراح عنده . أما وضعه للهمزة والواو والياء والألف معًا في آخرة ترتيبه الصوتى فمرد ذلك لسبعين الأول يحصل باتفاقها فى خاصية الإعلال وانقلاب بعضها من بعض ، والثانية خاصة بانخفاض نسبة ترددتها في نسيج الكلمة العربية ، والدرس الصرفي يقتفنا على صحة الملاحظة الأولى ، والدرس الإحصائى يؤكد صحة الملاحظة الثانية وهو ما يدفع عن الخليل تهمه ضم هذه المجموعة معًا بلون سبب واضح أو العجز عن بيان الفرق بين الهمزة من جانب وحروف العلة من جانب آخر .

وأیان البحث عن أن فلسفة الكمية عند الخليل كانت إجراءً منهجياً جوهرياً في إطار النظرية ، وليس كما ذهب ابن منظور عملاً يشتت الذهن ويفيد الجهد ، فمن خلال معرفة أقل المياني وأقصاها كمية يمكن التعرف من خلال الإجراء التقليدي بعد ذلك على كم المستعمل والمهمل ، وبدون معرفة أنواع المياني لا يمكن تحديد ذلك . كما أن هذا الإجراء هو الذي يقتفنا على خصائص البنية التي يتميز بها كل نوع من أنواع المياني . وقد تبين مثلاً أن الثنائي ينحصر في الأدوات والحرروف وأسماء الأصوات والثلاثي هو جل مادة المعجم ومنه يتولد أكثر من ٧٠ % من مواد اللغة . ويليه الرباعي ويليهما الخماسي من حيث الكلم ، وتشييع مجموعات من السلاسل الصوتية في نسيج الكلمة في هذه الأنواع المجموعة الأولى هي مجموعة الذلاقة ، والمجموعة الثانية هي ما أطلق

عليه في البحث مجموعة النصاعة ، وعدة المجموعتين عشرة أصوات تمثل أكثر من ٤٨ .٪ من أصوات الجندر الثلاثي وأكثر من ٦٤ .٪ من أصوات الجندر الرباعي ، وتمثل أكثر من ٦٩ .٪ من أصوات الجندر الخامس ، وتلك النتائج تطابق كلام الخليل عن هذه التربيعية من الأصوات كما سجل البحث تميز الخليل في رصد الضعف النسبي لحروف الملة والهزة في بنية الكلمة الأمر الذي حداه أن يضمها معاً في ذيل ترتيبه وهو أمر أكدته كذلك الإحصاءات ، كما رصد البحث عدداً من الأصوات التي تفرد بها العربية كالظاء أو مقاطع لا تظهر في الجندر مثل انتهائه بـ ثج أو عج أو ثع ، وثمة طائفة أخرى من التركيبات الصوتية الممتعنة في العربية عولجت في الفصل الأخير .

وعلى حين تميزت ملاحظات الخليل الصوتية في بنية الكلمة العربية بالدقة ومتطابقة نتائج الإحصاءات محمد ابن منظور الذي هاجم منهج الخليل الصوتي الكمي التقليسي بهذه يفشل في إعطائنا أنه نتائج مشابهة وجاءت ملاحظاته متناقضة مع نتائج الإحصاءات الحديثة ، فقد نجح الخليل اللغوي المنظر أن يقفنا على أسرار بنية الكلمة العربية ~~وأعده~~ ابن منظور المؤلف المعجمي حين خاض في عمل ليس من قبل صنعته .

وجاء الأساس التقليسي متوكلاً على الأساسين الكمي والصوتي ليرصد حجم المادة المعجمية ، ويعزز بين المهمل والمستعمل ، وبغض النظرية نظاماً رياضياً دقيقاً لذلك ، ويؤكد الخليل أن يكون أول لغوي معروف يعتمد على الرياضيات في تحليل مستوى من ستويات التحليل اللغوي ، وليس بذلك المحدثين ، وليس الأساس التقليسي مجرد أساس حصرى فحسب بل إنه رأى أن العلاقة بين المقلوبات هي علاقة تصريف بما يشي بادراكه لوجود علاقة من نوع ما بين المقلوبات وهو الأمر الذي أوحى إلى خالقية بنظرية الأصول ، أو اتفاق هذه المقلوبات للمادة الواحدة في أصل دلالي واحد ، وإن لم يقل الخليل بذلك فإن إيماءاته يمكن استئثارها كما

ذهب البحث من خلال ربط الثنائيات المترابطة بنسبة كبيرة والبحث عن صلة دلائلية بينها دون أن تربط كل الصور كما ذهب القدماء بأصل واحد.

وقد اعتمد البحث على العلمين العلميين الرائدين للاحصاءات الصلاح واللسان اللذين قام بهما مشكوراً الدكتور على حلمي موسى في الشبـت من دقة ملاحظات الخليل<sup>(١)</sup> ، وقد اختلف البحث مع نتيجة الدكتور على حلمي وهو يقدم الإمكـانات الرياضية لحصر مـادة المعجم حين اتكـأ على الكلمات في عملـه ، وحصر الإمـكـانات إنما يعتمد على الجذر لا الكلمات الأمر الذي جعلـه يعتـد الألف صوتـاً صامتـاً يـسد مـسد الواو والـباء في لـام الكلـمة ، والأـلف لا تكونـ بـحال أـصـلـية في الجذر وليسـ لدينا صـامتـ يـسمـي الفـاء ، وحصرـ الإمـكـانـات يـعتمدـ علىـ الجـذرـ لاـ الكلـماتـ وقدـ تـرتـيبـ علىـ ذـلـكـ وـجـودـ بـعـضـ الـخـلـافـاتـ فـيـ نـتـائـجـ حـصـرـ الإمـكـانـاتـ الـرـياـضـيـةـ لـجـنـورـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ يـمـلـ الفـرقـ بـيـنـ الرـقـمـ الـذـيـ وـصـلـ إـلـيـهـ وـبـيـنـ الرـقـمـ الـذـيـ اـنـتـهـيـ إـلـيـهـ الـبـحـثـ .

كـماـ أـلـمـ الـبـحـثـ إـلـىـ أـنـ حـدـيـثـ الـخـلـيلـ عـنـ التـقـالـيـبـ وـالـذـىـ أـمـكـنـ بـهـ تـصـورـ الـمـسـتـعـمـلـ وـالـمـهـمـلـ أـوـ الـمـوـجـودـ بـالـقـوـةـ وـالـمـوـجـودـ بـالـقـفـلـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـمـعـجمـ يـقـارـبـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ النـحـوـ مـنـهـجـ الـتـحـوـيـلـيـنـ فـيـ التـفـرـيقـ بـيـنـ الـقـدـرـةـ وـالـأـدـاءـ ، وـاـفـرـاضـ الـبـحـثـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـنـهـجـ الـتـقـلـيـيـ قـدـ وـظـفـ كـمـنـهـجـ حـصـرـيـ شـمـولـيـ – فـيـ مـسـتـوـيـاتـ لـغـوـيـةـ أـخـرـىـ كـالـصـرـفـ وـالـنـحـوـ وـدـلـلـ عـلـىـ ذـلـكـ ، وـدـعـاـ إـلـىـ إـعـادـةـ التـنـظرـ فـيـ الـنـظـامـ الـصـوـتـيـ وـالـصـرـفـيـ وـالـنـحـوـيـ وـالـدـلـالـيـ فـيـ ضـرـوـرـهـ هـذـاـ الـطـرـحـ .

وـقـدـ جـاءـ الـأـسـاسـ الـجـذـرـيـ بـرـصـفـهـ مـحـورـاـ أـسـاسـيـاـ فـيـ الـفـرـضـيـةـ الـخـلـيلـيـةـ يـمـيزـ الـكـلـمـ الـعـرـبـيـ ، وـيـهـ تـخـضـعـ لـناـ مـوـسـهـ ، الـأـمـرـ الـذـىـ لـمـ يـسـتـطـعـ أـحـدـ لـاـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـنـظـرـيـةـ وـلـاـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـتـصـنـيـفـ الـمـعـجمـيـ أـنـ يـتـخـلـىـ عـنـهـ أـوـ يـطـرـحـهـ مـنـ تـنـاوـلـهـ .

١ - لم يـلـتـفـتـ الـبـحـثـ إـلـىـ إـحـصـاءـاتـ تـاجـ الـعـرـوـسـ لـتـضـمـنـهـ مـادـةـ لـغـوـيـةـ بـعـضـهـاـ مـحـدـثـ أـوـ ذـوـ صـيـفةـ لـهـجـيـةـ خـاصـةـ .

وقد تعاونت فكرة الأصل الاشتقاقى أو الجذر مع فكرة أخرى هي أصل الصيغة فكانتا آليتين مكملتين لأآلية التقاليد فى التعرف على المستعمل والمهمل ، وقد أفادت معاجم الأبنية من تكامل أصل المشتقات أو الجذر مع أصل الصيغة فى التعرف على المبادى المستعملة والمبادى المهملة على حين أفادت معاجم الشروة اللغوية من آآلية التقاليد فى معرفة المستعمل والمهمل ، وهكذا جاءت فكرة الجذر مكملة لفكرة التقاليد من جانب ، ومبرزة أساساً صلباً لمعرفة القاسم المشترك بين الكلم فى العربية من جانب آخر .

وخلال معالجة فكرة الجذر طرح الخليل عدداً من الإجراءات التى بها يمكن التعرف على الجذر كالالتجوء إلى إسناد الفعل للضمائر أو جمع الاسم أو تصغيره أو ثنيته ، وهو أمر يؤصل به الخليل لمنهج الترم به خالسفوه بلوغاً لذات الغاية حتى الآن .

كما أثيرةت خلال المعالجة الخليلية عدة ظواهر كانتحت ، والقلب ، والإبدال ، وقد جاء تناول الخليل لهذه الظواهر وصفياً مطبوعاً لا غلو ولا تزيد فى الأحكام ، ولم يتجاوز ما قاله فى التحت عن التمثيل له والاعتراف بوجوده كظاهرة دون أن يعني عليه آية أحكام عامة خلافاً لمن جاءوا بعده ، كذلك لم يربط ظواهر القلب بدلالة مشتركة كما سبقت الإشارة ، وأكتفى برصد ظواهر الإبدال ، ولم يتمتع بذلك إلا قليلاً لتفسيرها . ولم يحتف بظواهر الإبدال اللهجى الشاذة ، مما يعنى أنه كان رجلاً ذا نظرية لغوية شمولية ، وعلى الرغم من أنه لم يقد فى المعالجة اللغوية من معرفته بالساميات والتى أكدتها البحث فإنه كان أكثر استفادة من معرفته بالفارسية ، وكانت ملاحظاته فى المادة الدخيلة تأكيداً على رياضته فى مجال البحث المعجمى التأصيلي ، ويأتى رصده لكثير من ظواهر المخصوصية للكلم العربية ، وتسجيله للسلالى الصوتية المتنعة آية على هذا السبق .

وبعد

فإن نظره إلى عمل الخليل في العين كما يبدو من هذا البحث تؤكد أن الرجل كان بصدد وضع نظرية لغوية تهدف إلى فك شفرة النظام المعجمي العربي ، من خلال طرحه لمجموعة من الأسس المحددة ، يقوم كل أساس منها بتفسير جانب من جوانب هذا النظام ، بحيث تتصهر هذه الأسس معاً في بروفة واحدة لتمثل فرضية علمية واحدة ترسم عناصرها بالداخل ، وتتصف آليتها بالشمول والاطراد من جانب وملاءمتها للغة التي وظفت لها بما يمكن وعي الخليل بخصوصية اللغة ، فجاءت خصوصية المنهج تبعاً لذلك . الأمر الذي مكنته من اكتشاف أبرز الخصائص العامة التي تميز كلام العربية على المستوى المعجمي .

وأخيراً فإن هذا البحث المتواضع كان مجرد محاولة مخلصة للاقرابة من عالم الخليل بن أحمد ، سعى فيه صاحبه أن يقدم فهماً خاصاً لغايات هذا العمل ، وتفسيرأً لحقيقة كما تصورها . الأمر الذي كشف خلال هذا المظور الجديد عن أن عمل الخليل في المعجم لا يقل دقة وانضباطاً وشمولية عن أعماله الأخرى في العروض وال نحو إن لم يكن أدقاها على الإطلاق ، وهو إلى عقل الخليل الناقد أقرب ولشخصيته ذات المعرفة الشمولية أدقّ ، ولا هتمماته الصوتية الرياضية أقصى .

وكل ما يطبع فيه صاحب البحث أن يكون قد نجح في أن يشير فضول قارئه ، وأن يلقت نظره إلى جانب هنا أو هناك في تراثنا العربي كما يمثله أصدق تمثيل إمام العربية يستحق أن يلقيت إليه أو يعاد فيه النظر ، فالكلمة الأخيرة في الدراسات اللغوية العربية لم تقل بعد . والله أسأل أن ينفع بهذا البحث شدة العربية عامة والمشتغلين بالدرس المعجمي على وجه الخصوص .



## ثبات المراجع

- الإبدال في كلام العرب - أبو الطيب اللغوي - ت عز الدين التتوخى - دمشق ١٩٦٠ م.
- الاشتقاد - عبد الله أمين - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦ م.
- الأصوات والإشارات - كندراتوف - ترجمة شوقي جلال - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.
- الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس - الأنجلو المصرية ط ٥ - ١٩٧٥ م.
- الأصوات اللغوية - د. محمد على الحولي - مكتبة الخريجي بالرياض ط ١ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- الأصول - د. تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٢ م.
- الألسنية العربية - ريمون طحان - دار الكتاب البنائى ط ٢ - ١٩٨١ م.
- الألسنية - علم اللغة الحديث - د. ميشال زكريا - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٥.
- الألسنية - النظرية اللغوية - د. ميشال زكريا - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ١٩٨٦.
- أمراض الكلام - د. مصطفى فهمي - دار مصر للطباعة - الطبعة الرابعة.
- الإنصاف في مسائل الخلاف - ابن الأبهارى - دار إحياء التراث العربى - بيروت سنة ١٩٦١.
- البحث اللغوى عند العرب - د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب القاهرة ١٩٨٢.

- البحث اللغوي عند الهند - د. أحمد مختار عمر - دار الثقافة بيروت ١٩٧٢.

- تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهرى - ت. أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٥٦ م.

- تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - ط ٢ دار الهلال ١٩٠٤ م.

- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية د. محمد إسماعيل التدوى - بيروت - ط الأولى .

- تاريخ علم اللغة - ماريوباي حـ ترجمه بدر الدين القاسم - ١٩٧٢ و حـ ٢ ترجمة د. نجيب غزاوى بدون تاريخ وزارة التعليم العالى سوريا .

- تاريخ اللغات السامية - إسرائيل ولنسون - دار العلم - بيروت ط ١ ١٩٨٠.

- التطور اللغوى - د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخامنوى - ١٩٨٣ .

- التطور النحوى - برشتراسر - ترجمة د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخامنوى ١٩٨٢ .

- تهذيب اللغة - لأبى منصور الأزهري - تحقيق عبد السلام هارون - المؤسسة العربية العامة للتأليف والأدباء والنشر سنة ١٩٦٤ .

- التسليد الدلائى - فى البلاغة والمعجم محمد غاليم - دار توبقال للنشر ١٩٨٧ م.

- جمهرة اللغة - لابن دريد الأزدى - تحقيق كرنكى - حيدر آباد الدكىن بالهند ١٣٥١ هـ و ط دار صادر - بيروت .

- الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جنى - تحقيق محمد على التجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت .
- دراسات إحصائية لجذور الصحاح - د. على حلمى موسى - مطبوعات جامعة الكويت سنة ١٩٧٣ .
- دراسات إحصائية لجذور اللسان د. على حلمى موسى - مطبوعات جامعة الكويت سنة ١٩٧٢ .
- الدراسات اللغوية عند العرب - د. محمد حسين آل ياسين - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٨٠ .
- دراسات في علم اللغة - د. كمال بشر - دار المعارف ط ١٩٧١ .
- دراسات في قمة اللغة - د. صبحى الصالح - دار العلم للملاتين بيروت ط ٨ سنة ١٩٨٠ م .
- دراسة الضوت اللغوى - د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب - القاهرة ط ٣ ١٩٨٥ م .
- دروس فى علم أصوات العربية - جان كاتينيو - ترجمة صالح القرمادى تونس ١٩٦٦ م .
- دروس فى اللغة العبرية ربى كمال - مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٦ م .
- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجانى - دار المعرفة - بيروت سنة ١٩٨١ م .
- سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جنى - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - البابى الحلبي ١٩٥٤ .
- شذى العرف - الشیخ أحمد الحملاوي - ط البابى الحلبي ١٩٧٩ م .

- شرح شافية ابن الحاجب - لرمضى الدين الاسترباذى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين - دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ م.
- شرح المفصل - لابن بعيسى - ط عالم الكتب - بيروت .
- الصاحبى فى فقه اللغة - لأحمد بن فارس - المكتبة السلفية بالقاهرة ١٩١٠ م
- الصحاح ومدارس المعجمات العربية - أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٦ م.
- العربية - يوهافك - ترجمة عبد الحليم التجار - دار الكتب العربية القاهرة ١٩٥١.
- العربية الفصحى الحديثة - د. محمد حسن عبد العزيز - دار الفكر العربي ١٩٨٥ م.
- العربية معناها ومبناها - د. تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٩ م.
- علم اللغة الاجتماعي - هدسون - ترجمة د. محمود عياد - عالم الكتب القاهرة ١٩٩٠ م.
- علم اللغة العربية - د. محمود فهوى حجازى - وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣.
- علم اللغة وصناعة المعجم - د. على القاسمى - مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٥ م.
- علوم البلاغة - أحمد مصطفى المراغى - دار العلم - بيروت ١٩٨٠ م .

- العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق دكتوران مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي - دار الرشيد سنة ١٩٨٠ م .
- فصول في فقه اللغة - د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخامنجي ١٩٨٣ م .
- فقه اللغة - لأبي منصور الشعاعي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- فقه اللغة - محمد المبارك - دار الفكر - بيروت ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة - د. على عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر ط ٨ .
- فقة اللغة وخصائصها د. أميل يعقوب - دار العلم للملائين - بيروت ط ٢ ١٩٨٦ م .
- فقة اللغة في الكتب العربية - د. عبد الرحيم فتحي - دار النهضة العربية - لبنان سنة ١٩٧٢ .
- الفلسفة اللغوية د. جرجي زيدان ط ٤ ١٩٠٤ .
- في علم اللغة التطبيقي د. محمد فتحي - دار الفكر العربي - القاهرة - م ١٩٨٩ .
- في عمل اللغة العام - د. عبد الصبور شاهين . مكتبة الشباب ١٩٨٤ م .
- في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م .
- الكتاب - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) - ت : عبد السلام هارون - ط ١٩٧٧ م .
- كتاب العين في آثار الدراسين - د. كمال محمد بشر - محاضرات مخطوطة ألقاها على طلاب دار العلوم ١٩٧١ - ١٩٧٢ م .
- كلام العرب د. حسين ظاظا - دار النهضة العربية ١٩٧٦ .

- لسان العرب - لابن منظور - ط دار صادر بيروت .
- اللسانيات العربية د. عبد القادر الفهري - منشورات عريشات بيروت م ١٩٨٦ .
- لغات البشر - ماريوباي - ترجمة د. صلاح العربي - قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٧٠ م .
- اللغات الأجنبية تعلمها وتعلمنها - د. نايف خرما ود. على حجاج - عالم المعرفة الكويت ١٩٨٨ م .
- اللغات السامية - نولدكه - تعریب د. رمضان عبد التواب - المطبعة الكمالية ١٩٦٣ .
- اللغة واضطرابات النطق والكلام د. فيصل خير زاده - ط دار المريخ للنشر - السعودية .
- اللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين الجندي - الدار العربية للكتاب ١٩٨٣ .
- المباحث اللغوية د. مصطفى جواد - القاهرة ١٩٥٥ م .
- المحكم - لابن سيده (على بن إسماعيل - تحقيق مصطفى السقا ود. حسين نصار - البابي الحلبي ط ١٩٥٨ ) .
- مختصر العين - أبو بكر الزبيدي - تحقيق علال الفاسي - مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء سنة ١٩٦٣ .
- مراتب النحوين - أبو الطيب اللغوى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٥ م .

- المهر - جلال الدين السيوطي ط الثالثة دار إحياء الكتب العربية وط البالى  
الخلبى تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين .
- المعاجم العربية د. عبد الله درويش - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.
- المعاجم العربية دكتور عبد الصبور شاهين - محاضرات مخطوطه ألقيت على طلاب دار العلوم سنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ .
- المعاجم اللغوية د. محمد أحمد أبو الفرج ط بيروت ١٩٦٦ م.
- المعجم العربي - د. حسين نصار - مكتبة مصر للطباعة .
- المعجم العربي د. عبد القادر الفهري - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء ١٩٨٦ م.
- المعجمية العربية - الأب مرمرجي الدومينيكي - القدس ١٩٣٧ م.
- المغرب والدخليل - للجواليقى - تحقيق أحمد محمد شاكر - دار الكتب بالقاهرة ١٣٦١ هـ .
- المغني في تسريف الأفعال د. محمد عبد الخالق عضيمة - دار الحديث ط ٣ ١٩٦٢ م.
- مفاتيح الألسنية - جورج مونين - تعریف الطیب البکوش - منشورات الجديد تونس ١٩٨١ م.
- مقدمة لدراسة فقة اللغة - د. محمد أبو الفرج - دار النهضة - بيروت ١٩٦٦ م.
- من أسرار اللغة - د. إبراهيم أنيس - الأنجلو المصرية ١٩٨٥ م.

- مناهج البحث فى اللغة - د. قام حسان - دار الثقافة - الدار البيضاء . م ١٩٧٩
- منهاج الأدب واللغة . أنطوان ميبله - ترجمة د. محمد مندور - دار العلم للملائين سنة ١٩٤٦ م .
- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - دار الكتب العلمية بيروت .
- نشوء اللغة العربية وتطورها وأكمالها - الأدب أنسناس ماري الكرملى - القاهرة . م ١٩٤٨

### مراجع أجنبية

- Arabic lexicography, J.A Haywood, Leiden, 1965 .

## الفهرس

الصفحة

الموضوع

٩	مقدمة
١٤	الفصل الأول : بين النظرية والتطبيق
٣٠	الفصل الثاني : الأساس الصوتي
٦٢	الفصل الثالث : الأساس الكمي
١٠٨	الفصل الرابع : الأساس التقليدي
١٤٠	الفصل الخامس : الأساس الجنري
١٧٤	المخاتمة
١٨٣	ث بت المراجع

رقم ايداع  
٩٢ / ٢٠٠٦

رقم دولى  
977 - 00 - 3728-7

دار الهانى للطباعة - شبرا الخيم  
٢٢١٢٠٥٥ ت